هدية من الأخ العزيز الدكتور محمد كمال

إلى جروب تاريخ وآثار دولة المماليك

جعلها الله في ميزان حسناته ونفع بعلمه

تاريخ الأندلس لابن الكردبوس

ووصفه لابن الشباط

نصان جديدان

تحقيق الدكتور

أحمد مختار العبادي

الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية

معهد الدراسات الإسلامية بمدريد

١٩٧١

تاريخ الأندلس لابن الكردبوس

ووصفه لابن الشباط

نصان جديدان

تحقيق الدكتور

أحمد مختار العبادي

الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

معهد الدراسات الإسلامية بمدريد

١٩٧١

فهرس الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذان نصان جديدان يكمل أحدهما الآخر ، الأول يتناول تاريخ الأندلس ، وهو قطعة من كتاب « الاكتفاء فى أخبار الخلفاء[1] » ، للمؤرخ التونسى أبى مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزرى الذى عاش فى أواخر القرن السادس الهجرى أو الثانى عشر الميلادى ، ولا نعرف سنة وفاته .

والنص الثانى يتناول وصف الأندلس أو جغرافيته ، وهو أيضاً قطعة من كتاب « صلة السمط وسمة المرط » للمؤرخ التونسى محمد بن على بن محمد بن الشباط المصرى التوزرى الذى عاش فى القرن السابع الهجرى وتوفى بمدينة توزر سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) .

فالنصان كما هو واضح متكاملان ، ويتضمنان موضوعاً واحداً وهو الأندلس ، ومؤلفاهما أيضاً من بلد واحد ، وهى مدينة توزر إحدى بلاد قسطيلية بافريقية أو تونس . وقد عاش كلاهما فى عصر واحد أو متقارب فيما بين القرنين السادس والسابع الهجرى . كذلك كانت لكليهما صلة علمية أو روحية بالديار المصرية . قلب العروبة والإسلام فى كل زمان .

(١) يذكرنا عنوان هذا الكتاب بعنوان كتاب آخر ألف فى نفس الوقت تقريباً وهو « كتاب الاكتفاء فى مغازى المصطفى والثلاثة الخلفاء » ، لأبى الربيع سالم الكلاعى البلنسى الذى استشهد أثناء قتاله لخايعه الأول ملك أراجون عند عقبة أنيشة Puig شمالى بلنسية فى ذى الحجة ٦٣٤ هـ . وهذا الكتاب فى الواقع عبارة عن سيرة ابن إسحاق مجردة من الشروح اللغوية والأسناد والأشعار حتى يسهل على عامة الناس قراءته . وقد نشر الجزء الأول منه فى الجزائر بعناية المستشرق الفرنسى هنرى ماسيه .

النص الأول

أما عن النص الأول ، فمعلوماتنا عن صاحبه ابن الكردبوس[1] قليلة جداً للأسف . كل ما هو معروف عنه هو أنه عاش فى مدينة توزر التونسية فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى[2] . وقد أمدنا ابن الشباط — صاحب النص الثانى — ببعض المعلومات الجديدة عن حياة ابن الكردبوس واسمه كاملا ، وذلك عند كلامه عن العالم المحدث الحافظ أبى الطاهر السِلَفى الشافعى نزيل الاسكندرية والمتوفى بها سنة ٥٧٦ هـ ، إذ يقول : « والسلفى — بكسر السين وفتح اللام — وهو إمام فى الحديث مشهور طال عمره (ت ٥٧٦ هـ) ، وكان ممن أدرك أبا محمد الحريرى رحمه الله ، وروى عنه المقامات ، وروى أيضاً عن أبى زكرياء التبريزى ، وشهرته تغنى عن ذكره ، وهو شيخ الفقيه أبى مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزرى رحمه الله[3] » . وهذه الاشارة ترجح أن ابن

---

(١) لعل هذا الاسم تحريف للكلمة الاسبانية ، الكردوبيس El Cordobés ومعناها القرطبى وهذا قد يعنى أنه من أصل أندلسى .

(٢) راجع Pons Boigues: *Ensayo Bio-Bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos Arábigo-Españoles,* p. 414 (Madrid, 1898).
Wustenfeild F.: *Die Geschichtschreiber der Araber,* p. 105, N° 298, (Gottingen, 1882).
Brockelmann: *Geschichte der Arabischen Litteratur,* Vol. I, p. 421, S. I. p. 587.

(٣) راجع ابن الشباط : صلة السمط وسمة المرط جـ ٢ ورقة ١٢٤ (مخطوط بالمتحف البريطانى) وعن ترجمة السلفى راجع (السبكى : طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٤٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٨٧ (طبعة محي الدين عبد الحميد) ، الزركلى : الأعلام جـ ٤ ص ٢٤٢ ، ليفى بروفنسال : كتالوج الاسكوريال جـ ٣ ص ٢٨١ رقم ١٧٨٣ ، جمال الدين الشيال : أعلام الاسكندرية . . . ص ١٢٩ وقد ترجم له أيضاً ابن الشباط (نفس المرجع السابق ورقه ١٢٥) حيث يقول على لسان ابن الخراط الاشبيلى صاحب اختصار اقتباس الأنوار (ت ٥٨١ هـ) « والسلفى ، بكسر السين ، ينسب إلى جده . وهو أبو الطاهر أحمد بن محمد بن ابراهيم بن سلفة السلفى الاصبهانى نزيل الاسكندرية وهو الآن حي بها يدرس العلم ، أشار الرشاطى صاحب اقتباس الأنوار إلى وقته وهو سبع وعشرين وخمسمائة وفى موضع آخر سنة تسع وعشرين وخمسمائة وعاش السلفى بعد ذلك طويلا ، وفى كتاب الشوق الشامى (كذا والمعروف أنه البرق الشامى للعمادى الأصفهانى) أن صلاح الدين رحمه الله خرج من القاهرة للسماع منه سنة اثنين وسبعين وخمسمائة وفى كتاب الفقيه أبى حجاج رحمه الله ما يدل على لقائه إياه وسماعه منه سنة ثلاث وسبعين » .

الكردبوس قد درس على السلفى بالاسكندرية أى أنه عاش فى مصر فترة من حياته .

هذا فيما يتعلق بالمعلومات التى لدينا عن كاتب النص الأول ، أما عن كتابه الاكتفاء فى أخبار الخلفاء ، فهو لا يزال مخطوطاً ، وتوجد منه عدة نسخ فى جهات مختلفة نذكر منها : نسخة المكتبة الكتانية بخزانة الرباط (ك ٢٣٣٨) ، ونسخة مدينة تطوان ونسختين بمكتبة جاينجوس التى اندمجت الآن فى مكتبة الاكاديمية الملكية للتاريخ فى مدريد (رقم ٥٦ ، ٥٦١) ، ونسخة بجامعة الزيتونة بتونس . هذا إلى جانب نسختين غير كاملتين ، احداها فى مدرسة تلمسان[١] ، والأخرى فى المكتبة الوطنية بمدريد[٢] .

وهذا الكتاب ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : ويتناول تاريخ الدولة العربية مبتدئاً بسيرة الرسول (صلعم) وتاريخ الخلفاء الراشدين ثم خلفاء بنى أمية : وينتهى هذا القسم بالكلام عن دولة بنى أمية بالأندلس على اعتبار أنها امتداد لتاريخ الأمويين فى المشرق . إلا أن ابن الكردبوس لم يقتصر على ذلك ، بل أعطانا على سبيل الاستطراد تاريخاً مختصراً للأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى أوائل عصر الموحدين أو بالأحرى حتى بداية عهد الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذى حكم من سنة ٥٥٨ إلى سنة ٥٨٠ هـ. وقد حرص المؤلف على التنوية بذلك فى نهاية هذا القسم الأول حيث يقول : كملت دولة بنى أمية وما أضيف إليها من أخبار الأندلس .

أما القسم الثانى من الكتاب فيتناول تاريخ الخلفاء العباسيين حتى بداية عصر الخليفة المسترشد العباسى (٥١٢ — ٥١٦ هـ) .

---

(١) انظر (O. Houdas et René Basset: *Mission Scientifique en Tunisie,* pp. 5-65, *Bulletin de Correspondence Africaine,* année 1884).

(٢) انظر Guillén Robles: *Catálogo de los manuscritos de Madrid,* pp. 70-71, N.° CXXXIX (Madrid, 1889).

والنص المنشور هنا من كتاب الاكتفاء ، هو الجزء الخاص بتاريخ الأندلس المذكور فى آخر القسم الأول منه . وقد اعتمدنا فى نشره على النسخ الكاملة من هذا الكتاب ، وهي نسختا الرباط[1] وتطوان ، ونسختا الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد[2] .

وعلى الرغم من أن هذا القسم الأندلسى لم ينشر حتى الآن ، إلا أن عدداً من المستشرقين الأوروبيين قد اهتموا به اهتماماً كبيراً ، واعتمدوا عليه فى كتاباتهم التاريخية . ومن هؤلاء نذكر العالم الإسبانى باسكوال دى جاينجوس الذى ترجم معظم هذا النص إلى اللغة الإنجليزية فى آخر كتابه المعروف باسم ، تاريخ الدول الإسلامية فى اسبانيا[3] . إلا أنه يلاحظ أن جاينجوس فى هذه الترجمة قد أخطأ حينما افترض أن مؤلف كتاب الاكتفاء هو أبو جعفر بن عبد الحق الخزرجي القرطبي ، الذى عاش أيضاً فى القرن السادس الهجرى[4] . كذلك نذكر المستشرق الهولندى رينهارت دوزى الذى نشر جزءاً من هذا النص ، وهو الجزء المتعلق بفترة ملوك الطوائف[5] . ولم يقتصر دوزى على ذلك ، بل أثبت وجود تشابه بين نص ابن الكردبوس وبين الحولية التاريخية الإسبانية المعروفة باسم La Primera Crónica General التى وضعها الملك الإسبانى الفونسو العاشر المعروف باسم

---

(١) رقم ك ٢٣٥٨ ، اللوحات رقم ٢٠٧ إلى ٢٢٧ وقد رمزنا لها بحرف (م) .

(٢) رقم ٥٦ ، اللوحات ٩٩ إلى ١٠٩ ، ورقم I ٥٦ اللوحات ١٥٢ إلى ١٦٧ (جاينجوس) وقد رمزنا لهما بحرف ج ، ج I وقد اعتمدنا على نسختى الاكاديمية التاريخية كأصل .

(٣) انظر (Pascual de Gayangos: *History of Mohammedan dynasties in Spain,* Vol. I, appendix D; Vol. II, appendix C).

(٤) راجع (Pascual de Gayangos: *Op. cit.,* vol. I, Pref. xxii, appendix D, p. xlii.)

(٥) راجع (R. Dozy: *Scriptorum arabum Loci de Abbadidis,* Vol. II, pp. 11-27, Vol. III, p. 189 (Brill 1852).

R. Dozy: *Recherches sur l'Histoire et la Litterature de l'Espagne* II, p. XVII-XXII y p. 45 (3 edition, Amsterdam 1965).

« العالم » El Sabio فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، وهذا يعنى أن الحولية الاسبانية المذكورة قد نقلت كثيراً مما ورد فى كتاب الاكتفاء [(١)] .

هذا ويذهب المؤرخ الاسبانى الكبير مننديث بيدال إلى أن ابن الكردبوس قد استوحى كثيراً من معلوماته حول السيد القمبيطور El Cid Campeador وحوادث بلنسية فى ذلك الوقت (٤٧٨ — ٤٩٥ هـ / ١٠٨٥ — ١١٠٢ م) ، من كتاب البيان الواضح فى الملم الفادح للمؤرخ البلنسى أبى عبد الله محمد بن خلف الصدفى المعروف بابن علقمة (ت سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م) [(٢)] .

وكيفما كان الأمر ، فإنه على الرغم من كل هذه الدراسات القيمة التى كتبت حول كتاب الاكتفاء ، فإن هذا الكتاب بما فى ذلك الجزء الخاص بتاريخ الأندلس لم ينشر حتى الآن . وإننى اكتفى حالياً بنشر الجزء الأندلسى راجياً أن تتاح لى فرصة نشر الكتاب كله فى المستقبل إن شاء الله .

والواقع ان ابن الكردبوس فى هذا الجزء الأندلسى ، لم يذكر للأسف المصادر التى استقى منها معلوماته والتى اعتمد عليها فى كتابة هذا الجزء من

---

(١) انظر R. Dozy: *Recherches,* II, pp. 44-45. &
Cesar Dobler: *Las fuentes árabes y bizantinas en la Primera Crónica General, Vox Románica,* XII, 1951.

(٢) راجع R. Menéndez Pidal: *La España del Cid,* II, pp. 892-975 (Madrid, 1947).
هذا ومن المعروف أن ابن علقمة ولد فى بلنسية سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م) وتوفى بها سنة ٥٠٩ هـ (١١١٥ م) وقد عاصر الأحداث المفجعة التى مرت بها بلنسية عند سقوطها فى يد القائد القشتالى السيد القمبيطور ، وقد ألف فى هذا الصدد كتابا سماه البيان الواضح فى الملم الفادح وذلك قبل سنة ٥٠٠ هـ ولقد ضاع هذا الكتاب للأسف ولكن نقـل عنه عدد من المؤرخين الذين جاءوا بعده أمثال ابن الكردبوس وابن عذارى وابن الأبار وابن الخطيب . كذلك نقلت عنه بعض الحوليات التاريخية الاسبانية ونخص بالذكر منها حوليات الفونسو العالم السالف الذكر .
راجع Pons Boigues: *Ensayo Bio-Bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos Arábigo-Españoles,* pp. 175-176 (Madrid, 1893).
راجع كذلك (عبد الله عنان : دول الطوائف ص ٢٤١ ، القاهرة ١٩٦٠)

تاريخه ، إلا أنه على أية حال قد حمل إلينا مادة خصبة قيمة تمتـاز عموماً بدقتها وعمق نظرتها ، بل إنه فى كثير من الأحيان يأتي بمعلومات جديدة لا نجدها فى المصادر التاريخية الأخرى .

ومن أمثلة ذلك ، وصفه الرائع لعمليات نزول جيوش المسلمين بقيادة طارق ابن زياد إلى الساحل الإسبانى ، وهو وصف ما زال يذكرنا بعمليات الغزو الحديثة رغم اختلاف الوسائل والعصور . ويظهر ذلك بوضوح عند قوله :

« فمضى طارق لسبتة وجاز فى مراكبه إلى جبل ، فأرسى فيه فسمى جبل طارق باسمه إلى الآن ، وذلك سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، ووجد بعض الروم وقوفاً فى موضع وطىء كان عزم على النزول فيه إلى البر فمنعوه منه ، فعدل عنه ليلا إلى موضع وعر فوطأه بالمجاذف وبراذع الدواب ، ونزل منه فى البر وهم لا يعلمون ، فشن غارة عليهم وأوقع بهم وغنمهم » .

فهذا الوصف إن دل على شيء ، فإنما يدل على عظم المقاومة التى لقيها المسلمون منذ بدء نزولهم فى أرض اسبانيا لدرجة أنهم اضطروا إلى تغيير خططهم العسكرية التى كانت مقررة من قبل ، والنزول ليلا فى مكان آخر صخرى وعر ، مستخدمين فى ذلك براذع الدواب ومجاذف السفن كى تعينهم على خوض المياه وارتقاء الصخور بغية الالتفاف حول العدو والانقضاض عليه قبل أن يشعر بهم .

مثل آخر فريد يرويه لنا ابن الكردبوس ، وهو ذلك الحوار الجميل الذى ساقه بين عاهل الأندلس المنصور بن أبى عامر قبيـــل وفاته ، وبين حاجبه ومملوكه كوثر الصقلبي . فمن ذلك الحوار يتبين لنـا أن المنصور لم يكن ذلك الرجل الجبار العتيد الذى حطم بلاد العدو وخربها ، بل على العكس من ذلك ، كان رجلا مصلحاً ومعمراً لبلاد العدو التى غزاها ، وفى ذلك يقول المنصور نفسه :

« لما فتحت بلاد الروم ومعاقلهم ، عمرتها بالأقوات من كل مكان ، وسجنتها بها حتى عادت فى غاية الإمكان ، ووصلتها ببلاد المسلمين ، وحصنتها غاية التحصين ، فاتصلت العمارة . . الخ » .

وحينما يتكلم ابن الكردبوس عن زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين ، يسوق على لسان هذا القائد الصحراوى تصريحات هامة لا نجدها فى المصادر الأخرى . ومثال ذلك قوله عندما بلغه أن الملك الفونسو السادس قد تحرك إليه بعد جوازه الثالث إلى الأندلس سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) « لست القاه أبداً ، فإن الهزائم مخلوقة ، وقد كان منا خطأ فى لقائه سنة الزلاقة (أى ١٠٨٦ م) ، ولكننى أخرج إليه قوادى بأنجد أجنادى ، فإن قدر الله بانهزامهم عند التقائهم ، كنت ردءاً لهم من ورائهم » . هذه الرواية — إن صحت هى الأخرى — فإنها تدل على دهاء يوسف بن تاشفين كقائد عسكرى محنك ، وإيمانه بالمبدأ القائل بأن حياة الجيش مرهونة بحياة قائده خلال المعركة . ولا شك أن يوسف بن تاشفين قد تعلم هذا المبدأ الحربى من معلمه الأول الفقيه عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين الذى يؤثر عنه أنه كان دائماً ينصح بهذا المبدأ لدرجة أنه غضب يوماً على الأمير يحيى بن عمر اللمتونى وضربه بالسوط على رجله لأنه عرض حياته للخطر أثناء القتال وقال له : « إن الأمير لا يدخل القتال بنفسه لأن حياته حياة جنده وهلاكه هو هلاكهم[1] » .

ومن بين الاشارات القيمة التى أمدنا بها ابن الكردبوس ، نصه على اسم وقعة كنشره Consuegra التى انتصرت فيها جيوش المرابطين بقيادة محمد بن الحاج على الملك الفونسو السادس ملك قشتالة وليون سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) فهو

(١) راجع (ابن عذارى : البيان المغرب ، الجزء الخاص بالمرابطين ، نشره المستشرق الاسبانى أويثى ميراندا فى مجلة *Hésperis-Tamuda*, Vol. II, fasc. I, 1961, p. 49).

بهذا يعتبر أول من أورد الاسم العربى لمكان هذه الموقعة . أما المصادر الإسبانية فقد تكلمت بوضوح عن انتصار المرابطين فى Consuegra وأضافت بأن ابن السيد القمبيطور المسمى دييجو Diego قد قتل فيها .

هذا ويعطينا ابن الكردبوس كذلك معلومات جديدة عن سقوط سرقسطة ثغر المسلمين الأعلى ، فى يد ملك أراجون الفونسو المحارب El Batallador سنة ٥١٢ ﻫ (١١١٨ م) ، وما جرى بعد ذلك لسكانها المسلمين عند مغادرتهم لها . ومن الطريف أن ابن الكردبوس فى هذا الصدد يتكلم بروح المؤرخ المنصف ، إذ يشيد بسياسة هذا الملك الإسبانى وبحسن معاملته لسكان هذا الثغر عندما أخذو فى الرحيل عنه بجميع أموالهم ومتاعهم ، فلم يتعرض لهم بسوء بل أمر رجاله بمصاحبتهم وتشييعهم إلى آخر حدود بلاده .

هذا وقد أمدنا ابن الكردبوس كذلك بوصف قيم لحصن روطه Rueda بسردابه وأدراجه التى تنيف على الأربعمائه ، وكان هذا الحصن من أعمال مدينة سرقسطة وأحد معاقلها المنيعة فى منطقة الثغر الأعلى .

كذلك لم يفته الكلام عن أحداث الجزر البحرية أو جزر البليار (ميورقة ومنورقة ويابسة) الواقعة فى شرق الأندلس ، وكانت فى أيام المرابطين قد تعرضت لهجمات أهل جنوا وبيزا الايطاليين ، غير أن أساطيل المرابطين تمكنت بعد ذلك من طردهم وأسر بعض سفنهم .

وبعد ، هذه مجرد نماذج لبعض ما ورد فى هذا النص ، أعرضها على سبيل المثال لا الحصر ، على أساس أن النص برمته منشور فى آخر هذا الكلام ، ويستطيع القارىء أن يطلع عليه بنفسه ويستخرج منه ما يشاء من المعلومات .

النص الثانى

أما النص الثـانى فصاحبه كما قدمنا هو محمد بن على بن محمد بن الشباط المصرى التوزرى (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م)[١] . وقد كتب هو نفسه تاريخ حياته فقال[٢] بأن أصله من أفارقة مدينة توزر[٣] ثم انتقل جده إلى مصر حيث عاش فى عاصمتها القاهرة واستوطنها ، وولد له هنـاك ولده علىّ والد مؤرخنا . ونشأ علىٌّ هذا وشبَّ فى القاهرة إلى أن توفى والده محمد ، فرحل إلى مدينة توزر على هيأة أهل مصر فى لباسهم وكلامهم ، فغلب عليه حينذاك اسم المصرى ، وصار لا يكاد يعرف إلا بذلك ، بل لم يلبث اسم المصرى أن اطلق بعد ذلك على أبنائه من بعده .

---

(١) راجع (حسن حسنى عبد الوهاب مجلة الثريا ، يناير — فبراير سنة ١٩٤٥ ، محمد النيفر : عنوان الأريب جـ ١ ص ٤١ — ٦٥ (تونس ١٣٥١ هـ) راجع كذلك :

(Hadi Roger Idrīs: *La vie intellectuelle en Ifriqiya meridionale* sous les Zirides *(XI siècle) d'aprés Ibn al-Chabbat, melanges d' Histoire et d'Archeologie de l'Occident Mnsulman, Hommage a Georges Marçais,* tome II, pp. 95-106 (Algerie 1957).

Bruschvig (Robert): *La Berberie Orientale sous les Hafsides des origines a la fin du XV siècle,* tome II, pp. 339, 405 et 407.

(٢) راجع (ابن الشباط : صلة السمط وسمة المرط ورقة ٢٠١) .

(٣) يقول ابن الشباط (نفس المرجع ورقة ١٣٧ ط ، ١٢٢ ط) وتوزر بفتح التاء ويجوز ضمها . وبالضم رأيته بخط الفقيه أبى حفص التوزرى رحمه الله فى اسمه فى آخر كتاب رد ابن قتيبة على ابن أبى القاسم بن سلام فى غريب الحديث .

ونحن نستنتج من كلام ابن الشباط أن النطق العربى لاسم هذه المدينة يتفق تمـاماً مع النطق الأوربى لها وهو Tozeur .

ويضيف المؤلف بعد ذلك قائلا بأن والده علىّ سافر فى شبابه من توزر إلى مدينة قسنطينة وسكنها مدة ، وتزوج بها وأنجب ولده هذا محمد بن على ابن الشباط . وبعد أربع سنوات عاد علىّ بأسرته ثانية إلى توزر حيث نشأ ابنه محمد نشأة علميــة طيبة ، فحفظ القرآن ، وقرأ النحو واللغة والأدب والفقه والأصول على علماء المدينة وعلى غيرهم ممن ورد عليها من الغرباء وكانت جل إفادته بالقراءة على والده وعلى الشيخين أبى عبد الله محمد بن الطولقى — نسبة إلى طولقه من مدن الزاب[1] بالجزائر — وأبى عبد الله محمد بن شمدون[2] .

وأهم عمل علمى قام به مؤرخنــا محمد بن على بن الشباط ، هو شرحه للقصيدة المادحة للرسول (صلعم) التى نظمها فقيه توزرى آخر عاش قبله بنحو قرنين أى فى القرن الخامس الهجرى ، وهو أبو عبد الله محمد الشقراطيسى[3] (ت ٤٦٦ هـ/١٠٧٣ م) نسبة إلى بلدة شقراطس[4] التى كانت فى القديم إحدى قصور قفصه قاعدة الجريد جنوبى تونس[5] .

ولقد اشتهرت هذه القصيدة باسم القصيدة الشقراطيسية نسبة إلى هذا المكان، وهى قصيدة لامية فى ١٣٥ بيتــاً ، تتناول سيرة الرسول وزهده وكراماته بالمدح والتكريم ، وقد ضمن بها كتابه المعروف بكتاب الإعلام فى معجزات الرسول سيد الأنام . ولم تلبث هذه القصيدة الشقراطيسية أن ذاع صيتها ، وكتبت

---

(١) راجع (ابن الشباط : المرجع السابق ورقة ٢٠٤) .

(٢) راجع (ابن الشباط : المرجع السابق ورقة ٢٠٣) .

(٣) انظر ابن خير : الفهرسة جـ ١ ص ٤١٩ — ٤٢٠) راجع كذلك :
(H. R. Idrīs: *Op. cit.,* pp. 96-106. و Brock. I. S. p. 473).

(٤) لعلها تعريب لكلمة Sócrates اليونانية .

(٥) راجع (البكرى : المغرب فى ذكرى بلاد افريقية والمغرب ص ٤٧ ، نشر دى سلان) (باريس ١٩١١) .

حولها الشروح والتعليقات ، كما استوحى منها فيما بعد العالم السكندرى البوصيرى[1] (ت ٦٩٤ هـ/١٢٩٤ م) قصيدته المعروفة باسم « البردة النبوية فى مدح خير البرية »[2] وهى فى مدح الرسول أيضاً ، وقد نالت هى الأخرى شهرة واسعة فاقت شهرة الشقراطيسية حتى يومنا هذا ، كما نقشت أبياتها بأحرف من الذهب على جدران مسجده المعروف بالإسكندرية وهو ملاصق لمسجد أستاذه أبى العباس المرسى .

على أن أحسن الشروح التى كتبت حول الشقراطيسية هو فى الواقع شرح مؤرخنا السالف الذكر محمد بن على بن الشباط فى كتابه المعروف باسم : « صلة السمط[3] وسمة المرط[4] فى شرح سمط الهدى فى الفخر المحمدى »

---

(١) هو شرف الدين محمد بن سعيد بن محمد بن محسن الصنهاجى ، ولد سنة ٦٠٨ هـ (١٢١٢ م) فى أبى صير بالقرب من دلاص فى مصر الوسطى . ولهذا سمى بالبوصيرى والدلاصى ثم سكن بلبيس ودرس على أبى العباس المرسى الصوفى الشاذلى بالاسكندرية . وقد اشتهر بقصائده فى الأمداح النبوية وأهمها قصيدته المعروفة بالبردة . وسنة وفاته مختلف فيها فالبعض يجعلها فى سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) أمثال المقريزى وابن شاكر الكتبى ، والبعض الآخر مثل السيوطى يجعلها فى سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٤ م) .

(٢) البردة : رداء من الصوف يسدل على الكتفين ، واستعمله العرب قبل الإسلام وبعده ، ويروى أن النبى (صلعم) كانت له بردة من هذا النوع وأنه ألقاها يوماً على كتفى الشاعر كعب بن زهير تعبيراً عن تقديره لشعره . ويقال إن معاوية بن أبى سفيان اشتراها من ولد كعب ثم حفظت بعد ذلك فى خزانة الخلفاء أيام العباسيين . ولما استولى هولاكو على بغداد قيل إنه حاول حرقها ولكنها انقذت من براثنه وهى الآن محفوظة بمدينة القسطنطينية ، أما قصيدة البوصيرى المعروفة بالبردة ، فاسمها فى الأصل هو : « الكواكب الدرية فى مدح خير البرية » أما سبب تسميتها بالبردة فيرجع إلى أن البوصيرى مرض يوماً مرضاً عضالا فجاءه الرسول فى المنام وألقى بردته على كتفيه فشفى على الأثر ولم تلبث هذه المعجزة أن ذاعت واشتهرت حتى صار اسم البردة منذ ذلك الوقت عنواناً لهذه القصيدة ، وقصيدة البردة تبدأ بالنسيب على عادة الشعر القديم ثم برثاء الشباب الذى ولى ومضى ثم بمدح الرسول واظهار كراماته ومعجزاته ، وتنتهى القصيدة أخيراً برجوات وشفاعات موجهة إلى الرسول (صلعم) . ولقد اشتهرت هذه القصيدة وذاع صيتها إلى درجة لم تصلها قصيدة أخرى من هذا النوع . كذلك كتبت حولها شروح كثيرة تقرب من المائة . بالعربية والفارسية والتركية .

راجع Ency. of Islam art. Burda, Busiri by René Bassét و Brunschvig; *Op. cit.*, II, p. 399

(٣) السمط : خيط النظم ما دام فيه الخرز واللؤلؤ .

(٤) المرط : كساء من الصوف أو الخز يؤتزر به .

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً وتوجد منه نسخة فى تونس ، وأخرى فى المتحف البريطانى برقم ٢١٨٦

وقد لاحظت أن هذا الكتاب إلى جانب شروحه اللغوية للقصيدة الشقراطيسية ، قد تضمن معلومات تاريخية وجغرافية هامة عن العالم الإسلامى شرقاً وغرباً .

كذلك لاحظنا أن ابن الشباط — على عكس ابن الكردبوس — كان يحرص دائماً على ذكر المصادر التى نقل منها مادة كتابه ، بل إنه كان يفتخر أحياناً من أنه قد رجع إلى النسخة الكاملة من المرجع الذى قرأه كما هو الحال عند كلامه عن كتاب المسالك والممالك للبكرى[1] أو إلى رجوعه إلى النسخة الأصلية التى كتبها مؤلفها بخط يده كما هو الحال عند كلامه عن كتاب اختصار اقتباس الأنوار لابن الخراط الإشبيلى[2] ، وهذا يدل على أن ابن الشباط كان يعتنى باختيار أوثق المصادر وأوفاها .

وإذا تصفحنا المصادر التى رجع إليها ابن الشباط فى الجزء الخاص بوصف الأندلس من كتابه ، نلاحظ أن بعضها موجود ومنشور ، والبعض الآخر ، وهو الغالبية ، إما مفقود أو لا يزال مخطوطاً ، وهذا يعنى بالتالى أن ابن الشباط قد حفظ لنا فى كتابه شيئاً هاماً من هذا التراث الإسلامى الضائع .

ومن أهم هذه المصادر التى اعتمد عليها ابن الشباط فى وصفه لمدن الأندلس ، نذكر كتاب اختصار اقتباس الأنوار لأبى محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدى الإشبيلى المعروف بابن الخراط[3] . وهذا المؤرخ الفقيه عاش فى اشبيلية

---

(١) راجع (ابن الشباط : نفس المرجع لوحة ٩٦) .

(٢) المرجع السابق لوحة ١٦١

(٣) راجع (ابن الشباط : المرجع السابق ، اللوحات : ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥) .

في أيام المرابطين ثم تعرض لنقمه بعض أمراء المرابطين ، ففر إلى بجاية وظل بها مشتغلا بالعلم والتدريس إلى أن مات سنة ٥٨١ هـ[١] (١١٨٥ م) وكتابه السالف الذكر هو اختصار «لكتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» للمؤرخ المرِّي أبي محمد عبد الله اللخمي الرشاطي[٢] الذي مات شهيداً في معركة عند المرية سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) . وكتاب الرشاطي يعتبر من الكتب التاريخية الهامـة وقد حاول عدد من المؤرخين الذين جاءوا بعده اختصاره والسير على طريقته مثل محمد بن عبد الرحمن الغساني الغرناطي[٣] ، ومجد الدين اسماعيل البلبيسي[٤] وابن الخراط السالف الذكر . ولا تزال توجد بعض قطع مخطوطة من كتاب الرشاطي في جامعة القرويين[٥] بفاس ، وجامعة الزيتونة بتونس .

أما مختصر ابن الخراط الإشبيلي فهو مفقود ، ولكن من حسن الحظ أن ابن الشباط قد نقل منه نصوصاً كثيرة ولا سيما في الجزء الخاص بوصف الأندلس .

---

(١) راجع ترجمة ابن الخراط في (الضبي : بغية الملتمس رقم ١١٠٤ ، ابن الابار : التكملة رقم ١٨٠٥ ، الغبريني : عنوان الدراية ص ٢٠ ، المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٨٠٧ ، جـ ٢ ص ١٢٢) راجع كذلك : (Pons Boigues: *Op. cit.*, pp. 251-252.) .

(٢) راجع ترجمة الرشاطي في (الضبي بغية الملتمس رقم ٩٤٣ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٢ ص ٥٦٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٨٧ (طبعة محي الدين عبد الحميد) ، ابن بشكوال : الصلة رقم ٦٤٨ ، ابن الأبار : المعجم ، رقم ٢٠٠ ، التكملة رقم ٢١٥١ ، حاجى خليفـة : كشف الظنون جـ ١ ص ١٣٤ ، السبكى : طبقـات الشافعية جـ ٤ ص ٤٣ ، ابن الشباط لوحة ١٦) راجع كذلك : (Pons Boigues: *Op. cit.*, p. 207) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام الغساني الغرناطي ، المتوفى بغرناطة سنة ٦١٩ هـ .

راجع (Pons Boigues: *Op. cit.*, p. 273)

(٤) هو مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم البلبيسي المتوفى سنة ٨٠٢ هـ ويقول صاحب كشف الظنون (جـ ١ ص ١٤٣) أنه لخص اقتباس الأنوار للرشاطي وأضاف إليه زيادات ابن الأثير على انساب السمعاني وسماه القبس .

(Flügel, I, p. 375, N° MXXXVI) راجع كذلك

(٥) قطعتان برقمي ل ٩٢ ، ل ٣٠٣١ راجع كذلك (Flügel, I, p. 375, N° MXXXVI)

مصدر آخر اعتمد عليه ابن الشباط فى هذا الجزء من كتابه ، وهو كتاب العبر أو العبرة[1] لأبى بكر أحمد بن سعيد بن أبى الفياض الذى ولد فى مدينة استجّة Ecija وعاش فى المرية ومات بهـا فى سن الثمـانين ، سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٦ م)[2] وهذا الكتاب للأسف مفقود ولم يبق منه إلا بضع ورقات قليلة[3] .

ولقد أشاد كل من دوزى وسابدرا بأهمية هذا الكتاب على أساس أن عدداً كبيراً من المؤرخين قد أشاروا إليه أمثال ابن بشكوال وصاحب روض القرطاس وعبد الوحد المراكشى ومؤرخنا ابن الشباط .

كذلك اعتمد ابن الشباط على كتاب : المعرب فى محاسن أهل المغرب[4] لليسع بن عيسى الغافقى الذى عاش فى بلنسية ، ودرس على شاعرها المشهور ابن خفاجة ، ثم سافر إلى الاسكندرية والقاهرة ، وخدم فى بلاط ملك مصر وقتذاك صلاح الدين الأيوبى الذى شمله بعطفه ورعايته ، وبنى له منزلا على ضفاف النيل ، ثم أمره بكتابة كتاب عن المغرب فكتب له هذا الكتـاب . وتوفى اليسع فى القاهرة سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م)[5] وكتاب اليسع مفقود هو الآخر وهذا يبين أهمية الجزء الذى نقله منه ابن الشباط فى كتابه .

(١) يسميه ابن الشباط (المرجع السابق لوحة ١٥٩) : كتاب العبرة ، بينما يرد اسمه فى المصادر الأخرى : كتاب العبر . وقد ورد ذكره فى كتاب ابن الشباط فى اللوحات : ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦٢) .

(٢) راجع ترجمة ابن أبى الفياض فى (ابن بشكوال : الصلة ص ١٢٤ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٢ ص ١٢٣ ، دوزى : مقدمة البيان المغرب جـ ١ ص ٥٧) وكذلك :

(Pons Boigues: *Op. cit.,* p. 138).

(٣) راجع (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلدان السابع والثامن ، ص ٣٠١ ١٩٥٩ — ١٩٦٠) .

(٤) راجع (ابن الشباط لوحة ١٥٠ — ١٥٢) .

(٥) راجع ترجمة اليسع فى (ابن الأبار : التكملة رقم ٢١١٢ ، المعجم رقم ٣١٥ ، المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٧١٣ ، حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ٢ ص ١٥٠) وكذلك :

(Pons Boigues: *Op. cit.,* p. 242).

كذلك اعتمد ابن الشباط على كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء لأبى مروان عبد الملك ابن الكردبوس ، صاحب النص الأول ، ونقل عنه معلومات فى أحداث الأندلس وغير الأندلس من كتابه[1] ، كما أعطانا معلومات جديدة عن حياته كما بينا ذلك آنفاً .

كذلك رجع ابن الشباط فى بعض رواياته إلى مختصر فى التاريخ[2] للامام المحدث أبى الطاهر السلفى الذى عاش بالاسكندرية ومات بها سنة ٥٧٦ هـ ، وهذا التاريخ مفقود هو الآخر[3] وقد ذكره أبو محمد التجانى فى رحلته[4] .

ومن بين الكتب التى اعتمد عليها ابن الشباط أيضاً فى القسم الأندلسى من كتابه ، تاريخ محمد بن عيسى بن مُزَين[5] الذى عاش فى بلاط بنى عباد باشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، وهو من سلالة بنى مزين ملوك شلب Silves قبل انضمامها إلى ملك بنى عباد . وتاريخ ابن مزين يعتبر الآن فى حكم المفقود ، وقد نقل عنه كثير من المؤرخين أمثال ابن الأبار وابن الشباط وغيرهما .

كذلك يشير ابن الشباط كثيراً إلى كتاب نزهة النفوس لأبى إسحاق بن الحسن البغدادى[6] ، وهو أيضاً مفقود ولا نعرف عنه ولا عن مؤلفه شيئاً .

كذلك اعتمد ابن الشباط على كتاب المسالك والممالك[7] لأبى عبيد عبد الله البكرى القرطبى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى (ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م) .

ونحن نعلم أن الجزء المنشور من هذا الكتاب ، هو الجزء الخاص بشمال افريقيا

---

(١) راجع (ابن الشباط : اللوحات ٨٨ — ٨٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٥١ ، ١٥٥) .

(٢) راجع (ابن الشباط ، اللوحات ٩٤ ، ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ — ١٤٣) .

(٣) لعله يكون كتاب معجم السفر لأبى الطاهر السلفى الذى نشره الأستاذ إحسان عباس أخيراً .

(٤) راجع (رحلة أبى عبد الله محمد التجانى فى البلاد التونسية والقطر الطرابلسى من سنة ٧٠٦ إلى سنة ٧٠٨ هـ ، ص ١٦١ ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨) .

(٥) راجع (ابن الشباط لوحة ١٥٩) وترجمة ابن مزين فى (Pons Boigues: *Op. cit.*, p. 171)

(٦) راجع (ابن الشباط لوحة ١٤٤ ، ١٥٥) .

(٧) راجع (ابن الشباط ، اللوحات : ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١) .

المسمى «بكتاب المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب» وقد نشره المستشرق الفرنسى دى سلان (باريس ١٩١١) أما الجزء الخاص بالأندلس، فالموجود لدينا منه فى نسخ البكرى جزء صغير فى بعض ورقات[١]. وقد نص ابن الشباط على أنه رجع إلى نسخة كاملة من كتاب البكرى، ونقل منه معلومات فريدة عن الأندلس[٢] وصقلية لم ترد فى نسخ البكرى التى تحت أيدينا. ولعل هذا هو السبب الذى جعل المستشرق الإيطالى ميشيل أمارى يعتمد على النص الذى أورده ابن الشباط نقلا عن البكرى فى وصف جزيرة صقلية[٣]، وإن كان أمارى مع ذلك قد فاته نقل النص الخاص بوصف البركان الذى أورده ابن الشباط فى تعليقاته على كلام البكرى. ولهذا رأينا، إتماماً للفائدة، أن نضيف إلى النص المنشور فى آخر هذا الكلام، ما أورده ابن الشباط عن جزيرة صقلية أيضاً[٤].

كذلك اعتمد ابن الشباط على مختصر تاريخ الطبرى المؤرخ والطبيب القرطبى عريب بن سعد (ت ٣٧٠ هـ/ ٨٩٠ م)[٥]. وقد يبدو من عنوان هذا الكتاب أنه مجرد اختصار لتاريخ الطبرى، فى حين أنه فى الواقع ذيل على تاريخ الطبرى ولا سيما فى أحداث المغرب والأندلس[٦]، وقد نص ابن الشباط على ذلك صراحة عندما قال بأن أخبار الغرب فى مختصر تاريخ الطبرى

---

(١) توجد بمعهد الدراسات الإسلامية فى مدريد صورة من مخطوطة البكرى المحفوظة بالخزانة العامة فى الرباط.

(٢) راجع على سبيل المثال ما ورد فى المتن عن وصف اشبونه ولبلة وطالقة فهو منقول عن البكرى.

(٣) راجع (Michele Amari: *Biblioteca Arabo-Sicula*, pp. 209-213; Lipsia, 1855) وقد أشار أمارى إلى أن الفضل فى اطلاعه على مخطوط ابن الشباط يرجع إلى العالم الفرنسى الفونس روسو Alphonse Rousseau الذى كان يعمل بالسفارة الفرنسية بتونس فى ذلك الوقت.

(٤) وصف صقلية ورد فى ابن الشباط فى اللوحات التالية: ٩٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٥، ١٢٧

(٥) راجع (Pons Boigues: *Op. cit.*, p. 88-89)

(٦) راجع الدراسات القيمة التى كتبها دوزى حول المصادر الأندلسية فى مقدمة الجزء الأول من كتاب البيان المغرب لابن عذارى ص ٣٥ — ٣٩ (ليدن ١٨٤٨).

إنما هو زيادة عريب بن سعد الكاتب ، وأن الطبرى لم يتكلم إلا عن تاريخ المشرق خاصة[١] . ولقد نشر دى خويه الجزء الخاص بتاريخ المشرق من كتاب عريب[٢] ، أما الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ، فلا نعلم عنه سوى ما قاله دوزى من أن ابن عذارى قد نقل قطعاً منه فى الجزء الثانى من كتابه البيان المغرب[٣] .

كذلك اعتمد ابن الشباط على بعض ما كتبه الجغرافى الأندلسى القديم أحمد بن محمد بن موسى الرازى الذى يعرف أيضاً بابن لقيط الكاتب (توفى حوالى سنة ٣٤٤ هـ/ ٩٥٥ م)[٤] . فنجد اسم الرازى يتردد بوضوح فى نص ابن الشباط أثنـاء وصف اشبيليه وباجه وماردة ، ولم يكتف ابن الشباط على ذلك ، بل حرص على ذكر أسماء من نقلوا عن الرازى أمثال البكرى وابن أبى الفياض وابن الخراط الإشبيلى[٥] .

وأخيراً وليس آخراً نذكر أيضاً من بين الكتب التى اعتمد عليها ابن الشباط ، كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ)[٦]

---

(١) أشار ابن الشباط إلى عريب بن سعد فى اللوحات التالية من كتابه السالف الذكر : ٩٦ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦

(٢) راجع عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ، نشر دى خوية De Goeje (ليدن ١٨٩٧) .

(٣) عندما نشر دوزى الجزئين الأولين من كتاب البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى ، ذكر فى الصفحة الأولى لكل جزء العبارة التالية : الجزء الأول ، واختلطت به قطع من نظم الجمان لابن القطان ، الجزء الثانى ، واختلطت به قطع من تاريخ عريب بن سعد .

(٤) راجع ترجمته فى (الضبى : بغية الملتمس رقم ٣٢٠) . راجع كذلك : (Pons Boigues: Op. cit., p. 62-63).

(٥) راجع (ابن الشباط : نفس المرجع ، اللوحات : ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠) .

(٦) ورد ذكره فى ابن الشباط لوحة ١٥٦ ، ١٥٨ ؛ وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة فى جزئين ١٣٢٥ هـ .

وكتاب طبقات الأمم لأبى القاسم صاعد الأندلسى (ت ٤٦٢ ﻫ)[1] ، وهى كتب منشورة ومعروفة فى وقتنا الحاضر .

ولقد اتبع ابن الشباط منهجاً طريفاً موجزاً عند وصفه للمدن الأندلسية ، يقوم على الخطوات التالية :

أولا : يبدأ بضبط اسم المدينة ضبطاً دقيقاً مستخدماً فى ذلك الحروف لا الشكل . ولقد اهتم بهذه المسألة اهتماماً كبيراً لدرجة أنه كان يقول أحياناً : « وسألت أكثر من واحد من الأندلسيين حول نطق هذه الكلمة فبعضهم لم يعرف ، وبعضهم عرف »[2] .

ثانيــاً : يتكلم بعد ذلك فى وصف المدينة وصفاً جغرافياً .

ثالثــاً : يذكر أهم العلماء الذين ينتسبون إليها .

رابعــاً : يتكلم عن الأحداث التاريخية التى تم فيها استيلاء المسلمين على المدينة .

خامساً : بعد الانتهاء من كل هذا ، يقدم ابن الشباط ، شرحاً للمفردات التى وردت فى المتن سواء أكانت أسماء أشخاص أو مدناً أو ألفاظاً لغوية ، وذلك تحت عنوان : « شرح وتحقيق » ، وهو فى هذا يذكرنا بمــا يسمى بالحواشى أو التعليقات على التبحث .

فعلى هذا الأساس السالف الذكر ، بدأ ابن الشباط وصفه بكلمة عامة عن جغرافية وتاريخ الأندلس . ثم تكلم بعد ذلك عن المدن والكور الأندلسية الآتية : شذونه Sidonia ، مورور Morón ، قرمونه Carmona ، اشبيليه Sevilla ، استجــه Écija ، قرطبــه Córdoba ، لبله Niebla ، أشبونه Lisboa ، باجه Beja ، مارده Mérida ، طليطله Toledo ، سرقسطه Zaragoza ثم إفرنجه أو افرنسه Francia .

---

(١) أشار إليه ابن الشباط فى لوحة ١٥١ ، ١٥٩ ؛ وكتاب صاعد كتاب صغير طبع فى مطبعة السعادة بالقاهرة .

(٢) راجع (ابن الشباط لوحة ١٦٢) .

ويلاحظ أن معظم هذه المدن يقع على الخطّين الرئيسيين اللذين سلكهما طارق بن زياد وموسى بن نصير فى غزوهما لاسبانيا .

أما عن مدى قيمة هذا النص من الناحية الجغرافية أو التاريخية ، فنلاحظ أولا أن ابن الشباط عند وصفه لهذه المدن الأندلسية ، قد سار مثل مواطنه ابن الكردبوس على نهج الأقدمين من حيث الاهتمام بذكر الغرائب والعجائب التى لا تحتمل التصديق ، ويبدو أن نزعة الرواية قد غلبت عليه فى هذا الصدد ، إلا أنه مع ذلك كان فى كثير من الأحيان يتدخل بآراء ومعلومات لغوية وتاريخية قيمة تستحق التقدير والعناية ومثال ذلك : اهتمامه كما سبق أن قلنا بضبط المواقع الجغرافية ضبطاً صحيحاً ، وهى مسألة وإن كانت معروفة لذوى الاختصاص ، إلا أن هناك كثيراً ممن يخطئون فى نطقها حتى اليوم ، ومثال ذلك قوله : وطُليطُله بضم الطاء الأولى والثانية ، ونهر تاجُه بضم الجيم وسكون الهاء ، واشبيليَه ، بكسر الهمزة واللام وتخفيف الياء ثم هاء تأنيث ، ولبله بفتح اللام أو كسرها ، وغرناطه بفتح الغين ؛ واكشونبه Oxonoba ، بعضهم ينطقها أشكونبه أو أشكونيه والصحيح على حد قول ابن مزين أكشونبه بتقديم الكاف ؛ وكُوره Kora بضم الكاف ومعناها الصقع أو الناحية وتطلق أيضاً على المدينة ؛ ورُذْريق Rodrigo بضم الراء الأولى وسكون الذال . . . الخ .

ويلاحظ هنا أن النطق العربى لهذه الأسماء يتفق مع نطقها الاسبانى ، وهذا شىء معقول ، لأن أصول هذه الكلمات إسبانية وليست عربية .

وعندما يتكلم ابن الشباط عن الخلاف الذى قام بين موسى وطارق ، ينص صراحة على أنه سوء تفاهم بسيط حول اختصاصات القائد العام لم يلبث أن زال سريعاً باعتذار قدمه طارق لموسى . كذلك انكر ابن الشباط الرواية القائلة بأن المائدة التى عثر عليها طارق فى طليطلة ، تنسب إلى النبى سليمان موضحاً بأنها كانت من صنع رجال الكنيسة لوضع الأناجيل عليها .

وعندما يصف مدينة سرقسطة بأنها مشهورة بالملح الذّرانى ، وهو الملح الشديد البياض ، نجده يتناول كلمة ذرانى بالشرح والتحليل فيقول بأنها من الذُراة وهو بياض الشيب والمعنى هنا مجازى أى الملح الأبيض ، ثم يضيف ولا تقـــل درانى أو درانى بالدال المعجمة ولكن بالذال المنقوطة[1] . وهذه الإشارة مهمة لأن بعض الكتاب كتبها بالدال مثل الحميرى صاحب الروض المعطار[2] الذى عاش بعد ابن الشباط بحوالى قرن . كذلك كتبها دوزى فى معجمه اندرانى ودارنى نقلا عن ابن بطوطة ولم يشرح معناها[3] . أما ليفى بروفنسال فقد ترجم هذه الكلمة على اعتبار أنها من الدّر le Sel gemme[4] أى الملح المتبلور اللامع الذى يشبه الدرر .

مثل آخر يدل على دقة ابن الشباط وسعة اطلاعه ، وهو أنه عند كلامه على بلاد الافرنج يقول : وأَفْرَنْجه ، بفتح الهمزة والراء ، على وزن أَفْرَنْسَه ، وأفرنجه معرب من أفرنسه . فإطلاق اسم افرنسه على ما نسميه اليوم بفرنسا ، لا نجده إلا فى روايات ابن الأثير[5] وصاعد الأندلسى[6] وابن الخطيب[7] ،

(١) ابن الشباط لوحة ١٥٥ ، ١٦٢

(٢) الحميرى ، الروض المعطار ص ٩٦

(٣) انظر (Dozy: *Supplement aux Dic. Arabes*, I, p. 420).

(٤) راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ١١٨ من الترجمة الفرنسية) .

(٥) يقول ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) فى كتابه الكامل (ج ٥ ص ١٠٢ ، الطبعة المنيرية) ، «وفى هذه السنة (أى ١٨٥ هـ) سير الحكم بن هشام جيشاً إلى بلاد الفرنج فخربوا كثيراً من بلاد فرانسيه» .

(٦) يقول صاعد الأندلسى فى هذا الصدد (ت ٤٦٢ هـ) : وهذا الجبل (هيكل الزهرة) هو الحاجز ما بين الأندلس وبين بلاد افرانسه من الأرض الكبيرة . راجع (طبقات الأمم ص ٩٩) .

(٧) لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) وهو متأخر عن الشباط ذكر هذا الاسم عند كلامه عن «غزو الفرنجه المتصلة بأرض إفرنسه» انظر (أعمال الاعلام ص ٧٤ نشر ليفى بروفنسال) .

هذا ومن المعروف أن امبراطورية شرلمان كانت قد قسمت بمقتضى معاهدة فردان سنة ٨٤٣ م إلى الأقسام الثلاثة الآتية : إيطاليا وجرمانيا ثم غاليا La Gaule التى أطلق عليها بعد ذلك اسم فرنسا فى عهد شارل الأصلع Charles le Chauve (٨٤٣ — ٨٧٧ م) .

راجع (Larousse du XX^e siècle, tome III, p. 603, France)

أما بقية كتاب العصر الوسيط فقد أطلقوا على هذه البلاد اسم الأرض الكبيرة أو غاليا أو بلاد الافرنج . فابن الشباط فى هذا الصدد يعتبر من أوائل الكتاب الذين كتبوا ونطقوا اسم فرنسا كتابة ونطقاً سليماً .

مثل أخير ، نقف عنده فى شيء من التفصيل لأهميته التاريخية والجغرافية ، وهو يدور حول النص الذى أورده ابن الشباط عن وقعة السواقى الفاصلة التى هزم وقتل فيها ملك القوط رذريق Rodrigo أمام جيوش المسلمين بقيادة طارق ابن زياد بعد معركة عنيفة دامت ثمانية أيام (الأحد ٢٨ رمضان إلى الأحد ٥ شوال سنة ٩٢ هـ/١٩ إلى ٢٦ يوليو سنة ٧١١ م) . وهذا الاسم ، لم يذكره أحد من المؤرخين سوى مؤرخ مجهول الاسم فى كتاب له بعنوان : « فتح الأندلس »[1] ، حيث يرد اسم هذه الوقعة تارة باسم السوانى ، وتارة أخرى باسم السواقى ، وكلاهما معناهما واحد تقريباً .

هذا ويبدو أن هذا الاسم أيضاً قد ورد فى تاريخ المؤرخ القرطبى المشهور أحمد بن موسى الرازى (ت ٣٤٤ هـ/٩٥٥ م) . وهذا التاريخ كما هو معروف مفقود للأسف ، إلا أنه توجد له ترجمة برتغالية قديمة بعنوان : Crónica del moro Rasis ، كتبها راهب برتغالى اسمه خيل بيريث Gil Pérez بمعاونة بعض كتاب المسلمين وبأمر من ملك البرتغال ديونيسيو D. Dionisio الذى حكم

(١) نشر هذا الكتاب مع ترجمة اسبانية له المستشرق الاسبانى خواكين جونثالث J. Gonzáles (الجزائر ١٨٨٩) معتمداً فى ذلك على نسخة خطية فى المكتبة الوطنية بالجزائر رقم ١٨٧٦ هذا وقد كتب استاذنا غرسية غومس García Gómez دراسة حول هذا الكتاب تحت عنوان :
(García Gómez: Novedades sobre la crónica anónima, titulada: *Fath al-Andalus*, en *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales de la Faculté des Lettres d'Alger*, tome XIV, 1945, pp. 31-42).
راجع كذلك تعليق أستاذنا إلياس تيريس سادبا Elías Terés Sádaba على هذا البحث السابق فى مجلة (Al-Andalus, tomo XX, fasc. I, 1955, p. 237).
وكذلك تعليق سانشث البرنث :
Sánchez Albornoz: *Precisiones sobre Fath al-Andalus*, Revista del Instituto de Estudios Islámicos en Madrid, vols. IX y X, pp. 1-22 (1961-1962).

فى الفترة ١٢٧٩ — ١٣٢٥ م . ولم تلبث هذه الترجمة أن كتبت بعد ذلك فى نسخ عديدة امتلأ بعضها بالأخطاء والتحريفات ، فاختلف بعضها عن بعضها فى كثير من الألفاظ والعبارات . ونتج عن ذلك أن اسم السوانى أو السواقى السالف الذكر ، قد كتب فى هذه النسخ البرتغالية العديدة لترجمة الرازى بأشكال مختلفة مثل : Saguyue, Sagoneira, Sangonera, Sagaynera, Sagoynera, Segonera . . . الخ[١]

على أن المهم هنا هو أن هذا الاختلاف فى تسمية هذا المكان ، لم يلبث أن انتقل إلى المصادر والحوليات التاريخية الإسبانية ، التى حاولت بدورها ، على ضوء هذه التسميات ، أن تحدد بمعرفتها مكان هذه المعركة جغرافياً فى اسبانيا .

ففى ملحمة فرنان جونثالث Fernán González ، ورد هذا الاسم على شكل Sangonera وهو اسم نهر فى مقاطعة مرسية شرقى اسبانيا ، ويسمى كذلك بوادى التين Guadatin أو Guadalentin ويصب فى نهر شقورة Segura ، وعلى هذا الأساس افترضت الملحمة المذكورة أن هذه المعركة الفاصلة بين المسلمين والقوط ، وقعت عند هذا المكان بين مدينتى مرسيه Murcia ولورقه Lorca شرقى الأندلس[٢] .

وفى أواخر القرن الماضى خرج المؤرخ الاسبانى إدواردو سابدرا برأى جديد ، اعتمد فيه على كلمة Saguyue التى وردت فى إحدى النسخ البرتغالية لترجمة الرازى كتسمية لهذا المكان . وافترض بأنها تنطبق على المكان المسمى حتى اليوم باسم Segoyuela[٣] فى ولاية شلمنقه Salamanca فى شمال اسبانيا ، وقال

---

(١) راجع (*Crónica Geral de Espanha de 1344*, vol. II, p. 332, Edição crítico de texto portugués, pelo: Louis Felipe Lindley Cintra, *Academia Portuguesa de Historia* (Lisboa. MCMLIV).

(٢) راجع (E. Saavedra: *Estudio sobre la invasión de los Árabes en España,* p. 100).

(٣) الاسم الكامل لهذا المكان هو Segoyuela de los Cornejos شرقى بلدة تامس Tamames فى ولاية سلمنكا .

بأن هذا اللفظ قريب الشبه من كلمة السواقى أو السوانى السالفة الذكر . كذلك حاول سابدرا تدعيم نظريته هذه بنص تاريخى قديم ورد فى ترجمة الرازى وفى بعض الحوليات الإسبانية القديمة[1] مثل حولية أو تاريخ الملك الفونسو الثالث الملقب بالعظيم El Magno — التى كتبت فى أواخر القرن التاسع الميلادى ، أى فى تاريخ سابق لترجمة الرازى . وهذا النص يقول بأنه فى القرن التاسع الميلادى عندما أمر الملك الفونسو الثالث بتعمير مدينة بيزيو Viseo شمـالى البرتغال ، عثر فيها على مقبرة نقش على شاهدها باللغة اللاتينية ما معنـاه : « هنا يرقد الملك دون رودريجو آخر ملوك القوط »[2] .

فالمؤرخ سابدرا اعتمد على هذا النص فى تدعيم نظريته القائلة بأن الملك رذريق لم يمت فى معركة البحيرة أو وادى لكه التى انهزم فيها أمام طارق ابن زياد فى جنوب اسبانيا بل فر شمالا إلى ولاية سلمنكا حيث التقى مرة أخرى مع جيوش المسلمين فى معركة ثانية عند بلدة Segoyuela انتهت بمقتله فى أواخر صيف سنة ٧١٣ م ، ثم دفنه هنـاك فى مكان قريب عند بلدة بيزيو Viseo السالفة الذكر[3] .

واقد ذاعت نظرية سابدرا ، وأخذ بها عدد كبير من المؤرخين وعلى رأسهم المؤرخ الإسبانى المعروف فرانسسكو سيمونيت فى كتابه تاريخ المستعربين فى اسبانيا[4] .

(١) من هذه الحوليات نذكر :
Crónica de Alfonso III (El Magno), Crónica de Albelda y la Crónica Profética.

(٢) انظر (Menéndez Pidal: *Floresta de Leyendas heroicas españolas, Rodrigo el último rey godo,* página LXXX).

(٣) (E. Saavedra: *Estudio sobre la invasión de los Árabes en España,* pp. 99-100).

(٤) راجع (Francisco Simonet: *Historia de los Mozárabes de España,* pp. 23-29) (Madrid, 1897-1903).

على أن ذلك لم يمنع من أن عدداً من المؤرخين البارزين قد عارضوا نظرية سابدرا وأبدوا شكوكهم فى صحتها . وقد اتسمت هذه المعارضة أحياناً بطابع التحفظ والاختصار كما هو الحال فى كتابات منندث بيدال[1] ، وليفى بروفنسال[2] ، وأحياناً أخرى بطابع الاطناب والاسهاب كما فعل المؤرخ الاسبانى سانشث البرنث فى بحثه القيم ، أين ومتى مات دون رودريجو ؟[3] .

ونظراً لأهمية هذا البحث الأخير بالنسبة لما ورد هنا فى المتن وفى الرواية العربية والإسبانية بصفة عامة حول هذه المعركة الفاصلة ومكانها ، فإننا نلخص آراءه فى النقط الآتية :

أولا : يتفق سانشث البرنث مع ما أجمعت عليه الرواية العربية من أن المعركة الفاصلة بين المسلمين والقوط ، كانت معركة واحدة حدثت فى أراضى شذونه جنوبى غرب اسبانيا وانتهت بهزيمة ملك القوط وهلاكه .

ثانياً : يرى أن كلمة Saguyue التى اعتمد عليها سابدرا كأصل لكلمة Segoyuela ، لم ترد إلا فى نسخة رديئة من ترجمة الرازى ، وأن جميع النسخ الجيدة لهذه الترجمة فضلا عن كتب التاريخ والملاحم القديمة ، قد أوردتها على شكل Sigonera ، Sagonera التى هى فى نظره قراءة محرفة لكلمة شذونه التى كانت تسمى فى القديم Gigonza ، Saguntia ثم اتخذت — حسب قوله — روايات سماعية مختلفة مثل : Sidonna ، Sadunna ثم Sadunera أو Sidonera إلى أن صارت Sigonera أو Sagonera التى وردت فى ترجمة الرازى وفى الحوليات الاسبانية القديمة .

ويعلل سانشث البرنث ذلك بأن منطقة شذونه ظلت فى حوزة المسلمين حتى وقت متأخر حينما استولى عليها الملك الإسبانى الفونسو العاشر المعروف

---

(١) راجع (Menéndez Pidal: *Leyendas del último rey godo*, p. 141-142).

(٢) راجع (Lévi-Provençal: *Histoire de l'Espagne Musulmane*, tome I, p. 25).

(٣) راجع (Claudio Sánchez Albornoz: *¿Dónde y cuando murió Don Rodrigo? Cuaderno de Historia de España*, III, pp. 5-105. Buenos Aires, 1945).

بالعالم El Sabio فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ، وهذا يعنى أن بعض المؤرخين الاسبان القدامى قد نقلوا هذه التسمية إما عن طريق الرواية السماعية الخاطئة وإما جهلا بجغرافية هذه المنطقة الجنوبية نظراً لكونها وقتئذ تحت سيطرة الإسلام .

ثالثـاً : يرى أن النص الذى ورد فى حولية الفونسو الثالث وغيرها من المصادر الاسبانية القديمـة حول نقش بيزيو Viseo ، قد اعترض على صحته بعض العلماء المحدثين ، ومع التسليم جدلا بصحته ، فإنه ليس من المستبعد أن يكون جثمان الملك رودريجو قد حمله اتباعه بعد هلاكه فى معركة وادى لكه إلى مدينة بيزيو Viseo شمالى البرتغال حيث دفنوه هناك بعيداً عن ميدان القتال . وقد يؤيد ذلك ما هو معروف عن تقاليد الشعوب الجرمانية — ومنها الشعب القوطى — من أنها تقدس الارتباط بسيدها وعدم التخلى عنه ولو بعد هلاكه فى المعركة . وهذه العـــادة ظلت متبعة فى اسبانيا بعد ذلك خلال العصر الوسيط .

رابعاً : يرى كذلك أن وجود نص بيزيو Viseo السالف الذكر فى ترجمة الرازى ، ليس فى الواقع من عمل الرازى نفسه ، وإنما من صنع المترجم البرتغالى Gil Pérez الذى أقحمه فى الترجمة نقلا عن حولية الفونسو الثالث التى كان يعرفها فى ذلك الوقت حق المعرفة . والدليل على ذلك أن جميع المؤرخين المسلمين على السواء ، ولا سيما الذين نقلوا عن الرازى لم يذكروا هذه العبارة فى كتبهم .

هذه هى أهم آراء سانشث البرنث عرضناها باختصار ، وهى آراء قيمة بلا شك ، إلا أنها هى الأخرى لم تسلم من اعتراضات بعض المؤرخين أمثـال المستشرق الاسبانى فلكس إيرناندث الذى كتب مقالا حديثاً يقول فيه(١) بأن

---

(١) راجع (Félix Hernández Giménez: *Acerca de Majadat al-Fath y Saguyue;* Al-Andalus, volumen XXIX, 1964, fasc. I, pp. 1-21).

كلمة Saguyue أو Sagonera ... الخ التى وردت فى الترجمة البرتغالية لتاريخ الرازى ، تتفق كثيراً مع كلمة السواقى أو السوانى التى جاءت فى كتاب فتح الأندلس ، وأنه غير بعيد بالمرة أن تكون هذه الكلمة قد وردت كذلك فى الأصل العربى المفقود من تاريخ الرازى ، وأن صاحب كتاب فتح الأندلس قد نقلها عنه . ثم يضيف فلكس إيرناندث بأنه وإن كان لا يستطيع تحديد مكان السواقى ، إلا أنه يستبعد رأى سانشث البرنث القائل بأن كلمة Sigonera وأخواتها هى تحريف لكلمة Saguntia أو Gigonza التى هى شذونة العربية . وذلك لأن السواقى أو السوانى تسيمة نوعية عامة ، أما شذونة فإسم علم خاص . ثم يختم مقاله مؤيداً رأى سانشث البرنث الخاص باستبعاد وقوع لقاء ثان بين ملك القوط والمسلمين فى شمال اسبانيا ، وبأن العبارة التى وردت عن مقبرة بيزيو قد أقحمها مترجم الرازى فى ترجمته نقلا عن حولية الفونسو الثالث أو غيرها من المصادر الاسبانية القديمة .

وبعد ، هذا عرض سريع للآراء التى أثيرت حول هذه المعركة الإسلامية الأولى والفاصلة فى فتح الأندلس . والآن ، يحق لنا أن نتساءل ، ما هى أهمية النص الذى أورده ابن الشباط هنا فى المتن حول معركة وادى لكه والسواقى ؟ وما هى قيمته التاريخية بالنسبة للآراء المتقدمة فى هذا الشأن ؟

للاجابة على هذا التساؤل ، ينبغى أن نشير إلى الملاحظات التالية :

أولا : يفهم من النص الذى بين أيدينا أن لذريق ملك القوط نزل بجيوشه فى وادى لكه بكورة شذونه فى جنوب غرب اسبانيا ، بينما نزل طارق بجيوش المسلمين فى موضع قريب منه ، ثم التقى الجمعان هناك يوم الأحد ٢٨ رمضان سنة ٩٢ هـ (١٩ يوليو سنة ٧١١ م) واستمر القتال بينهما ثمانية أيام ، انهزم خلالها القوط ثم أفلت ملكهم إلى موضع قريب يقال له السواقى فامتد القتال إلى هناك ، وانتهى الأمر بمصرع الملك القوطى دون أن تعرف شخصيته أو بغرقه فى الوادى عندما أراد التستر بأعشابه ، ولم يعثر على جثة الملك ولكن

وجد فى ذلك المكان خف منظوم بالدر والياقوت قد سقط من رجله . ثم يضيف ابن الشباط أن طارق بن زياد بعد هذا النصر الذى أحرزه نزل بجيوشه مدينة شذونه !

هذا الوصف المتقدم يبين أن المعركة كانت واحدة ، وأنها دارت كلها فى منطقة واحدة وهى كورة شذونة ، كما أنها استغرقت مدة طويلة دامت ثمانية أيام[1] فى صراع وكر وفر ومتابعه ، ثم انتهت بهلاك ملك القوط فى موضع فى تلك المنطقة يقـال له السواقى ثم نزل طارق بعد انتصاره فى قاعدة هذه الكورة وهى مدينة شذونه .

وهذا الوصف ينطبق تمامـاً مع ما جاء فى كتاب فتح الأندلس مع فارق واحد وهو أن هذا الكتاب الأخير مجهول المؤلف ، بينما الوصف الذى أورده هنا ابن الشباط قد نقله — كما يقول هو نفسه — من كتاب مختصر تاريخ الطبرى للمؤرخ القرطبى عريب بن سعد . وهذا التشابه بين النصين يجعلنـا نرجح أن كلا من المؤلفين قد نقل مادته من مصدر تاريخى واحد وهو فيما يبدو تاريخ الرازى السالف الذكر ، ذلك لأننا عند مقارنة كلامهما بالوصف الذى ورد فى الترجمة البرتغالية للرازى ، نجد تشابهاً كبيراً يكاد يكون

---

(١) تحديد مدة المعركة بثمانية أيام ابتداء من الأحد ٢٨ رمضان سنة ٩٢ هـ (١٩ يوليو سنة ٧١١ م) ورد أيضاً فى عدة مراجع أخرى مثـل كتاب فتح الأندلس لمؤلف مجهول ص ٨ وكذلك في ترجمة الرازى :

Crónica Geral de Espanba de 1344, edição crítica do texto português, pelo: Louis Felipe Lindley Cintra, vol. II, p. 331 (Lisboa, 1954).

وكذلك ورد أيضاً فى (الحميرى : الروض المعطار ص ١٦٦) حيث يقول فى وصف لـكة : وعلى نهر لكة التقى لذريق ملك الأندلس فى جموعه من العجم ، وطارق ابن زياد فى من معه من المسلمين يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان لسنة ٩٢ من الهجرة ، فاتصلت الحرب بينهم الى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعده (٢٦ يوليو سنة ٧١١ م) ثم هزم الله المشركين فقتل منهم خلق عظيم ، أقامت عظامهم بعد ذلك دهراً طويلا بتلك الأرض . راجع كذلك الترجمة الفرنسية ص ٢٠٤ وحواشيها حيث يشير المترجم أن النص منقول عن الرازى) أما ابن القوطيه وصاحب أخبار مجموعة فقد أشارا إلى المعركة بدون تحديد مدتها .

مطابقـاً [1] ، اللهم إلا من بعض الخلافات التى لا نشك فى أنها من صنع المترجم نفسه وأهمها ذلك النص الخاص بمقبرة بيزيو Viseo الذى ورد فقط فى بعض المصادر الاسبانية القديمة ، أما المصادر العربية ولا سيما التى نقلت عن الرازى ، فإنها لم تشر اطلاقـاً إلى هذا النص مما يدل على أنه قد أقحم فى الترجمة كما سبق أن اشار بذلك أيضاً كل من سانشث وفلكس إيرناندث .

ثانيـاً : فيما يتعلق بكلمة السواقى التى وردت فى المتن ، فهى جمع ساقية ومعناها الناعورة المـائية ، وقد تعطى أيضاً معنى النهر الصغير الذى هو فوق الجدول ودون النهر . وقد اشتهرت منطقة شذونة — كما هو واضح فى وصف الرازى — بكثرة مياهها وأنهارها وسواقيها وأرحائها أو طواحينها التى يديرها الماء لرى الأراضى الزراعية . فإذا كان المقصود بكلمة السواقى ذلك المعنى العام ، فإنه فى هذه الحالة يصعب تحديد مكانها [2] وإن كان الرازى قد حصر منطقة الأرحاء والسواقى المائية فى جبل مشرف على شذونة اسمه كما ورد فى الترجمات المختلفة للرازى Montebir أو Montebur . وهذا الاسم قد اندرس الآن وإن كان جايبجوس قد حاول تحديد مكانه فيما بين شريش Jerez وأركش Arcos التى تقع فى شمالها [3] .

---

(١) يقول الرازى : وبعد معركة عنيفة دامت ثمانية أيام فى صراع ومتابعة ، اختفى الملك دون رودريجو ولم يعثر له إلا على نعل ثمين لا يستعمله إلا رجل واسع الثراء والنفوذ مثله . ولهذا اعتقد البعض أنه غرق فى البحر (كذا !) بينما اعتقد البعض الآخر أنه فر إلى الجبال المجاورة حيث أكلته الحيوانات المفترسة . وبعد وقت طويل عثر فى بلدة بيزيو Viseo على مقبرة نقش على شاهدها العبارة التالية : « هنا يرقد دون رودريجو آخر ملوك القوط الذى هلك فى وقعة Sangonera وحكم أربع سنوات » .

راجع الترجمة البرتغالية فى (*Crónica Geral de Espanha de 1344*, vol. II, pp. 330-332)

(٢) اطلقت كلمة ساقية وناعورة على عدة أماكن فى الأندلس ففى ولاية غرناطة مثلا نجد مكاناً باسم Acequias أى السواقى ، وفى بلنسية نجد مكاناً آخر باسم وادى السواقى Guadasequies وفى المرية نجد Anoria وفى قرطبة Añora وفى لاردة Naura وفى مرسية وغرناطة Noria, Nora وكلها معناها الناعورة . راجع :

(M. Asín Palacios: *Contribución a la Toponimia Árabe de España*, pp. 42, 75, 111, 125).

(٣) انظر (Pascual de Gayangos: *Memoria sobre la autenticidad de la Crónica denominada del moro Rasis*, p, 58, notas 4 y 5).

هذا إذا كان المقصود بالسواقى هو معناها العربى المعروف ، أما إذا كانت كلمة السواقى هى تعريب أو تحريف لاسم مكان علم فى منطقة شذونة ، فإننا لا نجد فيها لفظاً قريباً منها سوى كلمة سقا Saca التى وردت فى الترجمة البرتغالية والإسبانية للرازى على أنها مدينة فى مراعى[1] شذونة بالقرب من الساحل . أما ليفى بروفنسال فقد سماها فى ترجمته الفرنسية للرازى باسم شاوقة وقال بأنها هى التى حرفت فيما بعد إلى سان لوكر الحالية Sanlúcar de Barrameda [2] [3] التى تقع فى شمال غرب شريش عند مصب الوادى الكبير على ساحل المحيط الأطلسى فى أقصى شمال غرب كورة شذونة . ولا ندرى على أى أساس فسر ليفى بروفنسال كلمة Saca بشاوقه ، ولكن على أى حال فإنه يحتمل أن يكون ذلك المكان هو المقصود بالسواقى على اعتبار أنه كان المأوى الأخير الذى انسحب إليه ملك القوط وهلك فى نهره أو بحره ، وقد يؤيد ذلك إشارة

(١) راجع الترجمة البرتغالية فى : (*Crónica Geral de Espanba,* II, p. 73).
والترجمة الاسبانية فى :
(Pascual de Gayangos: *Memoria sobre la autenticidad de la Crónica denominada del moro Rasis*, p. 58-59).

(٢) راجع نص الترجمة الفرنسية فى :
(Lévi-Provençal: *La Description de l'Espagne de Rasi*, Al Andalus, vol. XVIII, 1953, fasc. I, pp. 96-97).

(٣) ذكر أسين بلاثيوس أن شاوقه اسم عربى لقلعة حصينة ذات أبراج سبعة كانت قائمة فى ذلك المكان عند مصب الوادى الكبير ثم تطور اسمها إلى Solucar, Xoluca وأخيراً Sanlúcar الحالية وأما معنى شاوقه فهو الرياح الشرقية أو الجنوبية الشرقية الحارة التى تعرف بالشروق ومنها جاءت الكلمات الاسبانية Siroco, Jaloque بمعنى الزوابع الشرقية . راجع
(Miguel Asín Palacios: *Contribución a la toponimia árabe de España*, p. 133), (Madrid-Granada, 1944).

أما دوزى ، فقد فسر كلمة شاوقه بمعنى السفاهة وقلة الحياء ، فالمرأة الشلقة أو الشلوقة هى المرأة الماجنة الوقحة . راجع (R. Dozy: *Supplement* I, p. 782a).

ويبدو أن المعنى الأول الذى أورده أسين هنا هو الذى ينطبق على هذه التسمية بدليل ما ورد فى المعجم الجغرافى الاسبانى لمادوث من أن هذه المنطقة كانت معرضة لرياح شرقية شديدة الحرارة فى فصل الصيف راجع : (Madoz: *Diccionario Geográfico de España*, t. XIII, p. 738 b.)

البارين السريعة باحتمال غرقه فى البحر . كذلك إذا افترضنا صحة نقش قبر بيزيو Viseu السالف الذكر ، فإنه من هذا المكان كان يسهل على رجال رودريغو نقل جثمان سيدهم إلى تلك البلدة فى شمال البرتغال ودفنه هناك .

ثالثاً : فيما يتعلق بكورة شذونة التى أجمع المؤرخون على أن هذه المعركة الفاصلة قد وقعت بأرضها ، فإنها كانت منطقة واسعة فى جنوب غرب اسبانيا ، تبلغ مساحتها خمسين ميلا فى مثلها ، وتمتد إلى جانب المحيط الأطلسى حتى مصب الوادى الكبير شمالا ، يحدها من الشرق كورة الجزيرة الخضراء Algeciras ، ومن الجنوب إقليم البحيرة Laguna de la Janda ، ومن الشمال كورة مورور ، ومن الغرب المحيط الأطلسى . وقد امتازت كورة شذونة بخصوبة أرضها وكثرة خيراتها البرية والبحرية ، ووفرة مياهها وأرحائها المائية ، وتعدد أنهارها مثل نهر البرباط Río Barbate الذى يخترق البحيرة ويصرف مياهها فى البحر المحيط ، ومثل وادى لكه Guadalete الذى يخترق أراضيها بنواحى مدينة شريش Jerez de la Frontera ويصب فى المحيط بالقرب من قادس Cádiz . وأما مدنها فهى عديدة وأهمها شريش وقادس ثم مدينة سقا أو شاوقة السالفة الذكر[1] .

واسم شذونة موجود من قديم وبنفس الاسم تقريباً وقد ورد على شكل Saduna أو Saguntia أو Saturny .. الخ ثم جاء المسلمون وأبقوا على هذا الإقليم وتسميته مثلما أبقوا على غيره من الأقاليم الإدارية الاسبانية التى كانت

(١) راجع وصف كورة شذونة فى (الحميرى : الروض المعطار ص ١٠٠ — ١٠١ ؛ ابن غالب : فرحة الأنفس ، نشر لطفى عبد البديع فى مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥ ص ٢٩٤ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٤٤ ؛ ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ٢٣٢ — ٣٠١ ، تحقيق شوقي ضيف (مجموعة ذخائر العرب رقم ١٠) حيث ترد أيضاً أسماء الكتب التى ألفها ابن سعيد عن كورة شذونة ومدنها الهامة) راجع كذلك وصف الرازى لشذونة فى الترجمات السالفة الذكر (البرتغالية ص ٧٣ ، والاسبانية ص ٥٨ ، والفرنسية ص ٩٦) .

على عهد الرومان والقوط[1] ، وأطلقوا عليه اسم كورة شذونة كما اتخذوا لهم فيه مدينة أى قاعدة عسكرية سموها مدينة شذونة أى بنفس اسم الكورة . وهذه العادة — أى عادة تسمية الحاضرة باسم الولاية — كانت شائعة جداً فى معظم البلاد التى خضعت للحكم الإسلامى .

على أن المهم هنا ، هو ما يبدو بوضوح من وصف الرازى ومن بعض المصادر الإسبانية ، من أن المراد بمدينة شذونة — قاعدة الإقليم — هو مدينة شريش Jerez التى كانت تسمى كذلك شريش شذونة Xerez Saduna أو Eixarez Saturny [2] يضاف إلى ذلك أن جميع المصادر العربية التى تناولت وصف الأندلس ، قد نصت على أن شريش كانت قاعدة أو حاضرة كورة شذونة[3] ، وهذا يعنى احتمال تسميتها باسم كورتها جرياً على العادة المتبعة فى كثير من الأقاليم الإسلامية ، وقد يؤيد ذلك أيضاً أن وصف شذونة قد ورد فى الرازى تحت عنوان : وصف شريش[4] . وهذا كله يعنى أن مدينة شريش كانت تسمى أيضاً بمدينة شذونة على اعتبار أنها قاعدة إقليم شذونة كله ، مثلها فى ذلك مثل مدينة القاهرة التى تسمى أيضاً مصر باعتبار قاعدة مصر كلها .

---

(١) راجع (حسين مؤنس : التقسيم الادارى للاندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ — ٢ ، ١٩٥٧ ص ٣١٨ ، ٣٢٦ والقسم الأوربى ص ٧٩ ، ١٣٦).

(٢) راجع وصف الرازى (الترجمة البرتغالية ص ٣٧ والاسبانية ص ٥٧ ، ٥٨ حاشية ٣ ، والفرنسية ص ٩٦) ويؤيد كلام الرازى مؤرخ إسبانى مستعرب قديم عاش فى القرن الثالث عشر الميلادى وألف كتباً عديدة باللغة اللاتينية فى تاريخ الرومان والقوط والعرب وهو اسقف طليطلة دون رودريجو خيمينث دى رادا الذى قال في هذا الصدد ما معناه : « ثم بلغوا (أى الجيوش القوطية والعربية) النهر الذى يسمى وادى لكه بالقرب من سيدونيا التى تسمى حالياً شريش » . راجع :

(El Arzobispo D. Rodrigo Jiménez de Rada: *De Rebus Hispaniae*, cap. XX),

(Dubler (Cesar): *Fuentes árabes y bizantinas en la primera Crónica General; Vox Románica*, XII, p. 195).

(Madoz: *Op. cit.*, IX, p. 625).

(٣) راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٦٠ ، ابن غالب : فرحة الأنفس ص ٢٩٤ فى مجلة معهد المخطوطات العربية نوفمبر ١٩٥٥) .

(٤) راجع وصف الرازى فى الترجمات السالفة الذكر .

على أن هذا الرأى السابق يتعارض مع حقيقة أخرى هامة ، وهى وجود مدينة أخرى بنفس الاسم وفى نفس الكورة وهى مدينة سيدونيا Medina Sidonia [1] التى ما زالت باقية حتى اليوم وتقع فى جنوب شريش عند إقليم البحيرة ووادى البرباط .

ومن هنا نشأ خلاف بين المؤرخين حول تحديد مكان هذه المعركة الفاصلة المعروفة بمعركة وادى لكه :

فهناك فريق يرى أنها حدثت فى شمال كورة شذونة عند وادى لكه Guadalete بالقرب من مدينة شريش[2] التي كانت تعرف بشذونة أيضاً .

وهناك فريق آخر تزعمه سابدرا Saavedra يرى أنها حدثت فى جنوب كورة شذونه عند إقليم البحيرة ووادى البرباط فى المكان المعروف الآن باسم Casas Viejas بجوار مدينة سيدونيا الحالية ؛ ولكى يدعم رأيه افترض أن اسم وادى لكه الذى ورد فى المصادر العربية ما هو إلا تحريف لاسم وادى بكه الذى كان يطلق أيضاً على وادى البرباط لوقوع قرية عليه — اندرست الآن — اسمها بكه Beca فسمى باسمها[3] .

وهناك فريق ثالث وعلى رأسه المستشرق الفرنسى ليفي بروفنسال ، يرى أن هذه المعركة حدثت عند بحيرة لاخاندا بالقرب من المكان السابق ، وعلى

---

(١) هى الآن فى محافظة قادس Cádiz . راجع وصفها فى :
(*Diccionario Geográfico de España,* tomo XII, p. 279 (Madrid, 1960).
Madoz (Pascual): *Diccionario Geográfico-Estadístico, Histórico de España y sus posesiones de Ultramar,* tomo XI, p. 341).

(٢) راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ١٦٩ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، هذا إلى جانب ما ورد هنا فى المتن نقلا عن عريب بن سعد .

(٣) راجع (Saavedra: *Op. cit.,* p. 68-69 هذا ويرى دوزى أن المقصود بوادى لكه هو نهر سلادو *Río del Salado* الذى يقع شمال نهر البرباط (Dozy: *Recherches,* I, p. 307)

هذا الأساس فسر وادى لكه على أنه تعريب لكلمة Locus أو Lago ومعناها البحيرة [1] .

ورأينا فى الموضوع ، أن هذه المعركة التى توقف عليها مصير اسبانيا فى يد المسلمين ، كانت أكبر وأعظم من أن تحدد بمثل هذه الأماكن المحدودة الضيقة . لقد كانت معركة واسعة النطاق بدأت طلائعها منذ نزول طارق إلى أرض اسبانيا ، وحشد فيها ملك القوط كل ما يستطيع حشده من مال ورجال وسلاح بدرجة روعت طارق وأزعجته ، وقد عبر عن ذلك صاحب أخبار مجموعة عند ما قال :

وكتب طارق إلى موسى يستعدّه [2] ويخبره أن قد فتح الله الجزيرة واستولوا عليها وعلى البحيرة ، وأنه قد زحف إليه ملك الأندلس بما لا طاقة له به ! وكان موسى مذ وجه طارقاً أخذ فى عمل السفن حتى صارت معه سفن كثيرة ، فحمل إليه خمسة آلاف ، فتوافى المسلمون بالأندلس عند طارق إثنا عشر ألفاً [3] .

ولا شك أن معركة بمثل هذه الحشود الكبيرة ، وهذا الهدف الخطير ، وهذه المدة الطويلة التى استغرقها فى صراع وطراد ومتابعة ، لابد وأن تكون معركة عظيمة تليق بمكانة هذا الفتح العربى العظيم ، معركة لم تقتصر رحاها على جنوب شذونة أو شمالها بل شملت جميع أنحاء هذه المنطقة ، فهى معركة كورة شذونة بأسرها وليست معركة مدينة شذونة قاعدتها . ومن هنا جاز لنا

---

(١) راجع :
(Lévi-Provençal: *Histoire de l'Espagne Musulmane*, tome I, p. 20-21 (Paris-Leiden, 1950).

(٢) كذا ، ولعلها يستغذه بمعنى أنه يطالبه بالاسراع فى السير لنجدته .

(٣) انظر (كتاب أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ، لمؤلف مجهول ص ٧ (مدريد ١٨٦٧) .

أن نقول بأن ما ورد فى كتب التاريخ من تسميات مختلفة لهذه المعركة مثل : البحيرة ، ووادى بكه ، ووادى البرباط ، ووادى لكه ، وشريش ، والسواقى ، ما هى فى الواقع إلا تسميات لتلك الأماكن التى دارت وتشعبت عندها تلك المعركة الكبيرة فى أراضى كورة شذونه .

وقد يشفع لنا فى هذا القول أن جميع المعارك التى حدثت بعد ذلك فى بقية أنحاء اسبانيا ، كانت بمثابة مناوشات بسيطة بالنسبة لهذه المعركة الفاصلة بحيث لم يستغرق استيلاء المسلمين على اسبانيا بعد ذلك رغم وعورة مسالكها وقسوة مناخها ، أكثر من سنتين فقط ، وهذا يدل على أن المقاومة الجدية كانت قد انتهت وأن اتمام عملية فتح الأندلس كان على حد قول بعض المؤرخين الاسبان ، « مجرد نزهة عسكرية » « un paseo militar »[1] .

(١) راجع على سبيل المثال :
(A. Jiménez Soler: *La Edad Media de la Corona de Aragón*, p. 19-20, *Colección Labor*, N.° 223-224).

النص الأول

—

قطعة من كتاب الاكتفاء فى اخبار الخلفاء

لابن الكردبوس

وأقام الوليد سنتين ، فحج بالناس ، وكان عامياً قليل المعرفة بالأدب لكونه رُبى فى القصور ، وكان يضرب به المثل ، فيقال ألحن من الوليد فى خطبته . وكان يصوم الإثنين والخميس ، وكانت فى أيامه فتوحات كثيرة ، افتتح ما وراء النهر بخراسان والسند وغزا ملك الصين ، وافتتح جزيرة الأندلس .

قال الليث بن سعد ، أخبرنى خادم كان للوليد ، قال : إنى لقريب منه وبين يديه طست وهو يتوضأ ، إذ أتاه رسول من عند وادى خراسان بفتح مدينة من مدنها ، فأعلمته فقال خذ الكتاب منه فقرأه ، فما أتى على آخره ، حتى قدم رسول آخر بفتح السوس الأقصى من قِبَل مروان بن موسى بن نصير فقرأه ، فما أتى على آخره حتى قدم رسول آخر من عند موسى بن نصير بفتح الأندلس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم التفت إلىَّ فقال امسك الباب علىّ ولا تدع أحداً يدخل ، ففعلت ، قال وكان عنده ابن صغير يحبو بين يديه . قال فخرَّ الوليد لله ساجداً شكراً له ، وحبا الصبى إلى الطست فوقع فيه ، فاضطرب وصاح فما التفت إليه ، وأنا لا أستطيع أن أغيثه لما أمرنى من امساك

الباب ، فأطال السجود حتى خفت[1] موت الصبى ثم رفع رأسه وصاح بى ، فدخلت وأخذت الصبى لِمَا به .

قضية فتح الأندلس[2] : وذلك أن الأندلس ومغرب العدوة كانا بأيدى الروم والبربر ، فساحل البحر كله للروم والبرية للبربر ، منهم من بلغته الدعوة فأسلم ومنهم من لم تبلغه الدعوة فبقى جاهلياً ، وكان على طنجة[3] رومى يسمى يليان[4] مُقَدَّمٌ[5] من قبل لذريق[6] ملك الأندلس . وكانت دار ملكه طليطلة ، وكان فيها بيت عليه أقفال ، فكل من يلى منهم الملك ، يزيد قفلا على ذلك البيت ولم يفتحه قط ملك منهم ولا عَلِم ما فيه حتى انتهت الاقفال إلى عشرين

---

(١) فى رواية ابن قتيبه (الامامة والسياسة ج ٢ ص ٧٣) : وأطال السجود حتى خفى صوت الصبى ثم رفع رأسه فصاح بى فدخلت وأخذت الصبى وأنه لما به روح .
وفى رواية عبد الملك بن حبيب : حتى خفت صوت الصبى . (نشر الدكتور محمود مكى تاريخ ابن حبيب فى آخر مقاله عن مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسى . راجع :
(Mahmoud Makki: *Egipto y la Historiografía arábigo-Española;* Revista del Instituto de Estudios Islámicos en Madrid, Vol. V 1957, Fasc. 1-2, p. 221).

(٢) فى نسخة ح : صفة فتح الأندلس .

(٣) يفهم من النصوص أن مدينة طنجة كانت فى ذلك الوقت فى يد المسلمين بينما كان يوليان هذا والياً على مدينة سبته وما حولها . وقد حاول موسى بن نصير فتح معقله سبته ، ولكنه وجد عنده عدة قوة ونجدة ليست تشبه ما قبلها فلم يطقهم ، فرجع عنهم إلى طنجة وجعل يجتث ما حولهم بالمغاورة فلم يطقهم . راجع (أخبار مجموعة ص ٤) ولعل المقصود هنا هو منطقة موريطانيه الطنجية Mauritania Tingtana التى كان يحكمها يوليان قبل أن يصل إليها موسى بن نصير وكانت تشمل المنطقة الشمالية للمغرب الأقصى . راجع :
(E. Saavedra: *Estudio sobre la invasión de los árabes en España* p. 49, Madrid 1892).

(٤) ورد هذا الاسم فى الكتب العربية بالاشكال الآتية : يوليان ، يليان ، وليان ، جليان ، إليان ، اليان ، كذلك اختلفت هذه المراجع حول شخصيته ، فبعضها يرى أنه قوطى ، والبعض الآخر يرى أنه رومى أى بيزنطى ، والبعض الثالث يرى أنه بربرى من غماره ، ولكنها جميعاً تتفق على أنه كان صاحب سبته ونواحيها .
راجع : (Saavedra: Op. cit., p. 48) وكذلك (الدكتور حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ٥٢ – ٥٣) .

(٥) المقدم هنا يعنى قائد الجيش المرابط عند الحدود ، ومنه جاءت الكلمة الاسبانية Almocaden التى تعطى نفس المعنى .

(٦) لذريق أو رذريق ويعرف فى المصادر الاسبانية Rodrigo .

قفلا . فلما رآى لذريق هذا قال لابد أن أفتح هذا البيت حتى أعرف ما فيه ، فقال أَقَامِطَتُهُ وأَقِسَّتُه [1] ، لا تفعل ولا تحدث ما لم يحدثه من تقدمك من الملوك [2] . فقال لابد لى من فتحه والوقوف على ما فيه (١٨١) ففتحه فلم يجد فيه شيئاً غير رَقّ كبير فيه صورة رجال عليهم العمائم وتحتهم صور خيول مُسَوَّمَة ، وفى أيديهم السيوف والرايات على القنى بين أيديهم . وفيه مكتوب بالعجمية هذه صورة العرب ، فإذا فتحت أقفال هذا البيت ودُخل البيتُ ، فتحت العرب هذه الخزيرة وتملكوا أكثرها . فندم على فتحه وأغلقه .

وكانت سير الروم إذ ذاك : إذا كان فيهم من له قدر يدخل بناته قصر الملك الأعظم ، فيكنّ مع بناته ويتأدبن بآدابهن ويتعلمن ما يتعلم بناته من العلوم والصنايع ثم يتخير لهن الملك من أشراف رجاله من يزوجهن منهم فيجهزهن إليهم ليحبب بذلك نفسه إلى الرجال والنساء والصبيان .

وكان يليـــان [3] صاحب سبتة وطنجة من خواص الملك لذريق ووجوه رجاله ، فأنفذ ابنته إليه إلى طليطله ، فكانت فى قصره وكان يزوره جليان مرة فى العام فى أغشت [4] بهدايا وألطاف وطيور للصيد ، وكانت بنته من أجمل النساء [5] فوقعت عين لذريق عليها وهو سكران ، فواقعها وافتضها . فلما صَحَا

---

(١) إقامطه جمع قمط أى كونت أو أمير Conde وأقسته أى قساوسته .

(٢) فى نسخة قديمة لحولية دون رودريجو Crónica de Don Rodrigo (Toledo 1549) ، توجد صورة للوحة خشبية رسم عليها ملك القوط أمام باب حصن كبير مغلق باقفال سبعة وبجواره أسقف وجماعة من النبلاء يحاولون ثنيه عن عزمه بفتح هذا الباب المقدس .
راجع : (Gayangos: Op. cit., Vol. I, app. D. p. Xliv).

(٣) فى نسخة ح : جليان .

(٤) أغشت تعنى شهر أغسطس ، وما زالت هذه الكلمة تستعمل فى المغرب العربى .

(٥) هذه القصة العربية تذكرنا بقصة ابنة المقوقس حاكم مصر ، وقصة ابنة جرجير حاكم إفريقية على عهد البيزنطيين . ولا شك أن هذه القصص كلها من اختراع قصاص العرب إلا أنه يلاحظ أن قصة بنت يوليان لم تلبث أن ذاعت شهرتها بعد أن دخلت فى الاغانى الشعبية الاسبانية Romancero التى أعطتها فوق ذلك اسما وهو فلورندا Florinda . راجع (Saavedra: Op. cit. pp. 58-61) وكذلك (حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٥٩ — ٦٠) .

وأخبر بذلك ، ندم وأمر بكتم ذلك وأن تمنع الصبية ابنة جليان من أن تخلو بأحد فتحدثه أو تكتب معه كتابا إلى أبيها . فلما لم تتمكن الصبية من شيء ، انفذت إلى أبيها هدية عظيمة وفي جملتها بيضة مفسودة . فلما رآها جليان أنكرها وعلم أن ابنته أفسدت ، فجاز إليه في خلاف الوقت المعهود وذلك في شهر يناير ، فقال له لذريق ، ما جاء بك في هذا الشتاء الحاد ؟ قال له جئت لابنتي فإن أمها مريضة وتخاف المنيـة فقالت لي لابد أن أرى ابنتي واتشفّى منها . فقال له وهل نظرت لنا في طيور ؟ فقال قد نظرت لك في صيد طيور لم يُرَ مثلها قط ، وأنا آتيك بها عن قريب إن شاء الله . يعني بذلك العرب . فأخذ ابنته وانصرف ، ومضى من فوره إلى افريقية إلى الأمير موسى بن نصير ، فلقيه بالقيروان . وموسى هذا هو ابن نصير بن عبد الرحمن بن زيد البكري ولد سنة تسع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان معاوية بن أبي سفيان قد ولَّى نُصيراً والد موسى هذا على حرسه فلم يقاتل معه علياً رضي الله عنه . فقال له معاوية ما منعك من الخروج معي على عَلِيٍّ ويدي عليك لم تكافئني بها ؟ فقال له لم يُمَكِّنِّي أن أشكرك بكفر من هو أولى بشكري منك . قال ومن هو ؟ قال الله عز وجل ! قال وكيف لا أُمَّ لك ؟ قال له نصير وكيف ما أَعْلَمك بها [1] فأغضِ وامْضِ ، فأطرق معاوية مليـاً ثم قال : أستغفر الله ورضي عنه .

وكان موسى بن نصير قد أُمِّرَ على افريقية وما افتتح من الغرب [2] في حياة عبد الملك سنة تسع وسبعين وقيل سنة ثمان وسبعين ثم مات عبد الملك فأبقاه الوليد عليها .

ولمـا اجتمع يليان صاحب طنجة مع موسى بن نصير بالقيروان ، أخبره بقصة ابنته وقرَّب عليه مرام غلبة الأندلس وسرعة فتحها وكثرة أموالها وجمال سبيها ، وأنها بلاد مياه كثيرة وجنات وأنهار وغلات .

---

(١) يقصد بذلك أن معاوية كان يعلم في قرارة نفسه أن علي بن أبي طالب أحق منه بالخلافة .
(٢) في ح : المغرب .

وكان موسى ذا رأى وتدبير وحُنكة وتجربة فى جميع الأمور . فقال للنصرانى إنا لا نشكُّ فى قولك ولا نرتاب ، غير أنَّا نخاف على المسلمين من بلاد لا يعرفونها ، وبيننا وبينها البحر وبينك وبين ملكك حمية الجاهلية واتفاق الدين . ولكن ارجع إلى مكانك واجمع جندك ومن يقول بقولك ، وجز إليه بنفسك ، وشن الغارة على بلاده ، واقطع ما بينك وبينه ، وإذ ذاك تطيب النفس عليك ونحن من ورائك إن شاء الله .

فكتب إذ ذاك موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك معلماً بما جاء به يليان فراجعه أن خذها بالسرايا حتى تُختبر ولا تُغَرِّر[1] . وإن يليان انصرف فجمع وحشد وجاز فى مركبين فحل بالجزيرة الخضراء[2] فشن الغارة على تلك البلاد وحرق وسبى وقتل وغنم ورجع وقد امتلأت أيديهم خيراً ، فشاع الخبر فى كل قطر ، ثم اجتمع ناس من البربر نحو ثلاثة آلاف راجل وقدَّموا عليهم أبا زرعة طريف بن مالك المعافرى[3] ، وجاز بهم فحل فى جزيرة ، فسميت طريفا[4] فثبت لها هذا الاسم إلى اليوم ، فشن الغارة وسبى وقتل ورجع

---

(١) فى أخبار مجموعة ص ٥ — ٦ : خضها بالسرايا حتى تختبر ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال . فكتب إليه موسى : أنه ليس ببحر وإنما هو خليج يصف صفة ما خلفه للناظر ، فكتب إليه الخليفة الوليد . وإن كان ! فاختبره بالسرايا .

(٢) تسمى اليوم Algeciras وهى ميناء فى أقصى جنوب اسبانيا بجوار جبل طارق ، وتسمى أيضاً فى المراجع العربية بجزيرة أم حكيم وهى جارية لطارق بن زياد كان قد حملها معه عند غزوه لاسبانيا ثم تركها فى هذه البلدة فنسبت إليها (الروض المعطار ص ٧٣) .

(٣) فى رواية أخرى طريف من ملوك ، وواضح من المتن أنه كان عربياً يمنياً وإن كان بعض المؤرخين يرى أنه بربرى (ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٥) ولقد ظهر اسم طريف بعد ذلك على مسرح الحوادث المغربية على عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بدمشق ، إذ تشير المصادر العربية إلى زعيم خارجى يدعى صالح بن طريف كان زعيما لقبائل برغواطه بتامسنا وهى المنطقة الممتدة من الرباط إلى ما وراء الدار البيضاء حتى مصب وادى أم الربيع وتعرف اليوم بالشاوية . وقد انضم صالح بن طريف إلى الثورة الخارجية التى قام بها ميسره المطغرى الزناتى المعروف بالحقير ضد السياسة الاموية بدمشق .
راجع (ابن الخطيب : أعمال الأعلام — القسم الثالث الخاص بتاريخ المغرب العربى — نشر أحمد مختار العبادى وابراهيم الكتانى ، ص ١٨١ حاشية) .

(٤) ما زالت تعرف هذه البلدة إلى اليوم باسم Tarifa ، وتؤرخ غزوة طريف هذه فى شهر رمضان سنة ٩١ هـ (يوليو سنة ٧١٠ م) .

سالماً ، فكتب يليان إلى موسى بالفتح ، وكتب به موسى إلى الوليد ، فاتفق أن وردت عليه فى ذلك اليوم إحدى عشرة بشارة كلها بفتوحات ، فخرّ ساجداً لله تعالى .

ثم رجع يليان ثانية إلى موسى ، وأعلمه بما كان من فعله وبلائه وحرصه على غزو الأندلس . فدعا عند ذلك موسى مولاه طارق بن زياد[1] ، وعقد له على إثنى عشر ألفاً بين عرب وبربر ، وأمر يليان بالجواز معه بجملته ، وانحاش إليه خلق كثير متطوعين ، فمضى لسبتة وجاز فى مراكبه إلى جبل فأرسى فيه فسمى جبل طارق[2] باسمه إلى الآن وذلك سنة اثنتين[3] وتسعين من الهجرة . ووجد بعض الروم وقوفاً فى موضع وطى كان عزم على النزول فيه إلى البر ، فمنعوه منه ، فعدل عنه ليلا إلى موضع وعر فوطأه بالمجاذف وبراذع الدواب ، ونزل منه فى البر وهم لا يعلمون ، فشن غارة عليهم وأوقع بهم وغنمهم[4] ، ورحل نحو قرطبة بعد أن أحرق المراكب وقال لأصحابه قاتلوا

---

(١) اختلف المؤرخون حول شخصية طارق فالبعض يرى أنه فارسى همذانى وأنه كان مولى لموسى بن نصير ، والبعض الآخر انكر ولاءه لموسى وقال إنما هو رجل من صدف أو مولى لهم ، والبعض الثالث يرى أنه مغربى من نفزه وهو الرأى الغالب . راجع (ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٦ المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٣٣ ، ١٥٩) راجع كذلك ما قاله عنه ابن الشباط فى النص التالى .

(٢) هذا الجبل كان يسمى فى القديم Mons Calpe وهو اسم فنيقى قديم معناه مغارة أو تجويف لعل المقصود بها تلك المغارة الكبيرة التى فيه وتسمى الآن بمغارة سان ميجيل ، ومن الطريف أن إحدى سفن الخط البحرى الانجليزى Bland Line التى تنقل الركاب من طنجة إلى جبل طارق وبالعكس يطلق عليها هذا الاسم القديم Mons Calpe وفى العصر الإسلامى سمى هذا الجبل بأسماء متعددة مثل الصخرة وجبل طارق ثم جبل الفتح على عهد الموحدين . على أن اسم طارق غلب عليه آخر الأمر فصار يعرف حتى الآن فى جميع اللغات الأوربية باسم Gibraltar .

(٣) فى الأصل سنة ٩٣ هـ وهو خطأ إذ أن الرأى السائد هو ربيع سنة ٩٢ هـ (٧١١ م) .

(٤) هذا النص مهم وفريد فى نوعه ، وإن كان ابن عذارى (البيان المغرب ج ٢ ص ٩) قد أشار إلى استخدام المسلمين لبراذع الدواب عند صعودهم لجبل طارق وذلك عند قوله :
« وذلك لما حاز المسلمون ونزلوا فى المرسى وهما عرب وبربر وحاولوا الطلوع فى الجبل وهو حجارة حرش ، فوطؤوا للدواب بالبراذع وطلعوا عليها ، فلما حصلوا فى الجبل بنوا سوراً على أنفسهم يسمى سور العرب » .

أو موتوا . فلقى عجوزاً فقالت له ، كان لى زوج عالم بالحدثان وكان يخبر أنه سيجوز رجل فى صفتك عظيم الهامة فى كتفه شامة[1] . وفيه علامة تكون له الزعامة ، فكشف لهم عن الشامة والعلامة ، فتباشر الناس بذلك وتشجعوا به .

فلما انتهى خبره إلى لذريق ، خرج إلى اقتاله فى مائة ألف فارس ومعه العجل تحمل الأموال والكسا وهو على سرير تحمله ثلاث بغلات مقرونات وعليه قبة مكللة بالدر والياقوت ، وعلى جسده حلة لؤلؤ قد نظمت بخيوط الإبريسم ، ومعه أعداد دواب لا تحمل غير الحبال لكتاف الأسرى إذ لم يُشكّ فى أخذهم[2] .

وكان موسى بن نصير حين أنفذ طارقا ، مكباً على الدعاء والبكاء والتضرع لله تعالى ، والابتهال إليه فى أن ينصر جيش المسلمين ، وما عُلم أنه هزم له جيش قط .

ورحل لذريق قاصداً قرطبه يريد طارقاً ، فلما تدانيا ، تخير لذريق رجلا شجاعاً عارفاً بالحروب ومكائدها ، وأمره أن يدخل فى عسكر طارق فيرى صفاتهم وهيآتهم ، فمضى حتى دخل فى محلّة المسلمين ، فأحس به طارق فأمر ببعض القتلى أن تقطع لحومهم وتطبخ . فأخذ الناس القتلى ، فقطعوا لحومهم وطبخوها ، ولم يشك رسول لذريق أنهم يأكلونها . فلما جن الليل أمر طارق بهرق تلك اللحوم ودفنها ، وذَبَح بقراً وغنما وجعل لحومها فى تلك القدور . وأصبح الناس ، فنودى فيهم بالاجتماع إلى الطعام ، فأكلوا عنده ، ورسول لذريق يأكل معهم . فلما فرغوا ، انصرف الرسول إلى لذريق وقال له أتتك

---

(١) عبد الملك بن حبيب فى تاريخه (المرجع السابق ص ٢٢١) يصف طارق بأنه رجل طوال أشقر ، بعينيه قبل ، وبيديه شلل .

(٢) راجع (تاريخ عبد الملك بن حبيب : المرجع السابق ص ٢٢٢ حيث يوجد نفس النص مع بعض الفروقات الطفيفة) .

أمة تأكل لحوم الموتى من بنى آدم ، صفاتهم الصفات التى وجدنا فى البيت المقفل ، قد أحرقوا مراكبهم ، ووطنوا على الموت أو الفتح . فداخل لذريق وجيشه من الجزع ما لم يظنوا .

ثم لم يكن له بدٌّ من المقابلة ، فالتقيا يوم الأحد ، وصدق المسلمون القتال وحملوا حملة رجل واحد على المشركين ، فخذلهم الله وزلزل أقدامهم ، وتبعهم المسلمون بالقتل والأسر ، ولم يعرف لملكهم لذريق خبر ، ولا بان له أثر . فقيل إنه ترجل وأراد أن يستتر فى شاطئ الوادى ، فصادف غديراً[1] فغرق فيه فمات ، ولهذا وُجد فيه فرد خُفِّهِ وهو مرصع بالدر والياقوت عليه الحمل ، فانسل من رجله . وقُوِّمَ فى المغنم بمائة ألف دينار ، وانتهبت محلته وانتشر عسكر المسلمين فى الجزيرة يميناً وشمالا ، وكل ما غنم أخذ منه طارق الخمس لبيت المال . وقسم أربعة الأخماس على كل من حضر الوقيعة من المسلمين ، فتحصل منه مال عظيم ، وامتلأت أيدى الناس ، فتسامع الناس به من كل مكان ، فجاؤا إليه من شرق وغرب واتصل الخبر بموسى بكتاب طارق إليه ، فكتب به موسى إلى الوليد . ومضى طارق على وجهه إلى طليطلة ففتحها وما وراءها ، ووجد فى كنيستهم العظمى مائدة سليمان بن داوود عليه السلام ، ومرآة إذا نظر الناظر فيها رأى الدنيا كلها بين عينيه ، كانت مدرة من أخلاط أحجار وعقاقير منقوشة بخط يونانى جليل ، وواحداً وعشرين مصحفاً من التوراة والانجيل والزبور ، ومصحف ابراهيم وموسى عليهما السلام ، وخمسة وعشرين تاجاً مكللة كلها لأن كلما مات ملك منهم ترك تاجه وكتب فيه اسمه وصفته وكم عاش وكم ولى[2] ، ومنافع الحيوان والأشجار والأحجار ،

---

(١) الغدير ، مستودع أو مجرى مائى ، وقد انتقلت إلى الاسبانية على شكل Gadayra ولعل اسم نهر Guadayra جاء من هذه الكلمة أيضاً . راجع (Gayangos: Op. cit., Vol. I, ap. D. p. Xliv).

(٢) راجع (تاريخ عبد الملك بن حبيب ص ٢٢٥) .

وطنفسات عجيبة محكمة ، وكتاباً فيه الصنعة الكبرى وعقاقيرها واكسيرها[1] ، وصنع الأحجار واليواقيت ، الجميع فى أوان من ذهب مرصعة بالدر .

ورجع طارق إلى قرطبة واستوطنها بعد أن وغل فى بلاد الروم وانتهى فى غزوه إلى أن لقى أمة كالبهائم والوحوش حتى مل الناس السفر وخلقت أبدانهم من طول المشى المستمر . فقالوا له ألم تقنع بما فتح الله عليك ؟ فضحك وقال : تالله لو ساعدتمونى لسرت بكم حتى أقف على باب رومة وقسطنطينية العظمى وافتتحها بإذن الله[2] . فإذا قد مللتم وسئمتم ، فارجعوا . فلما بلغ ذلك كله إلى موسى بن نصير حسده وخاف إن بلغ الوليد فعله وفتحه أن يسمو عنده ويرأس عليه ، فسار بنفسه إلى الأندلس فى عشرة آلاف فارس ، وكان معه من التابعين رضى الله عنهم حنش بن عبد الله الصنعانى وأبو عبد الرحمن بن عبد الله بن يزيد البجلى ، وعبد الرحمن بن شماسة المصرى وأبو النضر حيان بن أبى جبله مولى عبد الدار ويقال مولى ابن جبل بن حسنة ، فى عشرين رجلاً منهم[3] ، وجاز إلى الجزيرة الخضراء وقصد قرطبة[4] فتلقاه طارق وأكبره وعظّمه ، فعلاه موسى بالقضيب على رأسه

(١) الصنعة الكبرى ، فسرها دوزى بالكيمياء (Supplemet aux Dic. Arabes t. I, ٨٤٨) بينما فسرها جاينجوس بصناعة الأحجبة والرقى والسحر الخ. (Op. cit., Vol. I, ap. D) والتفسير الأول أصح .

(٢) هذه العبارة تنسبها معظم المراجع إلى موسى بن نصير . راجع (تاريخ عبد الملك بن حبيب ص ٢٢٧ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٨٢) .

(٣) يؤيد عبد الملك بن حبيب هذا العدد (المرجع السابق ص ٢٢٣) وذلك عند قوله :
« ودخل الأندلس من التابعين — سوى من لا يعرف — نحو من عشرين رجلا ، بهؤلاء وغيرهم أقبل موسى بن نصير إلى إفريقية » .

(٤) اختلفت المصادر حول المكان الذى التقى فيه موسى بطارق ، فابن عذارى يقول : اتفق الأكثرون على أن التقاءهما كان على طليطلة ، وذكر الطبرى أنه كان على قرطبة وهذا يتفق مع ما ورد فى المتن هنا . أما الرازى فإنه يشير إلى مكان بالقرب من طلبيرة غربى طليطلة وهو يتفق فى ذلك مع بعض المصادر الاسبانية التى تقول بأن اللقاء كان عند ناحية تسمى المعرض Almaraz وهو مكان على مقربة من طلبيرة .
راجع (حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ٩٨ حاشية ٢ ، Saavedra Op. cit., p. 98) .

وقرعه[1] ومضى على وجهه حتى دخل قرطبة فقال لطارق : احضرنى جميع ما غنمت وما وجدت من الذخائر ، فأتاه بجميع ذلك وبالمائدة على زوج أرجل ، وأزال الثالث وخبأه لأمر دبّره لما أصابه وما شكره .

وكانت قطعة واحدة من زمرده خضراء خرط منها أحد أرجلها وحواشيها ، فقال له موسى ما هذا ؟ قال هكذا وجدتها ، فصدقه وصنع لها رجلا من ذهب وتتبع الأخماس والأموال وجمع منها ما لا يحصى عدده ، ومضى حتى أتى طليطلة وجاوزها وفتح ثمان عشرة مدينة وغنم وسبى وانصرف . وأقام ثلاث سنين يغزو ويجاهد ، وقد أقام طارق قبله ثلاثة أعوام ثم جاز البحر وأجاز معه طارق ، واستخلف على الأندلس ابنه[2] عبد العزيز بن نصير ، وقصد دمشق حيث أمير المؤمنين الوليد ، وحمل جميع ما جلبه من الأندلس وذلك ثلاثون عجلة موقرة ذهبا وفضة ، ومن الأعلاق النفيسة من الياقوت والدر والزبرجد ، والذخائر الرفيعة من الملابس ، ومائة ألف من سبى بين الرجال والنساء والصبيان ، منهم أربعمائة رجل من ملوك الأعاجم متوجين .

فلما قرب من دمشق بلغه أن الوليد مريض ، فكتب إليه سليمان بن عبد الملك أخوه وولى عهده من بعده ، أن يتأخر حتى يموت الوليد ، ويقدم بتلك الأموال عليه ، فتكون مالا له فى أول ولايته ، فلم يفعل موسى بل جدَّ فى السير حتى وصل والوليد لِمَا به ، فلم يعبأ به ، ولا عرف مقداراً لما جاء به .

---

(١) يذكر ابن عبد الحكم فى هذا الصدد أن موسى شد وثاق طارق وحبسه وهم بقتله لولا تدخل مغيث الرومى (فتوح مصر والمغرب والأندلس ص ٢١٠) والواقع إن مثل هذه المعاملة القاسية لم يسجلها إلا نفر قليل من المؤرخين ، أما الغالبية ومعظمها من الأندلسيين فقد نظروا إلى هذه المسألة على أنها خلاف شخصى بسيط لم يتعدى دق التأنيب أو التوبيخ ثم الرضى والصلح والتعاون المشترك بينهما لانجاز هذه القضية الاسلامية الكبرى وهى فتح الأندلس .

راجع (رواية ابن حيان فى كتاب نفح الطيب للمقرى جـ ١ ص ١٧٢ وكذلك رواية ابن الشباط فى النص الثانى المنشور فى هذا المقال ، وأيضاً رواية عبد الملك بن حبيب) (المرجع السابق ص ٢٢٣) .

(٢) فى الأصل ، أخاه ، وهو خطأ واضح وقع فيه المؤلف مما اضطرنا إلى تصحيحه فى المتن .

وكان دخوله الأندلس فى جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين[1] وهو ابن ستين ، وأقام بافريقية ست عشرة سنة والياً ، وقفل منها سنة خمس وتسعين[2] ، فمات الوليد عن قريب .

وكانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر ، وتوفى بدمشق يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وسبعة أشهر ، وقيل ست وأربعون ، وكان سبب موته أنه ركب يوماً فى قصره نجيباً وجعل حاديا يحدو به تشبهاً بالأعراب ، فكان الحادى يقول فى حدوه رجزاً منه :

يَا أَيُّهَا البِكْرُ الذى أَرَاكَا ... وَيْحَكَ هَلْ تَعْلَم مَنْ عَلاكَا

خَلِيفَـةُ اللهِ الذى امْتَطَاكَا ... لم يَعْطِ بِكْراً قَطُّ ما أَعطَاكَا

فاستحسن الحدو ووصل الحادى وجعل يتمايل حتى سقط فمرض فمات وصلى عليه أخوه سليمان . ولما ولى سليمان الخلافة ، استحضر موسى بن نصير وسأله عن المائدة وأين رجلها فقال له هكذا وجدتها حين أخذتها ، فأخرج له طارق الرجل من عنده وقال بل أنا أخذتها هى وجميع ما أتى به غير اليسير . فلم يجد موسى جواباً وبقى باهتاً ، فسطا عليه سليمان وطالبه بمائتى ألف دينار ، فدفع إليه مائة ألف وعجز عن الباقى ، فسجنه حتى ضمنها عنه الأمير يزيد بن المُهَلَّب بن أبى صُفرة ، ووزعها على قومه وذلك لمخالفته إياه فيما كان أمره به من التثبط بتلك الأموال إلى أن يموت الوليد . وسأل سليمان بن عبد الملك عن هذه المائدة ، فقيل له إن الجن كانت تتحف سليمان النبى عليه السلام

---

(١) فى الأصل سنة ٩٧ ﻫ وهو خطأ فى النسخ بلاشك بدليل أنه يحدد بعد ذلك تاريخ عودة موسى تحديداً صحيحاً . هذا ومن المعروف أن عبور موسى إلى الأندلس كان فى شهر رمضان سنة ٩٣ ﻫ (يونيو ٧١٢ م) .

(٢) كان ذلك فى شهر ذى القعدة سنة ٩٥ ﻫ (سبتمبر سنة ٧١٤ م) .

بهذه الفوائد ، تغوص عليها إلى قعر البحر فتخرجها . فكانت هذه المائدة فى بيت المال معظمة إلى أن ولى القرطر جزيرة الأندلس حين تغلب بخت نصر على بيت المقدس فحملها هى وغيرها من الذخائر الغريبة معه .

ثم عفا سليمان عن موسى وحج مع سليمان سنة ثمان وتسعين فمات موسى فى تلك الحجة فى مدينة النبى صلعم ودفن بها وصلى عليه سليمان[1] . فيروى عن بعض أهل المدينة أن موسى قال يوماً لبعض من يثق به ليموتنَّ إلى يومين رجل قد بلغ ذكره المغرب والمشرق . قال فلم أظن إلا أنه يعنى الخليفة فلما كان صباح اليوم الثانى لم أشعر وأنا فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم حتى سمعت الناس يقولون توفى موسى بن نصير » .

ذكر مروان بن محمد الجعد وأخبار الأندلس وولاتها

هو مروان بن محمد بن الحكم بن أخى عبد الملك بن مروان ، يكنى أبا اسحق ، وقيل أبا عبد الملك ، لقبه حمار[2] الجعدى . أمه ريا ويقال طروبة[3]

---

(١) فى بعض المصادر الأخرى أن الذى صلى عليه هو القائد المعروف مسلمة بن عبد الملك . راجع على سبيل المثال (عبد الملك بن حبيب ص ٢٣٥) ونحن نستبعد ذلك لسبب بسيط وهو أن مسلمة كان محاصراً للقسطنطينيه فى نفس هذه السنة سنة ٩٨ هـ التى توفى فيها موسى . ولعل أصحاب هذه الرواية كان يهدفون من وراء ذلك اختيار قائد لا يقل مكانة عن موسى مثل مسلمه بن عبد الملك .

(٢) لقب بالحمار لقوة تحمله وصبره فى القتال ، يقال فلان أصبر من حمار فى الحروب . أما تسميته بالجعدى فلأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه فى القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك . انظر (ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٣١ ، ٣٣٢) وقيل كذلك لأن أمه كانت من جعدة بن كعب (ابن الشباط : صلة السمط وسمة المرط لوحة ١٤١ ا (مخطوط) .

(٣) كذا فى الأصل ويذهب المسعودى (مروج الذهب جـ ٢ ص ١٩٧) إلى أن أمه أم ولد يقال لها ريا وقيل طرونة كانت لمصعب بن الزبير فصارت بعد مقتله لمحمد بن مروان أبيه . أما ابن الأثير (جـ ٤ ص ١٣١ ، ١٣٢ حاشية ٣) فيقول بأن أمه كانت أمة كردية يقال لها لبابه وكانت لابراهيم ابن الأشتر النخعى ، أخذها محمد بن مروان يوم قتل ابراهيم ، فولدت له مروان هذا ، ولهذا قال عبد الله بن عياش المشرف للسفاح : الحمد لله الذى أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ، ابن عم رسول الله (صلعم) ابن عبد المطلب .

كانت لمصعب بن الزبير وصارت من بعده لمحمد بن مروان فولدت له مروان هذا بحوران[١] من الجزيرة[٢] .

بويع فى صفر[٣] سنة سبع وعشرين ومائه ، واجتمع على بيعته أهل الشام ، وقعد عنها سليمان بن هشام بن عبد الملك وغيره من بنى أمية . وكان أبيض مشربا بحمرة ، أشهل العينين ، عظيم الهامة ، كبير اللحية ، كثها . كاتبه عبد الحميد[٤] بن يحيى الأكبر ، وحاجبه صقلاب مولاه ، وصاحب شرطته كُريز ابن الأسود العنوى[٥] ، ونقش خاتمه : « اذكر الموت يا غافل » ، وهو آخر خلفاء بنى أمية .

ولما ولى الخلافة ، نبش قبر يزيد بن الوليد ، واستخرجه وصلبه[٦] ، وعزل عبد الملك بن قطن عن الأندلس ، وقدم عليها[٧] ثوابة بن نعيم الأنصارى وفتح حمص ، وخرب سورها لخلافهم عليه وذلك فى سنة ثمان وعشرين ومائه . وخرج عليه الضَّحاك بن قيس الشارى فيمن تبعه من الخوارج[٨] وتوجه إليه ، وأقبل مروان نحوه ، فالتقوا بكفرتوثا[٩] سنة ثمان وعشرين ومائة ، فى صفر ،

(١) كذا فى الأصل ولعلها حران بالجزيرة لأن حوران (بفتح الحاء) كورة من أعمال دمشق من جهة القبلة أى الجنوب . راجع (ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٦٠) .

(٢) فى نسخة م بحوران من الجزيرة بالشام .

(٣) صفر ساقطة فى ج .

(٤) حول أخبار هذا الكاتب الكبير راجع (الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ص ٧٢ وما بعدها (القاهرة ١٩٣٨) .

(٥) فى (م) : الغنوى .

(٦) راجع (ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٢٨٣) .

(٧) فى (م) : سوابه .

(٨) فى كتاب المعارف لابن قتيبة الدينورى ص ١٦١ (مصر ١٩٢٥) : الضحاك بن قيس الشارى من شهر زور فيمن بايعه من الخوارج .

(٩) في ج ، ج I ثونا ، وفى م بكعربوتا ويبدو أن الاسم الصحيح هو كفر توثا وهى من أعمال ماردين بالجزيرة كما ورد فى (الطبرى ج ٦ ص ١٥ ، ١٦ ؛ ابن الأثير ج ٤ ص ٢٨٩ ، ٢٩٦ ؛ ابن قتيبة المعارف ص ١٦١) .

فقتل الضحاك بن قيس الشارى ، وقام مقامه الخبيرى[1] ، فهزم مروان وانصرف[2] . وولى الخوارج شيبان ورجع أصحابه إلى الموصل[3] . وأتبعه مروان فقاتله شهراً فانهزم شيبان ، ووجه مروان خلفه عامر بن ضُبارة المُرّى .

واستعمل يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى على العراق ، فأقبل حتى قدم واسطاً ، وجاء[4] عبد الله بن عمر بن عبد العزيز مخالفاً لمروان ، فأخذه يزيد ابن عمر بن هبيرة وأوثقه وبعث به إلى مروان ، فلم يزل فى حبسه مع ابن له حتى مات فيه .

ولم يزل مروان فى تَشَتُّتٍ من أمره[5] واضطراب من النواحى عليه ، وهو مع ذلك يقيم الحج للناس إلى سنة ثلاثين ومائة[6] فظهر عبد الرحمن أبو مسلم بخراسان داعياً لبنى هاشم وبها نصر بن سيار عامل لبنى أمية . فواقعه أبو مسلم ، ففض جموعه ، وسار نصر هارباً حتى توفى بأرض ساوه[7] من همذان .

وكانت خلافة مروان خمس سنين وعشرة أشهر وقيل غير ذلك ، وتوفى

---

(١) كذا ، وفى معظم المصادر الأخرى يسمى الخيبرى . راجع (الطبرى ج ٦ ص ١٦ ، ابن الأثير ج ٤ ص ٢٩٦ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٦١) .

(٢) من المعروف أنه بعد انصراف مروان منهزماً تجمع بعض عبيده وأنصاره وقتلوا الخيبرى الذى كان مقيماً فى خيمة مروان مع قلة من أصحابه . فلما علم الخوارج بقتله ولوا عليهم شيبان الحرورى وبايعوه . راجع (ابن الأثير ج ٤ ص ٢٩٧)

(٣) فى (ابن قتيبة : المعارف ص ١٦١) : وولى الخوارج شيبان فرجع بأصحابه إلى موصل .

(٤) فى (ابن قتيبة : العارف ص ١٦١) وبها عبد الله ... وهى من حيث السياق والمعنى أصح .

(٥) فى م : تشتيت .

(٦) يضيف (ابن قتيبة : المعارف ص ١٦١) : فكان ذلك آخر ما أقام بنو أمية للناس حجهم وظهر أبو مسلم عبد الرحمن بخراسان .

(٧) فى الأصل سارة وصحتها كما ورد فى (ابن الأثير ج ٤ ص ٣١٧ ، وياقوت ج ٥ ص ٢١) ساوه وهى مدينة بين الرى وهمذان . وتنتهى حروفها بهاء ساكنة وبعدها تاء خطأ . وقد توفى نصر بن سيار فى شهر ربيع الأول سنة ١٣١ هـ .

أول سنة اثنتين وثلاثين ومائة بأبى صير[1] ، وتأتى سير من أعمال مصر على الصفة التى أذكرها فى أخبار أبى العباس السفاح إن شاء الله . وهو ابن ست وخمسين سنة وقيل سبع وستين[2] .

وأقام ثوابة بن نعيم الأنصارى[3] ، أميراً على الأندلس[4] أربع سنين إلى أن ظهرت الدولة العباسية بالمشرق وزالت دولة بنى أمية وقام بالخلافة بنو العباس ، فبقى الأمر بالأندلس سُدًى[5] . فاتفق أهل الأندلس على تقديم يوسف ابن عبد الرحمن الفهرى ، وكانت دار الإمارة قرطبة ، فأقام بها أميراً إلى أن يأتى أمر الخليفة بوال ، فتأخر الأمر باشتغال بنى العباس بالمشرق لأنه كان أهمَّ وأعظم وذلك سبع سنين ، وقيل أقام الفهرى والياً عشر سنين إلى أن قصد الأندلس عبد الرحمن بن معاوية[6] بن هشام بن عبد الملك فاراً من بنى العباس حين استولوا على الخلافة بالمشرق . وانحاش إليه كل من كان من بنى

---

(١) فى م ، خمس سنين غير شهر ، وتوفى آخر إحدى وثلاثين ومائة ، وهذا الاختلاف نجده أيضاً فى روايات المؤرخين الآخرين فيجعله المسعودى فى أول سنة ١٣٢ هـ (مروج الذهب ج ٢ ص ١٩٧ — ١٩٨) أما ابن الأثير وابن قتيبة وياقوت فيتفقون على أن مروان قتل فى ذى الحجة سنة ١٣٢ فى قرية بوصير من أعمال الفيوم بصعيد مصر . ومن الطريف أن ياقوت يسمى هذه القرية باسمها القديم إذ يقول : وفى بوصير قوريدس من كورة الأشمونين قتل مروان بن محمد (معجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٦) .

(٢) فى م : وقيل تسع وستون .

(٣) لعله يقصد من غير شك ثوابة بن سلامة العاملى الجذامى وهو من أهل فلسطين وكان سيد قبائل لخم وجذام فى الأندلس وقد تولى ولاية الأندلس سنة ١٢٧ هـ (٧٤٥ م) . أما مدة ولايته فقد اختلف فيها المؤرخون فبينما يرى ابن الأثير (ج ٤ ص ٣٦١) وابن بشكوال (ينقل عنه المقرى فى نفح الطيب ج ٤ ص ٢٤) وابن القوطية (تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٨٨) وصاحب أخبار مجموعة (ص ٥٧) أن مدة ولاية ثوابة لم تدم إلا سنة أو نحوها ، نجد أن ابن عذارى (البيان المغرب ج ٢ ص ٣٥ ، يجعلها سنتين بينما يجعلها ابن الكردبوس فى المتن أربع سنوات ! ! هذا وتجدر الاشارة هنا أن اسم ثوابه لم يرد فى قائمة اسماء الولاة التى وردت فى معجم الأنساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى للمستشرق زامباور ج ١ ص ٨٥ (الترجمة العربية) .

(٤) هذه العبارة ساقطة فى ج .

(٥) سدى ، بالضم والفتح ، يقال إبل سدى أى مسيبة مهملة للواحد والجمع .

(٦) فى نسخة ج ، فاشتغل بنو العباس بالمشرق لأنه كان أهم وأعظم ولم يقدموا على الأندلس أحداً وذلك قدر سبع سنين إلى أن قصد الأندلس عبد الرحمن بن معاوية .

أمية بالأندلس ، وممن[1] يقول بقولهم ، ومن كان[2] يجِدُ على يوسف الفهرى
موجدة لمظلمة جرت عليه ، أو لتقصير قصَّر به ، أو لعطاء حرمه ، مال إلى
عبد الرحمن فاجتمع[3] عنده جمع كبير ، وقصد بهم قرطبة دار إمرة[4] الفهرى
فبرز[5] إليه الفهرى فى جيش لا يحصى كثرة فاقتتلا وتحاربا مدة من عام إلى
أن هزم الفهرى وقتل[6] ، واستبيح عسكره وقتل أكثره ، ودخل عبد الرحمن
قرطبة ، وطاعت له الأندلس بأسرها[7] ؛ وملكها ثلاثاً وثلاثين سنة ، ولقى فيها

---

(١) فى م : وممن .

(٢) فى م : يوجد .

(٣) فى م : منه .

(٤) في م : إمارة .

(٥) فى م : فنزل .

(٦) يوسف الفهرى لم يقتـــل فى هذه الموقعة وإنما قتل بعد ذلك بأربع سنوات عندما قام بثورة ضد عبد الرحمن محاولا استعادة نفوذه القديم ولكن عبد الرحمن هزمه وقتله بنواحى طليطلة سنة ١٤٢ (٧٥٩ م) . (راجع ابن عذارى ج ٢ ص ٤٩) .

(٧) عرفت هذه الموقعة الحاسمة التى انتصر فيها عبد الرحمن على يوسف الفهرى باسم المصارة (بالصاد أو السين) كما عرفت كذلك فى المراجع الاسبانية باسم ألاميدا Alameda وكان ذلك فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٨ هـ (١٥ مايو سنة ٧٥٦ م) . وتمتد مصارة قرطبة — التى حدثت عندها الوقعة — فى جنوب غرب المدينة على الضفة اليمنى من نهر الوادى الكبير . وكلمـــة المصارة لا نعرف معناها أو أصلها وقد أطلقت على عدة أماكن فى المغرب والأندلس ولا سيما على الفضاء الفسيح المجاور للمدن الكبرى مثل قرطبة وغرناطة وفاس . وعادة ما كانت تقام فى هذه الأماكن العاب الفروسية وعرض الجيوش كما تقام فيها أيضاً الصلوات العامة كصلاة العيدين أو صلاة الاستسقاء ، ولهذا اختلط الأمر بين المصارة والمصلى خصوصاً وأنهما فى مكان واحد . ومن الطريف أن هذا اللفظ انتقل إلى اللغة الاسبانية باسم Almuzara المثارة . ولا زالت الى اليوم توجد عدة أماكن فى شمال اسبانيا بهذا الاسم وأغلبها أراضى زراعية فسيحة وهذا مما دعا بعض المستشرقين إلى اعتبار كلمة المزارع والمزارعة أصلا لكلمـــة المصارة . راجع :

(Torres Balbás: *Al-Muzara*, al-Andalus, 1959, fasc. II, pp. 425-433 & Jaime Oliver Asín: *Las dos Almuzaras*, al-Andalus, 1962, fasc. I).

أما التسمية الثانية لهذه الموقعة وهى ألاميدا Alameda فقد وردت فى الكتب الاسبانية فقط . ويبدو أن وجود أل فى هذه الكلمة جعل بعض الكتاب يظن أن أصلها عربى مثل معظم الكلمات الاسبانية العربية الأصل ومثـــال ذلك تفسير دائرة المعارف الإسلامية لهذه الكلمة بالميدان . انظر (*Ency. of Islam*, art. Alameda) غير أن الأمر الذى لا شك فيه هو أن أصل هذه الكلمة لاتينى =

حروباً وقاسى خطوباً . ثم توفى عبد الرحمن[1] وولى ابنه هشام بن عبد الرحمن وأقام ملكاً[2] سبع سنين وتوفى[3] .

وولى ابنه الحكم فأقام ملكاً ستاً وعشرين سنة ثم توفى[4] . وولى ابنه عبد الرحمن[5] فأقام والياً إحدى وثلاثين سنة ثم توفى . وولى ابنه محمد[6] فأقام والياً أربعاً وثلاثين سنة وفى أيامه انتهى جيش المسلمين عنده مائة ألف فارس ، منهم عشرون ألفاً بدروع الفضة ، وأنشأ فى البحر سبع مائة غراب[7] ثم توفى .

وولى ابنه المنذر بن محمد[8] ، فأقام والياً ثلاث سنين ثم توفى .

= Alamo أى شجر الصفصاف أو الحور وهو شجر طويل عريض الأوراق ، والمكان الذى يكثر فيه هذا الشجر يسمى ألاميدا Alameda وهذا الاسم منتشر فى بلاد اسبانيا ولا سيا بنواحى ليون وسرقسطة وبرغش وأسترقه .

راجع تفسير هذه الكلمة فى قاموس الأكاديمية الملكية للغة الاسبانية . وانظر كذلك :
(Aguado Bleye: *Historia de España*, I, p. 405).

(١) هو الأمير أبو المطرف عبد الرحمن الأول بن معاوية المعروف بالداخل وبصقر قريش وقد حكم الأندلس من ١٣٨ إلى ١٧٢ هـ (٧٥٦ — ٧٨٨ م) .

(٢) فى م ، مالكها .

(٣) هو الأمير أبو الوليد الراضى هشام الأول بن عبد الرحمن من ١٧٢ إلى ١٨٠ هـ (٧٨٨ — ٨٢٢ م)

(٤) هو الأمير أبو العاصي الحكم الأول بن هشام المعروف بالربضى ، حكم من سنة ١٨٠ إلى ٢٠٦ هـ (٧٩٦ — ٨٢٢ م) .

(٥) هو الأمير أبو المطرف عبد الرحمن — الأوسط أو الثانى — بن الحكم ، مدة ولايته من ٢٠٦ إلى ٢٣٨ هـ (٨٢٢ — ٨٥٣ م) .

(٦) هو الأمير محمد الأول بن عبد الرحمن الثانى ، حكم الأندلس من سنة ٢٣٨ إلى ٢٧٣ هـ (٨٥٢ — ٨٨٦ م) .

(٧) هذه القوة العسكرية الأندلسية قد ورد ذكرها أيضاً فى كتاب (ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار افريقية وتونس ص ٩٧) .

(٨) هو الأمير أبو الحكم المنذر بن محمد وحكم من سنة ٢٧٣ إلى ٢٧٥ هـ (٨٨٦ — ٨٨٨ م) .

وولى أخوه عبد الله بن محمد[1] ، فأقام والياً خمساً وعشرين سنة ثم توفى .
وولى ابنه عبد الرحمن الناصر بن عبد الله[2] وهو ابن خمس وعشرين سنة ،
فأقام ملكاً خمسين سنة ، منهـا خمس وعشرون سنة فى غزو وحروب حتى
دانت له الروم كلها وولت وخمدت فى أقصى بلادها فى كثرة أعدادها ، وخمس
وعشرون سنة أخرى فى البطالة والراحة والمجون ، وإذ ذاك أمر ببنيان الزهراء[3]
فكملت فى خمس وعشرين سنة . وأحصى الأمناء على بنيانهـا جملة ما أنفق

---

(١) هو الأمير عبد الله بن محمد وحكم من سنة ٢٧٥ إلى ٣٠٠ هـ (٨٨٨ — ٩١٢ م) .

(٢) هو الخليفة أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر ويعرف أيضاً بعبد الرحمن الثالث حكم الأندلس من سنة ٣٠٠ إلى ٣٥٠ هـ (٩١٢ إلى ٩٦١ م) ويلاحظ أنه حفيد سلفه الأمير عبد الله وليس ابنه . ويعتبر عهده من أزهر عصور الأندلس .

(٣) ما زالت بقايا هذه المدينة قائمة على بعد ثمانية كيلومترات شمال غرب قرطبة على سفح جبل العروس Sierra de Córdoba ، ويسميها الاسبان Medina Zahra . ووواضح أن الدافع لانشائها هو رغبة الخليفة عبد الرحمن الناصر فى اقامة مدينة ملكية خاصة أو دار للخلافـــة السنية الجديدة التى أقامها فى الأندلس ، وإن كانت المصادر الأندلسية تشير إلى أنه بناها تكريمـاً لذكرى جارية له اسمها الزهراء ، وكيفما كان الأمر فإن تصميم هذه المدينة يشهد ببراعة الأندلسيين فى الهندسة والبناء ، فمن وصف المؤرخين القدامى ، أمثال الشريف الادريسى وابن عذارى ، ومن كلام علماء الآثار المحدثين أمثال المهندس الاسبانى بلاسكث بوسكو Velázquez Bosco والعالم الفرنسى جورج مارسيه ، يتضح لنـا أنها كانت مدينة ثلاثية مدرجة على سفح الجبل : القسم الأعلى فيه القصر الخلافى ، والقسم الأوسط عبارة عن بساتين ورياض ، والقسم الأسفل يحتوى على المسجد ومنازل الخاصة والحرس . وكل قسم من هذه الأقسام له سور وأبواب ، وكانت الميـــاه تأتيها من أعلا الجبل فى قنوات على بعد ثمانين كيلومتراً ، وقد اقتضى هذا الأمر إلى نقب الجبل بطريقة هندسية رائعـــة لا تزال آثارها باقية إلى اليوم على شكل عيون فى الجبل . وتشير المصادر إلى اسم المهندس العربى الذى أشرف على هذا البناء وهو سلمة بن عبد الله . هذا وينبغى أن نشيد بالمجهودات العظيمة التى يبذلها فى وقتنا الحاضر العلماء الاسبان فى سبيل ترميم هذه المدينة وإعادة بنائها كما كانت من قبل ، ونخص بالذكر منهم فلكس ايرناندث Félix Hernández ورفاييل كاستخون Rafael Castejón .

راجع وصف الحميرى لبنـــاء مدينة الزهراء فى كتابه الروض المعطار ص ٨٠ — ٨٢ ، وكذلك (محمد بن غالب ، فرحة الأنفس ص ٣١ — ٣٤ نشر لطفى عبد البديع — مجلة معهد المخطوطات المجلد الأول جـ ٢ سنة ١٩٥٥) .

راجع كذلك : R. Velázquez Bosco: *Medina Azzahra y Alamiriya.* (Madrid, 1912)

عليها ، فوجدوه خمسة وثمانين مُداً[1] من الدراهم القاسمية[2] - [3] ، سوى من سُخِّر فيها من الرعية ومن زوامله وزوامل أجناده . وحُصِّلَ[4] مجباه فى العام فبلغ خمسة آلاف ألف دينار ، فكان يقسمها أثلاثاً ، فالثلث يختزنه فى بيت المال ، والثلث ينفقه على الأجناد ، والثلث يهبه على الشعراء والخطباء والقصاد[5] .

---

(١) فى نسخة أخرى «مديا» ، والمد والمدى معناهما واحد وان كانت الأولى أقرب للعامية من الثانية . والمد أو المدى والجمع أمداد ، كيل معين اختلفت سعته فى العالم الإسلامى حسب اختلاف الأمكنة والعصور والمذاهب ويبدو أن هذه الكلمة مأخوذة من اللاتينية Modius أو Modium ثم انتقلت إلى العربية ومنها إلى الاسبانية بنفس الشكل : al Mud وقد اختلف كيل المد حسب المناطق التى تستعمله ، فهناك المد النبوى مكيال أهل المدينة وسعته ربع الصاع ، وفى الحديث : « أن النبى (صلعم) كان يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد » ، أى أن صاع الرسول بالمدينة كان أربعة أمداد بمدهم المعروف عندهم . هذا ويروى أبو حنيفة أن سعة المد أربعة أرطال بغدادية ، بينما يرى أبو يوسف أن المد رطـــل وثلث بغدادى . ولا يزال المد النبوى معروفاً فى المغرب فى وقتنا الحاضر ، وسعته حوالى $\frac{3}{4}$ لتر بينما سعة الصاع ٣ لتر . على أنه يلاحظ أن المد الذى كان متداولا فى المغرب الإسلامى فى العصر الوسيط كانت سعته أكبر من ذلك بكثير : فالمد الذى كان مستعملا فى مدينة أصيلا كانت سعته عشرين مداً نبوياً ، وسعة المد فى مليلية ٢٥ مداً نبوياً ؛ أما سعة المد فى قرطبة أيام عبد الرحمن الناصر فقد حدده النويرى بقوله : فاشتد بها الغلاء فبيع مدى القمح — وهو قفيزان ونصف بالقروى (نسبة إلى القيروان) — بثلاثمائة درهم » . راجع (الأب انستاس الكرملى : النقود العربية وعلم النميـــات ص ٣٩ — ٤٠ (القاهرة ١٩٣٩) . أبو الحسن على بن يوسف : الدوحة المشتبكة فى ضوابط السكة ، نشر الدكتور مؤنس ، ص ٨٦ (مدريد ١٩٦٠) ، الونشريشى : كتاب أحكام السوق ، نشر الدكتور محمود مكى ، (مجلة المعهد المصرى بمدريد العدد ١ — ٢ (١٩٥٦) راجع كذلك :

(R. Dozy: *Supplement*, II, pp. 575-576 y Lévi-Provençal: *Histoire de l'Espagne Musulmane*, t. III, p. 246-247 note).

(٢) يرى المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال أن الدرهم القاسمى ينسب إلى شخص غير معروف اسمه قاسم ، وأن هذا الدرهم كان متداولا بكثرة أيام الخلافة الأموية لدرجة أنه قد ورد ذكره فى بعض دساتير مملكة ليون تحت اسم Kazimi ، Cathimi ممـــا يدل على رواجه فى اسبانيا المسيحية أيضاً . راجع (Lévi-Provençal: *Op. cit.*, t. III, p. 257).

(٣) قدر ابن عذارى (البيان المغرب ج ٢ ص ٢٣١) أن جملة ما أنفقه عبد الرحمن الناصر فى بناء مدينة الزهراء وقصورها خمسة وعشرون مديا من الدراهم القاسمية وستة أقفزة وثلاثة أكيال ونصف .

(٤) راجع تفسير كلمة حصل فى (Dozy: *Supplement aux Dictionnaires Arabes*, I; p. 296).

(٥) فى ابن عذارى (البيان المغرب ج ٢ ص ٢٣١ — ٢٣٢) وكان الناصر قد قسم الجباية على ثلاثة أثلاث : ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر . وكانت جباية الأندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانية ألف دينار ، ومن المستخلص والأسواق سبع مائة ألف دينار وخمسة وستين ألف دينار .

وأمر ببنيان مدينة سالم[1] . واستقضى جحّاف[2] بن أيمن ، وتسمى بالخليفة أمير المؤمنين[3] ، وخطب لنفسه وكان من تقدمه من آبائه يخطبون لبنى

---

(١) مدينة سالم Medinaceli وتقع شمالى مدريد بنحو ١٥٣ ك. م. فى الطريق الذى بين مدريد وسرقسطة وهى الآن من أعمال مقاطعة سورية Soria . ولا شك أن المقصود فى النص هو إعادة بنائها وتعميرها إذ من المعروف أن مدينة سالم قديمة البنيان وقد عرفت فى العصر الرومانى باسم Ocilis ولما فتح العرب اسبانيا ، عمر هذه المدينـــة زعيم مغربى مصمودى اسمه سالم بن ورعمال المصمودى الذى يحتمل أن يكون من قادة الرعيل الأول الذى قام بفتح اسبانيا . ومنذ ذلك الوقت عرفت هذه المدينة باسم هذا القائد سالم . راجع (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٦٦) ولكن يبدو أن الفتن والاضطرابات التى حلت بالأندلس فى أيام الأمير عبد الله قد خربت هذه المدينة وفى ذلك يقول ابن عذارى (البيان المغرب ج ٢ ص ٢١٣ — ٢١٤) :

وفى سنة ٣٣٥ كان ابتداء مدينة سالم بالثغر الأوسط ، ففى هذه السنة ابتنى الناصر مدينة سالم القديمة التعطيل بالثغر الاوسط الشرقى ، المواجهة لبلد قشتيلة Castilla دمرها الله تعالى ، وهى يومئذ خالية مقفرة ، وأرسل لذلك غالبا مولاه فى جيش جرده معه من الحضرة ، وانفذ العهد إلى قواد الثغر بالاجتماع إليه لبنيانها ، فسارعوا إلى أمره ، وبنيت أحسن بناء ، ونقل إليها البناؤون من بلاد الثغر للاختطاط لديارها والرباط بها ، فتم ذلك فى صفر من هذه السنة ، واطمأنت الدار بها وصيرها شجا فى حلوق الكافرين : راجع تفاصيل كثيرة حول أسرة القائد سالم السالف الذكر فى (ابن حيان : المقتبس نشر محمود مكى — تحت الطبع —) .

(٢) جحاف بن أيمن ، وفى (ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص ٩١ ترجمة ٣٢٠) : جحاف بن يمن ، من أهل بلنسية ، حسن التصرف ، وجيها ، ولاه أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر رحمه الله أحكام القضاء بموضعه أى بلنسية ، فلم يزل قاضياً إلى أن استشهد فى غزاة الخندق عند مدينة شنت منكش أو شمنقة Simancas سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩م) وهى التى هزم فيها عبد الرحمن الثالث أمام جيوش راميرو الثانى ملك ليون وحلفائه أصحاب مملكة نبرة Navarra . راجع حول هذه الوقعة (أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى اسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية ص ١٢ — ١٣ معهد مدريد ١٩٥٣) ولعل من سلالته قاضى بلنسية جعفر بن عبد الله بن جحاف الذى قتله السيد الكمبيادور سنة ٤٨٩ هـ عندما استولى على بلنسية .

(٣) هذا الحدث الهام الذى تحولت به الإمارة الأموية فى الأندلس إلى خلافة مستقلة سياسياً وروحياً عن الخلافة العباسية وقع فى سنة ٣١٦ هـ (٩٢٩ م) ، عندما أعلن عبد الرحمن الثالث نفسه خليفة وتلقب بالخليفة الناصر لدين الله . وكان الدافع الأساسى لذلك هو مقاومة نفوذ الخلافة الشيعية الفاطمية التى بسطت سلطانها على المغرب وأخذت ترنو ببصرها نحو احتلال الأندلس حتى يصبح الغرب الإسلامى كله فى يدها (ابن أبى دينار : ص ٤٢) ومن حسن الحظ أن الاعلان الخاص بقيام هذه الخلافة الأموية السنية الجديدة موجود ومنشور . راجع :

(Lévi-Provençal y García Gómez: *Una Crónica anónima de ʿAbd al-Rahman III al-Nasir*, p. 78-80 (Madrid, 1950).

العباس[1] ، فلما قام على بنى العباس بمصر وإفريقية بنو عبيد ، وتسموا بالخلفاء وأمراء المؤمنين ، وانشغل عنهم بنو العباس بما كانوا فيه من الخلع والخلاعة والقيام عليهم والفتك بهم ، اقتدى عبد الرحمن الناصر بهم وسلك مسلكهم

(١) يفهم من المتن أن جميع أمراء بنى أمية الذين حكموا الأندلس قبل عهد عبد الرحمن الناصر قد دعوا فى خطبهم الدينية لخلفاء بنى العباس ببغداد رغم العداء السياسى الذى كان قائماً بين هاتين الدولتين . غير أن هذه الرواية فى الواقع لم يقم عليها دليل تاريخى ، والمؤرخ الوحيد الذى أيدها عاد ثانية ونفاها وهو محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى المعروف بابن أبى دينار ، وذلك عند قوله فى كتابه المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ص ٤٢ — ٤٣ ، ص ٩٧ (تونس ١٢٨٦) : ودانت لعبد الرحمن (الداخل) البلاد وبقى ملكاً ثلاثاً وثلاثين سنة وتداولتها بنوه من بعده ، ولم يخطب أحد منهم لبنى العباس ، ولم يدخل تحت طاعتهم ، إلى أيام عبد الرحمن الذى تلقب بالناصر لدين الله وتسمى بأمير المؤمنين . . . وقيل إن من تقدمه من آبائه كان يخطب لبنى العباس ! !
أما ثقاة مؤرخى الأندلس أمثال ابن حزم وابن الأبار والمقرى ، فقد حددوا مدة الدعاء لبنى العباس فى الأندلس بفترة قصيرة فقط فى بداية عهد عبد الرحمن الأول (الداخل) ثم قطع الدعاء لهم بعد ذلك .
فابن حزم فى كتابه نقط العروس ص ٧٥ يقول إن الدعوة للعباسيين استمرت عدة سنوات ثم قطعها عبد الرحمن الأول .
كذلك يقول ابن الأبار فى كتابه الحلة السيراء (ج ١ ص ٣٥ — ٣٦) وأقام عبد الرحمن (الأول) أشهراً دون السنة يدعو لأبى جعفر المنصور . . . متقيلا فى ذلك يوسف الفهرى فى الدعوة للعباسيين .
أما المقرى فقد أورد لنا رواية طريفة لعلها نقلا عن ابن حيان يبين فيها الظروف والملابسات التى تم فيها انقطاع هذه الدعوة للعباسيين . يقول :
وفر من الشام الامير عبد الملك بن عمر بن مروان الأموى خوفاً من المسودة (أى العباسيين) فر بمصر ومضى إلى الأندلس ، وقد غلب عليها الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، فأكرمه ونوه به وولاه اشبيلية لأنه كان قعدد بنى أمية (كان ابن عم هشام بن عبد الملك أى أنه بالنسبة لعبد الرحمن الداخل فى مقام جده) . ثم انه لما وجد الداخل يدعو لأبى جعفر المنصور العباسى ، أشار عليه بقطع اسمه من الخطبة ، وذكره بسوء صنيع بنى العباس ببنى أمية ، فتوقف عبد الرحمن فى ذلك ، فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له وذلك أنه قال له حين امتنع من ذلك : إن لم تقطع الخطبة لهم ، قتلت نفسى ، فقطع حينئذ عبد الرحمن الخطبة بالمنصور بعد أن خطب باسمه عشرة أشهر .
راجع (المقرى : نفح الطيب ج ٤ ص ٥٩) . راجع كذلك :
(M. Makki: *Las aportaciones Orientales*, p. 112, nota 2, Revista del Instituto de Estudios Islámicos en Madrid, vol. IX y X, 1962).
من هذه النصوص السابقة يبدو لنا أن ما ورد فى المتن من أن أمراء بنى أمية فى قرطبة قد دعوا للعباسيين أمر مبالغ فيه وأن هذه الدعوة لم تدم أكثر من فترة قصيرة من بداية عهد عبد الرحمن الأول ثم قطعت بعد ذلك نهائياً .

فى مذهبهم ، ثم توفى . وولى ابنه الحكم[1] بن عبد الرحمن وأقام والياً خمس عشرة سنة كاملة واستكتب محمد ابن أبى عامر[2] وقرّبه وأظهره ثم توفى .

وولى ابنه هشام بن[3] الحكم ، فاستوزر محمد بن أبى عامر المذكور ، فأقام معه وزيراً نحو العام ، وكان ابن أبى عامر فى غاية من الذكاء والشهامة والشجاعة ، فرأى هشاماً صبياً غراً ، مشتغلا باللعب والفتك والخلاعة ، فحجر عليه ، وضرب على يديه بعد أن استمال الأجناد بالإحسان إليهم ، والرعايا بالرفق والامتنان عليهم ، فمالوا معه جملة ، واتفقوا على هذه الفعلة ، فبنى لنفسه قصراً[4] ونقل إليه بيت المـال ، واستكتب الكُتّاب ، واستعمل الحُسّاب ، وأنفذ إلى جميع الأعمال من وثق بأمانتـه من العمال ، ولم يترك لهشام سوى الخطبة والضرب باسمه للدينار والدرهم ، واختار هو لنفسه ، وصيّر باسمه سائر رسمه ، غير أنه ينفذ الأمور عنه ، ويظهر للناس أنها تصدر منه .

---

(١) الخليفة أبو المطرف الحكم الثانى الملقب بالمستنصر بالله ، بن عبد الرحمن الناصر حكم من سنة ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـ (٩٦١— ٩٧٦ م) .

(٢) هو الحاجب المشهور . المعروف بالمنصور بن أبى عامر ، وقد توفى فى ٢٧ رمضان ٣٩٢هـ (١٠٠٢م) .

(٣) الخليفة أبو الوليد هشام الثانى المؤيد بن الحكم ٣٦٦—٤٠٠ هـ (٩٧٦—١٠٠٩ م) .

(٤) هو القصر المعروف باسم المدينة الزاهرة وهى التى بناها المنصور بن أبى عامر فى شمال شرق قرطبة وهى تقابل مدينة الزهراء التى بناها عبد الرحمن الناصر فى شمال غرب قرطبة ولقد اندرست هذه المدينة بعد مدة قصيرة من بنائها وذلك عندما قام الخليفة المهدى محمد بن عبد الجبار بثورته ضد عبد الرحمن بن المنصور بن أبى عامر المعروف بشنجول سنة ٣٩٩ هـ . وفى ذلك يقول ابن الخطيب فى كتابه أعمال الأعلام ص ١١١ (القسم الخاص بالأندلس) :

وانتهب الزاهرة فتقسمت الأيدى كل ما اشتملت عليه من مال مخزون وآلة ومتاع وعدد سلطانية وفرش وآنية حتى اقتلعت الأبواب الوثيقة والخشب الضخمة ، وتوصل منها القائم — زعموا — بعد ذلك لخمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار دراهم ، ومن الذهب لألف ألف وخمسمائة ألف دينار . واستخرج من بعض الدفائن مائتى ألف لم يغنى عنه شيئاً مع الاضطراب والفتنة . وأطلق من حرم آل عامر الحرائر ، واصطفيت الإماء . ولما فرغ من تحويل ما كان بالزاهرة أمر بهدمها وحط أسوارها وقلع أبوابها ، وتشعيث قصورها ، وطمس آثارها وتعجيل ذلك توقعاً لتدارك عبد الرحمن بن أبى عامر ومن لديه من الجيوش أمره ، وسوغ الناس انقاضها كأن لم تغن بالأمس . أما ابن عذارى فإنه يضيف فى أحداث سنة ٤١٥ أيام الخليفة المستكفى بقوله : وطمست أعلام قصر الزاهرة ، فطوى بخرابها بساط الدنيا ، وبتغيرها تغير حسنها . راجع (البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٢) .

ثم سمت به همته وشجاعته إلى قود العساكر التى هى فى طاعته ، وغزو بلاد الروم ، إلى أن ذلل منها كل صعب غير مروم ، ففتح الله على يديه ، وفتح برجلونه Barcelona ، وقتل ملكها بربل Borrell [١] ، وسبى أهلها وخرّبها وغنم منها غنائم كثيرة من عبيد وخدم ومال وسلاح وثياب وبهائم ، وآب إلى قرطبة سالماً غانماً ظافراً . ثم غزا عدة غزوات ، وفتك فى الروم جملة فتكات حتى دانت [٢] له أقاصى بلاد الشرك ، ودخلت له بالسلم تحت الملك إلى أن وافاه رسول صاحب القسطنطينية [٣] العظمى ، ورسول صاحب رومة [٤]

---

(١) فى نسخة م ، مربل وصحته كما ورد فى المصادر المسيحية Borrell II بريل الثانى وكان قومسا أى حاكماً على مدينة برشلونه فى ذلك الوقت (٩٥٤ — ٩٩٢) . ومن المعروف أن المنصور ابن أبى عامر قد خرج بحملته هذه من العاصمة قرطبة متجهاً إلى برشاونه فى ١٢ ذى الحجة سنة ٣٧٤ هـ (٥ مايو ٩٨٥ م) . وسارت الحملة فى طريق البيرة وبسطة ثم مرسية ، ومن هناك اتجهت شمالا فى الطريق الساحلى الشرقى المطـل على البحر المتوسط حتى بلغت برشاونة بعد شهرين تقريباً ، فقلبت أعاليها سافلها ، ولم يجرؤ حاكمها بريل الثانى على مواجهة المنصور وانقاذ المدينة من براثنه . على أنه يلاحظ أن هذا الحاكم لم يقتل فى هذه الحملة كما هو مبين فى المتن وإنمـا مات بعدها سنة ٩٩٢ م .
راجع : (Lévi - Provençal: *Histoire de l'Espagne Musulmane*, II, pp. 238-239 et note 3; Aguado Bleye: *Hist. de Esp.*, I, p. 506).

(٢) فى ج ، ذلت .

(٣) صاحب القسطنطينية أو امبراطور الدولة البيزنطية فى ذلك الوقت هو بازيل الثانى Bazile II (٩٧٦ — ١٠٢٥ م) ويعتبر عصره الطويل من أزهر عصور هذه الأسرة المقدونية الحاكمة .
راجع : (Augustin Feliche: *La Chrétienté Médiévale*, 395-1254), *Histoire du Monde*, tome VII, p. 247, (Paris, 1929).

(٤) صاحب روما : المقصود به أوتو أو أوتون الثالث (Othon ou Otto III) ملك ألمانيـا وإيطاليا والامبراطورية الرومانية المقدسة . تولى الحكم وهو صغير السن بعد وفاة والده الامبراطور أوتو الثانى سنة ٩٨٣ ، فقامت أمه بالوصاية عليه . ولما بلغ سن الرشد سنة ٩٩٦ م . غادر ألمانيا واستقر فى إيطاليا محاولا القضاء على الحروب الأهلية التى سادت فيها . ويؤثر عنه أنه أقام ابن عمه الشاب الألمانى Brun بابا فى روما باسم جورج الخامس ، وبعد وفاة هذا الأخير أقام استاذه العـالم الفرنسى Gebert فى هذا المنصب البابوى باسم سلفستر الثانى وبهذا لم يجد متاعب فى الحكم من ناحية البابوية . وكان أوتو الثالث رجلا محباً للسلام مشجعاً للعلم يجيد عدة لغات كالألمانية واللاتينية واليونانية . حاول أن يستعيد عظمة الامبراطورية الرومانية المقدسة كما كانت على عهد شرلمان ولكنه فشل ومات كمدا فى عز شبابه سنة ١٠٠٢ م . أى فى نفس السنة التى مات فيها المنصور بن أبى عامر .
راجع : (*Histoire du Monde*, tome VII, *La Chrétienté Médiévale par Augustin Feliche*, pp. 257-262 Paris, 1929).

وقشتالة[1] بهدايا وألطاف ، وغرائب اتحاف ، وكلهم يخطب أمانه ويطلب أن يحاشى[2] من معارته[3] مكانه ، وأقام على هذه الحال مع هشام ثمانياً وعشرين سنة ، فلما حضرته الوفاة بكى فقال له حاجبه كوثر الفتى[4] «مم تبكى يا مولاى ؟ لا بكت عيناك» . فقال «مما جنيت على المسلمين ، فلو قتلونى وحرقونى ما انتصفوا منى»[5] . فقال له وكيف ذلك ؟ وأنت أعززت الإسلام وفتحت البلاد وأذللت الكفر وجعلت النصارى ينقلون التراب من أقصى بلاد الروم إلى قرطبة حين بنيت بها جامعها[6] . فقال له : لمَّا فتحتُ بلاد الروم ومعاقلهم عمرتها بالأقوات من كل مكان وسجنتها بها حتى عادت فى غاية الإمكان ، ووصلتها ببلاد المسلمين وحصنتها غاية التحصين فاتصلت العمارة[7] . وها أنا هالك

---

(١) يلاحظ أن قشتالة فى ذلك الوقت كانت امارة صغيرة ، وكان حاكمها يلقب بالكوند Conde أى القمط وهو دون الملك فى الرتبة . وقد حكم قشتالة فى أيام المنصور بن أبى عامر اثنان من هؤلاء الأقماط وهما : García Fernández (٩٧٠ — ٩٩٥ م) ثم ابنه Sancho García (٩٩٥ — ١٠١٧ م) وكلاهما لقى الكثير من الهزائم والمحن على أيدى المنصور ، فمن المعروف أن الأول وهو الأب قد انتهت حياته بأن هزم وجرح وأسر فى معركة مع المنصور ثم حمل إلى قرطبة حيث مات بها ودفن هناك فى كنيسة المستعربين تعرف باسم القديسين الثلاثة Los tres Santos ثم نقل رفاته بعد ذلك إلى دير Cardeña بقشتالة . أما الثانى وهو الابن فقد منى هو الآخر بهزائم عديدة أمام المنصور واضطر أخيراً أن يعقد اتفاقاً معه بل ويزوجه أخته كما تشير بذلك بعض الروايات المسيحية .

راجع : (*Diccionario de Historia de España,* tomo I, p. 1208, t. II, p. 1122).

(٢) حاشى : كلمة استعملت للاستثناء ، فيقال مثلا حاشى زيداً من القوم أى استثناه .

(٣) فى بعض النسخ معرته ، والمعارة معناها الشراسة والتقطيب غضباً .

(٤) كوثر الفتى يذكره ابن الخطيب ضمن كبار الفتيان الصقالبة العامريين الذين كانوا فى خدمة المنصور بن أبى عامر وولده عبد الملك المظفر . والصقالبة عناصر مملوكية أوربية الأصل ولكنهم نشأوا نشأة عسكرية اسلامية عربية فى قصور الخلافة بقرطبة شأنهم فى ذلك شأن المماليك الاتراك فى الشرق العربى . راجع (ابن الخطيب : أعمال الاعلام — القسم الثانى نشر بروفنسال ص ١٠٤ ، بيروت سنة ١٩٥٦ م) راجع كذلك بحثنا عن الصقالبة فى اسبانيا (مدريد ١٩٥٣) .

(٥) هذه العبارة ساقطة فى ج .

(٦) فى ج : وجعلت الروم ينقلون التراب من أقصى بلادهم ومعاقلهم .

(٧) هذه العبارة مضطربة فى م .

وليس فى بنى من يخلفنى ، وسيشتغلون باللهو والطرب والشرب[1].[2] ، فيجيء العدو فيجد بلاداً عامرة وأقواتاً حاضرة فيتقوى بها على محاصرتها ، ويستعين بوجدانها على منازلتها[2] فلا يزال يتغلبها شيئاً فشيئاً ، ويطويها طياً فطياً حتى يملك أكثر هذه الجزيرة ، ولا يترك فيها إلا معاقل يسيرة . فلو ألهمنى الله إلى تخريب ما تغلبت عليه وإخلاء ما تملكت ، وجعلت بين بلاد المسلمين وبين بلاد الروم ، مسيرة عشرة أيام فيافياً وقفاراً ، لا يزالون لو راموا سلوكها حياري ، فلا يصلون إلى بلاد الاسلام ، إلا بمشقة[3] وكثرة الزاد وصعوبة المرام » . فقال له الحاجب : «أنت إلى الراحة إن شاء الله أقرب ، فتأمر بهذا الذى رأيت » . فقال له هيهات ! حال الجريض[4] دون القريض ، والله لو استرحت ، وأمرت بما ذكرت ، لقال الناس : مرض ابن أبى عامر فأورثه مرضه جنوناً[5] وهوساً تمكن من دماغه ، فخرب بلاد المسلمين وأجلاهم وأقفرها »[6] . فمات رحمه الله عما قريب[7] ، وقام بالأمر من بعده ابنه عبد الملك ويسمى

---

(١) هذه الرواية فريدة فى نوعها لأنها تظهر المنصور بمظهر يختلف كل الاختلاف عما وصفته به المصادر الأخرى من أنه قد خرب بلاد النصارى ودمرها تدميراً تاماً . إذ أنه يبدو من النص هنا أنه عمل على تعمير وتحصين بعض المناطق التى غزاها ولا سيما القريبة منها للحدود الإسلامية . وعلى خلاف ما ورد فى المتن فإن ابنه عبد الملك المظفر قد سار بعد ذلك على نفس هذه السياسة التى اتبعها والده فاهتم بعمارة البلاد التي غزاها من أراضى العدو وفى ذلك يقول ابن عذارى : وعهد الحاجب (أى عبد الملك المظفر) وقت الفتح إلى المسلمين ألا يحرقوا منزلا ولا يهدموا بناء لما ذهب إليه من اسكان المسلمين فيه ، فشرع للوقت فى اصلاحه ونادى فى المسلمين : من أراد الإثبات فى الديوان بدينارين فى الشهر على أن يستوطن فى هذا الحصن فعل وله مع ذلك النزل والمحرث ! فرغب فى ذلك خلق عظيم واستقروا به فى حينهم . راجع (البيان المغرب ج ٣ ص ٧) .

(٢) هذه الصفات تنطبق على ابنه عبد الرحمن المعروف بشنجول ، ولا تنطبق على ولده عبد الملك المظفر الذى خلفه فى منصب الحجابة والذى كانت أعماله وسيرته موضع ثناء المؤرخين .

(٣) فى ج . فيصعب على النصارى الوصول إلى بلاد المسلمين إلا بعد الجهد والمشقة .

(٤) الجريض : الغصة ، ويضرب هذا المثل للشىء الذى فات أوانه .

(٥) فى ب ، المرضى وحمقا .

(٦) هذه العبارة ساقطه فى ج .

(٧) كانت وفاة المنصور بن أبى عامر فى ٢٧ رمضان سنة ٣٩٢ هـ (١١ أغسطس ١٠٠٢ م) وهو ابن خمس وستين سنة . ويروى ابن عذارى أن الناس حينما علموا بوفاته صاحوا قائلين : =

بالمظفر ، فاقره هشام على ما كان عليه أبوه معه ، فلم يسد مسده ولم يحل موضعه[1] وكان يزاحم بغير عود ، وكان اسم أبيه حماه ، فلم يستبح إلا اليسير من حماه ، وغزا غزوات كان على الروم منه فيها ظهور[2] ثم أصابته[3] ذبحة ايلا فمات من حينه[4] ، ونظر فى غسله وتكفينه . وكانت مدة ولايته سبعة أعوام .

ثم قام بالأمر من بعده أخوه عبد الرحمن وذلك سنة أربعمائة ، وتسمى بالمهدى ، وسمته العامة شنجول[5] أى أحمق ، فعامل خالقه بالكذب والفجور ، وعاشر الأجناد والرعايا أسوأ معاشرة ، وعكف على المعاصى ، وشرب الخمور

مات الجلاب ! مات الجلاب ! والجلاب كلمة معناها قبيح فى الأصل إذ كانت تطلق على بائع الدواب أو على النخاس بائع الرقيق ولكنها أطلقت هنا بمعنى مجازى مستحب يراد به مدح المنصور كقائد غمرهم بالسبايا والنعم عقب ايابه من غزواته التى بلغت سبعة وخمسين غزوة .

ودفن المنصور فى مدينة سالم Medinaceli ويروى ابن عذارى أنه قد نقش فى رخامة على قبره الأبيات التالية :

آثاره تنبيك عن أخباره ... حتى كأنك بالعيون تراه

تالله ما ملك الجزيرة مثله ... حقاً ولا قاد الجيوش سواه

راجع (ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٣٠١ ج ٣ ص ١٣) .

(١) ولم يحل موضعه : ساقطة فى ج .

(٢) فى ج : ظهر فيها على الروم ظهوراً جيداً .

(٣) فى ج : أخذته .

(٤) توفى عبد الملك المظفر سنة ٣٩٩ هـ بعد حكم دام ست سنين وأربعة أشهر ، وتشير بعض المراجع أنه مات مسموماً وأن أمه وهى أم ولد تسمى الذلفاء كانت تعتقد فعلا فى أن ولدها المظفر مات مسموماً بتدبير من أخيه عبد الرحمن الملقب بشنجول . راجع (ابن حزم : نقط العروس طبعة سيبولد ص ٢٤٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٣٧ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام — القسم الثانى نشر بروفنسال ص ١٠٩) .

(٥) شنجول أى Sanchuelo سانشويلو وهو تصغير للفظ سانشو وهو اسم جده للأمه Sancho Garces II Abarca (٩٧٠ — ٩٩٥) ملك نافارا . وكان المنصور قد تزوج ابنته التى اعتنقت الاسلام وتسمت باسم عبده ، وانجب منها المنصور عبد الرحمن هذا الذى أطلقت عليه أمه اسم Sanchuelo أى سانشو الصغير ذكرى لأبيها ، وليس معناه الأحمق كما ورد فى المتن ، ولكن من المعروف أن عبد الرحمن هذا كان فعلا شاباً أحمقاً طائشاً ولعل هذا هو ما يعنيه المؤلف .

راجع : (Lévi-Provençal: *Histoire de l'Espagne Musulmane*, II, pp. 180, 241-242, 293).

راجع كذلك (ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٦٦) .

مجاهرة ، ونصر الباطل ، وغير الحق ، وأذلّ أهل الشرف ، ورفع كل وغد أحمق[1] ، حتى أدّاه غالب حُمقه وهَوَسه أن ضَمّ الناس إلى مبايعته بولاية العهد من بعد هشام ، وتسمى بولى عهد الإسلام[2] . فضج لذلك بنو أمية ، واستعظموا طغيانه وغيه فثار عليه وعلى هشام منهم ثائر[3] ، وتبعه الأجناد وكافة الناس فقبض على هشام وغيبه ، وقطع خبره وسببه ، وقتل شنجولا وصلبه .

فلمـــا اتصل الخبر بأسراء البلاد ، ثار كل واحد منهم فى بلده[4] بمن عنده[5] من الأجناد ، فثار ابن[6] زيرى بن منـاد بمن تبعه فى ناحية غرناطة ، وثار محمد ابن عَبّاد القاضى باشبيلية ، وثار اسماعيل بن ذى النون بطليطلة وكان أميراً عليها لابن أبى عامر . وثار يوسف بن هود بسرقسطة وكان أميراً عليها لبنى أمية وأقره ابن أبى عامر . وثار كل قاض فى موضعه ، وكل عامل وكل من فيه مُنّة[7] كابن الأفطس فى بطليوس ، وابن صمادح فى المرية ، وابن مجاهد الصقلبى فى دانية ، وابن طـاهر فى مرسية وغيرهم من جنسهم كثير لكن هؤلاء هم المشاهير . ثم قام قائم من بنى أمية ويسمى

---

(١) ورفع كل وغد أحمق : ساقطة فى ج .

(٢) من المعروف أن شنجول هذا قد أعلن نفسه ولياً لعهد الخليفة هشام ولقب نفسه بألقاب الخلافة مثل ناصر الدولة والناصر تشبهاً بعد الرحمن الناصر وتلقب كذلك بالمأمون .
راجع : (Lévi-Provençal; *Op. cit.*, t. II, p. 294)

(٣) يقصد محمد بن هشام بن عبد الجبـار بن عبد الرحمن الناصر الذى تولى الخلافة بعد مقتل شنجول سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م) وتسمى بالمهدى ولكنه لم يلبث أن قتل هو الآخر فى العام التالى سنة ٤٠٠ هـ . انظر (ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٥٠ — ٦٠ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١١٣ — ١٢٩) .

(٤) فى ج : فى موضعه .

(٥) فى ج : بمن معه .

(٦) فى ج : زيرى بن زيرى ، ولعل صحتها زاوى بن زيرى .

(٧) المنة بالضم ، القوة ، يقال ذهب السفر بمنته والجمع منن بضم الميم أيضاً . والمنه بكسر الميم ، اسم من من عليه أى قرعه بصنيعته واحسانه ، فيقال المنه تهدم الصنيعة ، والجمع منن بكسر الميم . والمعنى الأول هو الذى يستقيم مع المتن .

بالمهدى[1] فى قرطبة على قاتل شنجول ، ومغيّب هشام ، وجرت بينهما فتن وحروب ، إلى أن قتل المهدى ، وقيل إن هشاماً وجد فى أثناء تلك الحروب مستخفياً فى بعض تلك القصور ، فقتل . ولذلك أقام ابن عبّاد باشبيلية رجلا كان أشبه الناس بهشام[2] ، فبايعه على أنه هشام ، وبايعه الناس محبة ، وجعل ينفذ الأوامر باسمه ، ويأمر عنه بما يريده . فلما تمكن ابن عباد فى الرياسة وبتعدد غيبه (كذا) ، زعم أنه مات واستبد بالأمر . وعند ذلك انقطع اسم الخلافة من الجزيرة ، ودارت الدوائر المبيرة ، وفسد حال الرائس والمرءوس ، وارتفع كل خامل وخسيس ، وثار الثوار ، واشتعلت بكل مكان النار ، وظهر العدو غاية الظهور ، لا سيما على الأطراف والثغور[3] ، فسار العدو وقصد طليطلة ، فخرج إليه أميرها اسماعيل بن ذى النون[4] فهزمه العدو هزيمة بددت الأجناد ، وأفنت الأعداد ، ثم قصد سرقسطة فبرز إليه واليها

(١) العبارة هنا مضطربة ، ولعله يقصد بذلك سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين .

(٢) يقال إن هذا الرجل الشبيه بهشام كان يسمى خلف الحصرى لأنه كان يعمل حصرياً فى مصنع للحلفا . فأقاموه خليفة على أنه هشام صاحب الجماعة وموهوا به على الناس زمناً إلى أن أظهر موته المعتضد بن عباد بعد ذلك ونعاه إلى رعيته سنة ٤٥٥ هـ . واستظهر بعهد عهده له هشام المزعوم بأنه الأمير بعده على جميع جزيرة الأندلس .

راجع (ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١٧٩ — ١٨٠ ؛ عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ٩٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ١١٣) .

(٣) لعل هذا الاعتداء كان منذ سنة ٤٣٧ هـ . إذ يروى ابن عذارى أنه فى هذه السنة كان عيث النصارى بالثغر الأعلى والأدنى باشلاء ابن هود وابن ذى النون نتيجة للتنافس القائم بين هذين الملكين واستعانة كل منهما بفريق من ملوك الاسبان .

راجع (البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٠ ، ٢٧٨ — ٢٨٢) .

(٤) هو الأمير اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذى النون ، وهو من أسرة بنى ذى النون المغربية الأصل ، وحكم طليطلة (الثغر الأدنى) من سنة ٤٢٧ — ٤٣٥ هـ . وإذا أخذنا برواية ابن عذارى التى تقول بأن اعتداء النصارى على طليطلة كان فى سنة ٤٣٧ هـ . فيكون المقصود هنا فى المتن هو ابنه أبو الحسن يحي بن اسماعيل بن ذى النون الملقب بالمأمون ، وقد حكم من سنة ٤٣٥ إلى سنة ٤٦٧ هـ .

سليمان بن هود[1] ، فهزمه وانتهب محلته وأفنى رجاله وجملته . وخرج من أقصى بـــلاد الروم جيش عظيم — ووصل إلى صاحب قشتالة — وهى دار ملكهم وبها كان البيطين ملكهم[2] .

(١) هو أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامى الملقب بالمستعين بالله ، وكان من كبار قادة الجند بالثغر الأعلى ، وعند قيام الفتنة بقرطبة استولى على مدينة لاردة سنة ٤٣١ ثم دخل سرقسطة وأصبح صاحب الثغر الأعلى كله سنة ٤٣٨ هـ. وأورثه لبنيه بعد وفاته سنة ٤٤١ هـ .
راجع (ابن الأبار : الحلة السيراء ص ٢٤٥ حاشية ١ نشر الدكتور حسين مؤنس ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٠) .

(٢) كذا ، وفى رواية أخرى البسطين ، وهى من الكلمات الغامضة التى اختلف المؤرخون فى تفسيرها وتحديد مدلولها . وقد يفهم من المتن هنا أن المراد بالبيطين هو صاحب قشتالة وعلى هذا الأساس افترض المستشرق الأسبانى باسكوال دى جاينجوس أن لفظ بيطين تحريف لكلمة بطير أو البيطر أى بدرو Pedro بالاسبانية على أساس أن هذا الاسم أطلق على بعض ملوك قشتالة ، ولكنه يعود فيقول بأنه لم يكن يوجد فى ذلك الوقت ملك على قشتالة بهذا الاسم فالفترة التى نحن بصددها والتى تنحصر فيما بين سنتى ١٠٠٠ — ١٠٦٥ م. كان يحكم قشتالة فيها الملك سانشو العظيم ملك نافارا Sancho el Mayor (ت ١٠٣٥) ثم ولده فرناندو الأول (ت ١٠٦٥) وهكذا نجد أن افتراض جاينجوس لم يقم عليه دليل باعترافه هو نفسه .
راجع : (Pascual de Gayangos; *Op. cit.*, vol. II, appendix C, p. XXVI, note)
على أننا إذا تصفحنا المصادر العربية الأندلسية الأخرى ، نجد أن ابن عذارى يذكره على شكل البيطيين (البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٥) كما يذكره الحميرى على شكل البيطش (الروض المعطار ص ٤٠) ويسميه البكرى ، البطين (المسالك والممالك — القسم الخاص بوصف الأندلس لوحة ١٢٤ وهو مخطوط بمكتبة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد) . وكلهم يعنى به اسم قائد الحملة النورماندية التى استولت على القلعه الاسلامية بربشتر Barbastro شمالى سرقسطة سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) .
وهنا قد يبدو لنا لأول وهلة أن هذا التفسير الجديد سوف يؤدى بنا إلى معرفة اسم هذا القائد بسهولة وذلك بمجرد الرجوع إلى المصادر المسيحية التى تكلمت عن هذه الحملة بكثرة ، غير أننا للأسف لا نلبث أن نقف حائرين أمام هذا الاسم بسبب اختلاف المؤرخين المسيحيين حول اسم قائد هذه الحملة أيضاً :
فهناك عدد كبير منهم يطلق على هذا القائد اسم روبرت كرسبين Robert Crespin بمعنى أنه هو المعنى هنا بلفظ البسطين أو البيطين ، غير أن المستشرق الهولندى رينهارت دوزى اعترض على شخصية هذا القائد معتمداً فى ذلك على نص عربى للمؤرخ القرطبى الكبير أبى مروان بن حيان ينص فيه على أن قائد هذه الحملة النورماندية على بربشتر كان يسمى : « بقائد خيل روما » ، واستناداً على هذا النص يرى دوزى أن روبرت كرسبين هذا لا ينطبق عليه هذا الوصف لأنه وإن كان قد سبق له أن خدم فى جيوش الامبراطورية البيزنطية إلا أنه لم يشغل مطلقاً قيادة الفرق البابوية فى روما هذا فضلا =

= عن أن المصادر المسيحية التى ذكرت اسم روبرت كرسبين كقائد لهذه الحملة غير موثوق بها فى نظر المؤرخين المحدثين الأوربيين . ولقد رجح دوزى أن يكون قائد هذه الحملة هو القائد النورماندى جيوم دى مونترى Guillaume de Montreuil الذى كان قائداً لفرسان البابا Alexander II الكسندر الثانى فى روما (١٠٦١ — ١٠٧٣) والذى قاد باسم البابا حملة عسكرية لاخضاع ثورة مونت كاسين Mont Cassin فى ايطاليا .

هذا ولم يعترض دوزى على اشتراك روبرت كرسبين فى هذه الحملة كقائد من قواد جيوم دى مونترى المذكور . راجع :

(R. Dozy: *Recherches sur l'Hist. et la Litterature de l'Espagne,* t. II, pp. 350-353).

وهكذا نرى أنه إذا صحت رواية دوزى ، يكون المقصود بالبيطين هو جيوم دى مونترى وإن كان التشابه بين الاسمين من حيث النطق منعدماً بالمرة إلا إذا حاولنا التوفيق بينهما بافتراض آخر وهو اسم قرية إيطالية تابعة لمونت كاسينو التى حارب فيها هذا القائد وهى قرية البيطو Alvito فلعله نسب إليها باسم Alvitense وصرفت إلى البيطس مثلا ؟ راجع :

(*Enciclopedia Universal Ilustrada Europeo-Americana,* vol. I, p. 474).

أما المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال فإنه رجح بأن يكون المقصود بالبيطين أو البيطش هو أسقف مدينة ليون الاسبانية الذى كان يسمى فى ذلك الوقت باسم البيطس Alvitus ، وكان ملك قشتالة وليون فرناندو الأول قد أرسله سنة ١٠٦٣ على رأس سفارة إلى المعتضد بن عباد ملك اشبيلية لنقل رفات القديس والعالم الاشبيلى سان إسيدورو San Isidoro (القرن السابع الميلادى) من هناك . راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ٥١ حاشية ٢ ، الترجمة الفرنسية ، نشر وترجمة ليفى بروفنسال) .

ولكننا إذا علمنا أن هذا الاسقف المعروف باسم Alvitus قد مات فى خلال سفارته سنة ١٠٦٣ أى قبيل حملة بربشتر سنة ١٠٦٤ م . فإنه يكون بذلك شخصاً آخر غير شخصية قائد هذه الحملة على بربشتر وعلى هذا الأساس يكون افتراض ليفى بروفنسال فى غير محله . أما الروايات المسيحية الأخرى ، فهى كلها تشير إلى أن هذه الحملة على بربشتر وإن كانت فرنسية نورماندية فى معظمها إلا أنها كانت صليبية مسيحية عامة بشر لها البابا اسكندر الثانى فى ايطاليا وفرنسا واسبانيا . وكان الهدف منها هو الاسراع فى انقاذ دولتى أراجون ونافارا فى شمال اسبانيا من الخطر الإسلامى بمنطقة الثغر الأعلى ولا سيما بعد كارثة جرادوس Grados أو Graus التى قتل فيها ملك أراجون راميرو الأول سنة ١٠٦٣ م . على يد المقتدر بن هود ملك سرقسطة . غير أن هذه المصادر المسيحية وإن كانت قد اتفقت حول هدف هذه الحملة إلا أنها قد اختلفت فيما بينها حول اسم قائدها العام ، فالبعض يرى أنه النبيل الفرنسى Elbes de Roucy ، والبعض الآخر يرى أنه الكونت بلدوين دى فلاندس El Conde Balduino de Flandes الذى كان وصياً على فيليب الأول ملك فرنسا ، وأن قواد الفرق التى عملت تحت قيادته فى هذه الحملة هم :

١ — جيوم دى منترى Guillaume de Montreuil حامل شعار البابوية الذى أرسله البابا على رأس فرقة من الفرسان الايطاليين .

٢ — سانشو راميرث Sancho Ramírez ملك أراجون الذى خلف اباه المقتول راميرو الأول .

٣ — الكونت أورخيل Conde Urgel ابن أخى ملك أراجون وقائد الجيوش القطلانية . =

وخرج أيضاً من الأرض الكبيرة[1] جيوش كثيرة ، فانتشر جميعهم على الجزيرة يقتلون ويأسرون إلى أن انتهوا إلى بلنسية[2] ، فبرز إليهم واليها أبو مروان عبد الملك بن رزين ، فهزم وقتل[3] ، واستبيح معسكره الذى كان تهمم

= ٤ — البارون روبرت كرسبين Robert Crespin قائد جيوش جنوب فرنسا مثل ولايتى نورماندیا واكيتانيا .

٥ — جى جيوفروا Gui Geoffroi قائد جيوش بواتييه وبوردو وبقية تلك الجهات . راجع :

(Antonio Ballesteros: y Beretta: *Hist. de España y su influencia en la Historia Universal*, t. II, pp. 242-243, Segunda edición, 1962 & *Diccionario de la Historia de España*, II, p. 1118 & *Historia de la Crónica General*, II, p. 476).

وسواء أكان قائد هذه الحملة الصليبية على بربشتر هو بلدوين أو خلافه ، فالذى يثير التساؤل فى هذا الصدد هو أنه إذا كان اسم بلدوين قد اشتهر فى الحروب الصليبية بالمشرق العربى وحرفه المشارقة إلى بغدوين ، راجع (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٢١) أفلا يجوز أن يكون نفس هذا الاسم قد عرفه الأندلسيون أيضاً فى المغرب العربى وحرفوه إلى بيطين ؟ .

(١) المراد بالأرض الكبيرة هى فرنسا وقد كانت أهلها فى العصر الوسيط يسمونها بنفس هذا الاسم أيضاً : Tere Major راجع (*La Chanson de Roland*, II, vs. 158, ed. Génin) ولعل المقصود هنا بالذات الأقاليم الفرنسية الجنوبية وأهمها اقليم نورماندى Normandie الذى كان مقراً للجيوش النورماندية بعد أن سمح لهم ملك فرنسا شارل الأبله Charles le Simple بالاقامة فيه ، فعرف ذلك الاقليم منذ ذلك الوقت باسمهم . ومن المعروف أن هؤلاء النورمانديين قد شاركوا فى الحملة الصليبية على قلعة بربشتر شمالى سرقسطة وحاربوا أهلها المسلمين سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) .

(٢) لعله يقصد سهلة بنى رزين أو شنتمرية بنى رزين التى تعرف أيضاً بشنتمرية الشرق تمييزاً لها عن شنتمرية الغرب التى تسمى الآن الفارو Faro جنوبى البرتغال . أما شنتمرية الشرق فتقع غربى تيروال Teruel وشرق وادى الحجارة Guadalajara وكانت تسمى بالسهلة لخصبها وكثرة أنهارها ، وتسمى حالياً البرائين Albarracín ، أما مدينة بلنسية المذكورة هنا فى المتن فهى تقع بعيداً نحو الجنوب من هذا المكان . راجع (ابن الأبار : الحلة السيراء ج ٢ ص ١٠٩ نشر حسين مؤنس) ، راجع كذلك

(Jacinto Bosch Vila: *Historia de Albarracín y su Sierra*, tomo II, páginas 33-80, Teruel, 1959).

(٣) المصادر الأخرى لا تتفق مع ما ورد هنا فى المتن من أن أبا مروان عبد الملك بن هذيل بن رزين قتل فى هذه المعركة ، بل على العكس من ذلك تشير إلى أنه حكم مدة طويلة (٤٣٦ — ٤٩٦ هـ/ ١٠٤٥ — ١١٠٣ م) فهو أطول ملوك الطوائف عهداً . ويرجع طول حكمه إلى حصانة ولايته (سهلة بنى رزين) التى كانت تقع وسط تلال ومرتفعات كما كانت عامرة بالحصون التى بناها الخلفاء الأمويون من قبل لتحصينها ، وهذا أدى إلى ابتعاده عن دوامة الحوادث التى احاطت بإمارته أيام ملوك الطوائف والمرابطين . هذا ومن المعروف أن بنى رزين أو بنى الأصلع من أصل بربرى ، دخلوا =

فى جمعه واحتفل . وقصدوا وادى الحجارة[١] ، فلقيهم قائدها ابن الكنانى[٢] فهزموه وأثقلوه جراحاً . ووثب البيطين[٣] فألقى على الثوار الجزية فأدُّوها على رغم أنوفهم ، وذلك وأيم الله أعظم من لقاء جيوشهم ، وكان ذلك فى سنة خمس وأربعمائة[٤] .

ورجع البيطين إلى بلاده ، وخلف قائده ردمير فى تلك[٥] النواحى ، فاستوطن مدينة بربشتر[٦] التى أخذت من يد ابن هود[٧] .

= الأندلس منذ القرن الثامن الهجرى مع عبد الرحمن الداخل واستقروا فى منطقة الثغور الأندلسية وبمرور الوقت ضعفت عصبيتهم البربرية واعتبروا أنفسهم أندلسيين من أهل البلاد فلم ينضموا إلى حزب البربر الذين كان المنصور بن أبى عامر قد جلبهم من المغرب فى عهد الخليفة الحكم المستنصر .

راجع على سبيل المثال (ابن الأبار : الحلة السيراء ج ٢ ص ١١٤ حاشية ٢) .

(١) وادى الحجارة Guadalajara فى شمال شرق مدريد ، وكانت تعرف أيضاً بمدينة الفرج ، قال ابن حزم فى جمهرته ص ٤٦٦ : « وبنو سالم الذين تنسب إليهم مدينة سالم Medinaceli ، وتنسب مدينة الفرج إلى ابنه الفرج بن سالم » . ومن المعروف أن بنى سالم من بربر مصموده ، جاءوا إلى الأندلس فى موجة الفتح الأولى .

(٢) فى نسخة م : ابن الكتانى .

(٣) فى نسخة م : ورتب البسطين .

(٤) يخطئ الكاتب هنا فى تحديد هذه السنة (٤٠٥ هـ) إذ أنها لا تتفق مع هذه الأحداث الجارية ، وقد اخطأ جاينجوس كذلك بتحديدها ، سنة ٤٢٥ هـ (*Op. cit.*, vol. *II*, app. C, p. XXVI) ولعل الصواب هو سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) .

(٥) يرى باسكوال جاينجوس أن المقصود بردمير هنا هو راميرو الأول ملك أراجون ، (Muham. *Dynasties*, t. II, appendix C, p. XXVI) وهذا غير صحيح لأن هذه الحملة الصليبية لم تأت إلى الأندلس إلا على أثر مقتل هذا الملك على يد ابن هود سنة ١٠٦٣ م. كما سبق أن بينا ، فلعل المقصود هنا هو ابنه وخليفته من بعده الملك سانشو راميرث Sancho V Ramírez (١٠٦٣ — ١٠٩٤).

(٦) بربشتر Barbastro مدينة حصينــة على بعد ٦٠ ك. م. شمالى سرقسطة ، وتقع على أحد فروع نهر الإبرو Ebro بين مدينتى لاردة وسرقسطة عمودى الثغر الأعلى ، وهى الآن مدينة ومركز إدارى فى مديرية وشقة Huesca . وقد تعرضت بربشتر لمحنة دامية عندما استولى عليها الصليبيون سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) وقتلوا أهلها وسبوا نساءها ونهبوها نهباً ذريعاً . راجع التفاصيل فى (ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٢٢٥ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ج ٢ ص ٢٤٧) .

(٧) المقصود هنا هو أبو جعفر أحمد بن هود الملقب بالمقتدر وقد خلف أباه سليمان المستعين بالله على حكم سرقسطة (٤٤١ — ٤٧٥ هـ) بينما حكم أخوه يوسف بن سليمان الملقب بالمظفر مدينة لاردة القاعدة الثانية للثغر الأعلى . وينسب إلى أبى جعفر المقتدر بن هود بناء قصر الجعفرية Aljaferia الذى سمى باسمه والذى ما زالت آثاره باقية إلى اليوم بمدينة سرقسطة .

وعند انصراف البيطين إلى بلاده وجد بعض ملوك النصارى وهو فردلند[١] قد خالفه إلى قشتالة طمعاً فى تملكها ، فتحاربا عليها مدة ، واشتغل الروم فى الحرب شهوراً عدة ، فانتهز ابن هود[٢] فى ردمير الفرصة ، إذ كان فى صدره غُصّة ، فكتب إلى ابن عباد[٣] أن يمـدّه ، فبعث إليه قائداً يسمى معاذ[٤] ابن أبى قرة بعسكر انتخبه وأعده[٥] ، فسار إليه وهزمه عن بلاده وطرده ، واسترد بربشتر[٦] وغيرها ، وكفى الله المسلمين ضر تلك الطـاغية ، فاستحيى

---

(١) لعله يقصد فرناندو الأول بن سانشو العظيم (١٠٣٥ – ١٠٦٥) الذى قامت فعلا حروب بينه وبين صهره ملك ليون Vermudo III حول امتلاك امارة قشتالة . وقد انتهت تلك الحروب بمقتل برمودو الثالث ملك ليون سنة ١٠٣٧ وامتلاك فرناندو الأول لقشتالة وليون معا ملقباً نفسه بالامبراطور وهو نفس اللقب الذى كان يتلقب به صهره برمودو الثالث . ولم يكتف فرناندو بهذا النصر بل عمد إلى محاربة أخيه غرسية García ملك نافارا وانتهى الأمر بمقتل غرسية واستيلاء فرناندو على اجزاء كبيرة من مملكة أخيه . راجع : (Aguado Bleye: *Hist. de España,* I, p. 594). راجع :
(Menéndez Pidal: *La España del Cid,* vol. I, p. 110 & *Diccionario de Historia de España,* t. I, pp. 1115-1118).

(٢) أحمد بن سليمان بن هود الملقب بالمقتدر صاحب سرقسطة (٤٤١ — ٤٧٥ هـ) .

(٣) المعتضد بن عباد ملك اشبيلية .

(٤) بنو قرة من زعماء بنى يفرن الزناتيين الذين استقروا خلال الفتنة أواخر أيام الدولة الأموية فى منطقة تاكرنا ، وكانت قاعدتهم مدينة رنده ، وكان زعيمهم وأميرهم فى ذلك الوقت يسمى أبو نوار ابن أبى قرة . ويروى ابن عذارى (البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٧٠) أن هذا الأمير كان معاصراً وحليفاً للمعتضد بن عباد صاحب اشبيلية . فلعل القائد المذكور هنا في المتن هو أحد قرابته أو أبنائه .

(٥) يروى دوزى نقلا عن ابن حيان أن عدد هذه الكتيبة العسكرية الاشبيلية كان يقدر بنحو خمسمائة فارس ، وإن كان لم يذكر اسم قائدها الوارد هنا فى المتن .
راجع : (R. Dozy: *Recherches,* II, p. 348).

(٦) بعد استيلاء الصليبيين على بربشتر (١٠٦٤) تركوها فى طاعة ملك أراجون سانشو راميرث الذى بدوره ترك فيها حامية بقيادة ابن أخيه الكونت أورخل El Conde Urgel Armengol على أن الجرائم الوحشية التى أرتكبها الصليبيون فى هذه المدينة لم تلبث أن اثارت غضب الأندلسين عامة وسكان سرقسطة خاصة . الذين قاموا بقيادة ملكهم أحمد بن سليمان بن هود وبتأييد عسكرى من جانب المعتضد ابن عباد ملك اشبيلية ، وهاجموا بربشتر فى السنة التالية مباشرة فى جمادى الأولى سنة ٤٥٧ (١٠٦٥ م) واستولوا عليها عنوة بعد قتل حاميتها وعلى رأسها الكونت أورخل السالف الذكر . ويروى الحميرى فى هذا الصدد (الروض المعطار ص ٤١) أن ابن هود قد تلقب بالمقتدر بالله بعد هذا النصر الذى أحرزه باسترداد بربشتر .

المسلمون قليلا ، ولم يقصدهم عدو إلا هزم وانصرف مغلولا ، وإنما كان خذلهم التحاسد وفرط الخلاف ، والتباغض وقلة الانصاف .

وطال اشتغال الروم بعضهم ببعض ، فاتفقت كلمة المسلمين ، فشن العدو الغارة على ناحية غرناطة ، فخرج فى إثره برابرها[1] فهزموه ، واحتووا على مضربه فانتهبوه ، وقصد ردمير[2] بن شانجه مدينة وشقة[3] ، وشن عليها وعلى نواحيها غاراته ، فخرج ابن هود من سرقسطة قاصداً لملاقاته ، فهزمه وقتله ، واستباح معسكره . وأغار الفرنج على نواحى طليطلة فاتبعهم واضح الفتى[4] قائد ابن[5] ذى النون ، فهزمهم . ثم كانت الحروب بينهم سجالا ، إذ كانت الروم قد اشتغلت بعضها ببعض ، إلا أنهم فى خلال ذلك تغلبوا على جملة من مدن المسلمين منها : حصن قَلَهرَّة[6] ، وحصن وخشة ، وحصن شيرون تغلب عليه

---

(١) كان يحكم غرناطة فى ذلك الوقت دولة طائفية بربرية الأصل وهى الدولة الزيرية الصنهاجية التى كانت تتفرع من الدولة الزيرية الصنهاجية التى قامت فى المغرب الأوسط بعد رحيل الفاطميين إلى مصر . والنص هنا يشير الى جيوش باديس بن حبوس بن زاوى بن زيرى الصنهاجى حاكم غرناطة فى ذلك الوقت (٤٢٨ — ٤٦٥ هـ / ١٠٣٨ — ١٠٧٣ م) .

(٢) يلاحظ أن المؤلف هنا لا يلتزم تسلسلا تاريخياً أو ترتيباً زمنياً معيناً إذ نراه يعود إلى الوراء قليلا لاستدراك بعض الأحداث التى فاتته دون أن يذكرها وهذا يحدث كثيراً لمؤرخى العصر الوسيط . فهو هنا يشير إلى الحروب التى قامت بين ملك أراجون راميرو الأول (١٠٣٥ — ١٠٦٣) وبين ملك سرقسطة المقتدر بن هود . تلك الحروب التى انتهت بانتصار بن هود ومقتل راميرو الأول سنة ١٠٦٣ م. وقد سبق ان اشرنا إلى أن هذا الحادث كان من الدوافع القوية التى من أجلها قامت تلك الحملة الصليبية التى استولت على بربشتر سنة ١٠٦٤ م .

(٣) وشقة Huesca وفى القديم Osca وكانت من مدن الثغر الأعلى ، وتقع على مسافة ٧٣ ك.م. شمالى شرق سرقسطة .

(٤) لعله هو نفسه القائد واضح الصقلبى الذى كان من رجال الخليفة هشام الثانى من قبل .

(٥) هو يحيى بن اسماعيل بن ذى النون الملقب بالمأمون (٤٣٥ — ٤٦٧ هـ) .

(٦) لعله يقصد مدينة Calahorra قلهرة التى هى الآن مركز إدارى فى ولاية لكروى Logroño وتقع فى منتصف الطريق بين هذه المدينة الأخيرة وبين مدينة تطيلة Tudela فى شمال غرب سرقسطة . راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ٢٤٨ حاشية ٦) . هذا ويلاحظ أن جاينجوس قد قرأها قلمرية Coimbra وهى مدينة بالبرتغال حالياً . راجع (جاينجوس : نفس المرجع ص ٢٨ حاشية ١١) .

شانجه بن أبرك(١)ثم توفى عن قريب . وقام بالأمر من بعده بنوه : فردلند(٢) ، وغرسية(٣) ، وردمير(٤) لعنهم الله ، فقدموا كبيرهم فردلند ، فاحتوى على حصون كثيرة منها شنتمرية بلد ابن رزين(٥) وما سواها ، وأخذ من بلاد ابن الأفطس(٦)

---

(١) يقصد سانشو الثالث الملقب بالمظيم Sancho III el Mayor (١٠٠٠ — ١٠٣٥ م) ملك نافارا وقشتالة وليون وأراجون . أما لفظ أبرك الوارد فى المتن هنا فهو اسم جده سانشو أبركه Sancho Garés Abarca.

(٢) هو فرناندو الأول Fernando I الابن الأكبر لسانشو العظيم (١٠٣٥ — ١٠٦٥ م) وحكم قشتالة فى بادئ الأمر ثم حارب صهره (أخو زوجته سانشا Sancha) برمودو الثالث Vermudo III ملك ليون فانتصر عليه وقتله وضم بلاده إلى مملكته ثم حارب أخاه غرسية ملك نافارا وانتصر عليه وقتله وضم بلاده إلى مملكته ملقباً نفسه بالامبراطور .

(٣) غرسية Garcia ابن الثانى لسانشو العظيم ، وقد حكم نافارا منذ وفاة والده ١٠٣٥ إلى أن قتله أخوه فرناندو الأول واستولى على بلاده سنة ١٠٥٤ م .

(٤) راميرو الأول Ramiro I وهو ابن غير شرعى لسانشو العظيم ، وقد حكم بعد وفاة والده مملكة أراجون إلى أن قتله المقتدر بن هود فى معركة عامة عند بلدة جرادوس Gradus سنة ١٠٦٣ م. وقد اثار مقتله الشعور المسيحى ضد مسلمى الثغر الأعلى وكان من نتائج ذلك تلك الحملة الصليبية التى استولت على بربشتر سنة ١٠٦٤ م .

(٥) شنتمرية الشرق أو سهلة بنى رزين السالفة الذكر وتعرف الآن باسم البراثين Albarracín حكم هذه المنطقة أول الأمر أيام ملوك الطوائف عز الدولة أبو حامد هذيل بن خلف بن رزين (٤٠١ — ٤٥٠) ثم خلفه ابنه أبو مروان عبد الملك بن هذيل بن رزين الذى يظل يحكم هذه الدولة إلى أن مات سنة ٤٩٦ هـ . وكان قبيل وفاته قد خضع للمرابطين ثم حاول ولده يحيى أن يستمر فى الحكم بعده ولكن المرابطين طردوه ، ولا يوجد فى المراجع العربية أو الأوربية ما يفيد من أن فرناندو الأول قد استولى على شنتمرية ابن رزين كما هو وراد فى المتن ، وكل ما هو معروف هو أنه أغار عليها وفرض الجزية على أهلها كما فعل مع غيرها من دول الطوائف . راجع :

(A. Vives: *Los Reyes de Taifas*, p. 63 & R. Dozy: *Recherches*, I, pp. 522-531).

(٦) المقصود هنا بابن الأفطس هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن الأفطس المعروف بالمظفر المتوفى سنة ٤٦٠ (١٠٦٧ م) وكان معاصراً المعتضد بن عباد ملك اشبيلية ومعاديا له .

وبنو الأفطس من أصل بربرى وينتسبون لقبيلة مكناسة وإن كانوا يدعون أنهم ينتمون لقبيلة تجيب العربية . وكانوا يحكمون غرب الأندلس أو الجزء الأكبر لما كان يسمى قديماً باسم لجدانيا وحديثاً بالبرتغال . وتشير المصادر إلى أن فرناندو الأول ملك ليون وقشتالة اغار على تلك المنطقة الغربية سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م) وانتزع من الملك المظفر بازو Viseo ولميق Lamego على نهر —

في غرب الأندلس من عمل بطليوس(1) حصوناً كثيرة أيضاً ، ثم توفى أخزاه الله وترك بنين(2) ثلاثة : شانجه وغرسية والفنش ، فتنازعوا الملك فقتل شانجه وقتل غرسية ، وخلص الملك للفنش بن فردلند(3) ، واستبد به ، واستفحل

= نهر دويره Duero وبعد سبع سنوات عاود الهجوم على تلك المنطقة أيضاً واستولى على مدينة من أهم مدنها وهي قلمرية Coimbra ، وفي ذلك يقول ابن الخطيب :

وفي مدته (أي المظفر بن الأفطس) أخذ العدو مدينة قلمرية من الفتوح العامرية بعد محاصرة طويلة ، وكان قائدها عليها مملوكا له (أي المظفر) استأمن العدو في السير وخرج إليه بأهله وولده ، وأسلم المسلمون بها وقد أخذوا أهبة القتال ، فقال لهم العدو : وكيف القتال وقائدكم عندنا منذ البارحة ، فصبروا إلى أن نفدت أقواتهم ودخلت عليهم عنوة ، فقتل الرجال وسبى الذرية والحريم في سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م . فكان الفتح بها أكبر ، وكانت مدة الاسلام بها بعض وسبعين سنة . وأقبل المملوك قائدها الى ابن الأفطس ، وكان له محل من قبيله ، فأمر به فضربت عنقه .

راجع ابن الخطيب : (أعمال الأعلام ص ١٨٤) ويلاحظ من هذا النص أن المنصور ابن أبي عامر كان قد احتل هذه المدينة قلمرية سنة ٣٧٧ هـ بمعنى أن سقوطها في يد المسيحيين كان بعد ٧٩ سنة هجرية أو ٧٦ ميلادية .

انظر في ذلك (Antonio Prieto y Vives: *Los Reyes de Taifas*, pp. 66-67).

(١) بطليوس Badajoz مدينة وولاية في جنوب غرب اسبانيا عند الحدود البرتغالية وتروى المصادر العربية أن عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي هو الذي بناها وعمرها وحصنها بإذن من أمير الأندلس وقتذاك محمد الأول بن عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م . ولقد اتخذها بنو الأفطس بعد ذلك عاصمة لمملكتهم . راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ٤٦) . انظر كذلك :
(*Ency. of Islam*, art. Badajoz by Seybold).

(٢) قسم فرناندو الأول مملكته قبيل وفاته سنة ١٠٦٥ بين أولاده الثلاثة :
فخص ولده الكبير سانشو الثاني (شانجه) مملكة قشتالة ، وخص ولده الثاني الفونسو السادس (الفنش) مملكة ليون ، وخص أصغرهم غرسية جليقية . أما ابنتاه دونيا أوراكا Urraca ودونيا إلبيرة فقد منحها حق الاشراف على الأديرة في سائر مملكته كما منح الأولى حصن سمورة Zamora والثانية حصن تورو Toro .

(٣) الواقع إن تفتيت المملكة الاسبانية بعد اتحادها على هذا النحو المبين في الحاشية السابقة قد أدى إلى قيام حرب أهلية بين هؤلاء الاخوة . ولقد استطاع الأخ الأكبر سانشو (شانجه) في بادئ الأمر أن ينتصر على أخويه ويستولى على بلادهما ليون وجليقية سنة ١٠٧١ م . بينما فر الفونسو السادس (الفنش) إلى طليطلة حيث أكرمه ملكها المأمون بن ذى النون ، كذلك فر غرسية إلى اشبيلية . ولم يكتف سانشو بهذا النصر بل طمع في ممتلكات أختيه أوراكا وإلبيره . واستولى فعلا على حصن تورو من يد أخته إلبيرة ثم حاصر حصن سمورة الذى تملكه أوراكا . وفي ذات يوم دخل معسكره فارس وطلب مقابلته لمسألة هامة . وما كاد الفارس يرى سانشو حتى طعنه بحربته طعنة قاتلة ثم فر هارباً =

أمره ، واستحكم فى المسلمين طمعه . وصحَّ فى قياسه الفاسد أن يستخلص جزيرة الأندلس لنفسه ، فلم ينم عن شن الغارات ومواصلة الغزوات . وصادف أيام ملكه نفاقاً كثيراً بين المسلمين واختلافاً عظيما ، وضعف بعضهم عن بعض إلا بمعونة الروم ، فبذلوا للفنش ما يحبه من الأموال ليعينهم على مناوئهم بانجاد الرجال ، واللعين فى أثناء ذلك لِمَا بينهم من الفتنة مسرور ، وهم مع ذلك مشتغلون بشرب الخمور ، واقتناء القيان ، وركوب المعاصى وسماع العيدان ، وكل واحد منهم يتنافس فى شراء الذخائر الملوكية ، متى طرأت من المشرق ، كى يوجهها إلى الفنش هدية ، ليتقرب بها إليه ، ويحظى دون مطالبه لديه ، إلى أن ضعف من أولئك الثوار الطالب والمطلوب ، وذل الرئيس والمرءوس ، وافتقرت الرعية ، وفسدت أحوال الجميع بالكلية ، وزالت من النفوس الأنفة الإسلامية ، وأذعن من بقى منهم خارج الذمة إلى أداء الجزية ، وصاروا للفنش عمالا يجبون له الأموال لا يخالف أمره أحد ، ولا يتجاوز له أحد .

= إلى المدينة سنة ١٠٧٢ م. وغير بعيد بالمرة أن تكون هذه الجريمة من تدبير أخته أوراكا Urraca (ومعناها البومة بالاسبانية) التى كانت تكرهه وتميل إلى أخيها الفونسو . واستدعى بعد ذلك الفونسو السادس من طليطلة ونصب ملكاً على قشتالة وليون وجليقية فى نفس السنة ١٠٧٢ م. وهكذا عادت المملكة الاسبانية إلى سابق وحدتها على عهد والده فرناندو الأول . أما الأخ الثالث غرسية فإنه عندما علم بمقتل أخيه سانشو عاد من اشبيلية مؤملا رجوعه إلى ملكه بجليقية ولكن أخاه الفونسو قبض عليه وزجه فى إحدى قلاعه حيث بقى فيها سجيناً إلى أن مات سنة ١٠٩٠ م.

ويقسم العالم الاسباني مننندث بيدال Menéndez Pidal عهد هذا الملك الفونسو السادس Alfonso VI إلى ثلاثة فترات :

الفترة الأولى ١٠٦٥ — ١٠٧٢ م. وهى فترة صراع مضطربة .

الفترة الثانية ١٠٧٢ — ١٠٨٦ م. وهى فترة عظمته التى بلغت ذروتها باستيلائه على طليطلة من أيدى المسلمين .

الفترة الثالثة ١٠٨٦ — ١١٠٩ م. فترة هزائم متتالية على يد المرابطين ومقتل ابنه الوحيد وولى عهده سانشو ثم وفاته من بعده . راجع : *(Dicc. de Hist. de España).*

راجع كذلك (عبد الله عنان : ملوك الطوائف ص ٣٧٥ — ٣٨٠) .

ووكلوا أمور المسلمين إلى اليهود ، فعاثوا فيهم عيث الأسود ، وجعلوهم حجاباً ووزراء وكتاباً .

وتطوّف الروم فى كل عام على الأندلس يسبون ويغنمون ويحرقون ويهدمون ويأسرون .

وفى هذه المدة مات اسماعيل[1] بن ذى النون صاحب طليطلة ، وذلك فى سنة سبع وستين وأربعمائة ، وكان صاحب قرطبة مدافعاً عنها لابن عباد[2] ومانعاً لحوزته بمن عنده من الأجناد . وكان أشبه أولئك الثوار وأقامهم لهواً وإسرافاً ، وأجلّهم همة . وكانت أيامهم تسمى أيام الفرق[3] . وحمل عند موته على أعناق الرجال إلى طليطلة وبها دفن رحمه الله ولم يخلف ابناً[4] .

وفى هذه السنة توفى الفقيه المحدث الإمام أبو عمر بن عبد البر[5] بشاطبة

(١) المقصود هنا يحي بن اسماعيل بن ذى النون الملقب بالمأمون المتوفى سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م.

(٢) من المعروف أن المأمون بن ذى النون قد استولى على قرطبة من يد المعتمد بن عباد فى السنة الأخيرة من حياته (٤٦٧ هـ) ١٠٧٤ م. وتشير المصادر الاسبانية إلى أن الملك الفونسو السادس قد عاونه فى ذلك ببعض قواته من باب العرفان بالجميل لا يوائه له أيام محنته كما سبق أن بينا فى حاشية سابقة . وكيفما كان الأمر فإن المأمون لم يعش طويلا بعد احتلاله لقرطبة إذ مات فى نفس هذه السنة وخلفه حفيده يحي القادر الذى كان ضعيفاً ، فانتهز المعتمد ابن عباد هذه الفرصة واسترد قرطبة ثانية .

(٣) الفرق بفتح الفاء بمعنى الخوف ، أو بكسرها بمعنى الطوائف ، وهى تسمية جميلة لهذه الفترة المضطربة التى عرفت فى كتب التاريخ بفترة ملوك الطوائف .

(٤) هذا يتفق مع ما ورد فى الكتب العربيـة من أن الذى خلف المأمون هو حفيده يحي الملقب بالقادر ، أما الرواية الاسبانية فتقول بأن الذى خلفه هو ولده هشام القادر وهذا غير صحيح إذ يفهم من كلام ابن خلدون وابن الخطيب أن هشاما ولد المأمون توفى قبل وفاة أبيه (عبد الله عنان : ملوك الطوائف ص ١٠٥) .

(٥) هو الفقيه الأندلسى أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى ، نسبة إلى النمر بن قاسط بن أسد بن ربيعـة بن نزار ، وكانت دار بنى النمر بن قاسط بالأندلس هى حصن وضاح من عمل ريه (مالقة) راجع (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٥) . ولد أبو عمر بن عبد البر بقرطبة سنة ٣٨٦ هـ (٩٧٨ م.) ، ودرس على علماء عصره ثم تنقـل فى غرب الأندلس حيث عين قاضياً للشبونه وشنترين فى أيام الملك المظفر بن الأفطس . ثم تحول بعد ذلك إلى شرق الأندلس حيث سكن دانية وبلنسية ثم شاطبة Jatiba التى توفى بها فى آخر ربيع الأول سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م.) وهذا التاريخ هو الثابت فى معظم كتب التراجم العربية وهو لا يستقيم هنا مع المتن =

بلده رحمه الله ؛ فقام بالأمر بعد اسماعيل بن ذى النون حفيده يحيى وتلقب بالقادر ، وكان ضعيف المنة قليل المعرفة ، رُبِّىَ فى أحجار النساء والدايات ، ونشأ بين الخصيان والغانيات ، فملك أمره العبيد ، وحكم عليه كل خصى ومولود ، كل يدبر ملكه على إرادته ، وينفرد بوزارته ، فطمع فى بلاده الرؤساء واحتقره القرناء والغرباء . فأول من استهدف لمطالبته ابن عباد ، لما كان بينه وبين جده من العداوة والبغضاء ، فحصل له قرطبة وسائر أعمالها كطلبيرة[1] وغافق[2]

= الذى يجعل وفاته فى سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م . ومؤلفات ابن عبد البر كثيرة وأغلبها فى الحديث وفى ذلك يقول ابن حزم : لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله ، فكيف أحسن منه ! ؟ ومن أهم مؤلفاته ما كتبه عن موطأ مالك بن أنس مثل كتاب التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ، وقد رتبه على اسماء شيوخ مالك على حروف المعجم ، وكتاب الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار لما تضمنه موطأ مالك من معانى الرأى والآثار ، شرح فيه الموطأ ونسق أبوابه ، كذلك كتب كتابا جمع فيه اسماء الصحابة سماه كتاب الاستيعاب ، هذا إلى جانب كتابه « بهجة المجالس وأنس المجالس » فى ثلاثة أسفار جمع فيه أشياء مستحسنة تصلح المذاكرة . وله أيضاً كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله . راجع ابن بشكوال : الصلة جـ ٢ ص ٦١٦ — ٦١٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ ص ٦٤ — ٦٥ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٥ ص ١٧٢ — ١٧٤ ، القاضى عياض : ترتيب المدارك لوحة ٥٧٢ وما بعدها . راجع كذلك (سارنيلى : مجاهد العامرى ص ٣٤٣) .

(١) طلبيرة توجد عدة أماكن فى اسبانيا بهذا الاسم ، والمقصودة هنا هى طلبيرة لارينا Talavera la Reina وهى الآن من أعمال طليطلة وعلى بعد ١٥٠ ك . م . منها .

راجع : (*Ency. of Islam*, art. Talavera by Lévi-Provençal)

(٢) حصن غافق : قرية صغيرة فى منطقة البطروج أو فحص البلوط Pedroche وهى من أعمال قرطبة وتقع فى شمالها الغربى على مسافة ١٠٤ ك . م . وتسمى الآن أبو القصر Belalcázar وكانت تسمى قديماً بالاسبانية Gahete أو Gahet وكلاهما تحريف للاسم العربى غافق . راجع :

(Félix Hernández Jiménez: *Gáfiq, Gahet, Gahete=Belalcázar,* Al-Andalus, vol. IX, 1944, pp. 71-109).

والجدير بالذكر أنه قد اشتهر من أهل هذه البلدة فى العصر الوسيط ثلاثة أطباء من أسرة عربية واحدة عرفت بأسرة الغافقى على اسم هذه البلدة ، وهؤلاء الغافقيون الثلاثة هم أحمد وابنه محمد ثم ابن عمهما محمد بن قسوم ، والأول منهم ألف كتاباً مهماً عن الأدوية المفردة ، نشره على أجزاء ضمن مطبوعات كلية الطب بجامعة القاهرة الأستاذان الدكتوران جورجى صبحى وماكس مايرهوف . أما الطبيب الثالث محمد بن قسوم الغافقى فقد ألف كتاباً من أعظم ما كتب فى طب العيون فى العصر الوسيط وهو كتاب المرشد فى الكحل أى دليل الرمد . ولم ينشر هذا الكتاب إلى الآن ولكن ماكس

وما بينهما . وجعـل صاحب سرقسطة ابن هود[1] يطالبه أشد مطالبة ، ويحاربه أنكى محاربة ، واستعان عليه بالطاغية ابن ردمير[2] ، فأخذ له شنتبرية[3] وملينة[4] ، فضعف الحفيد عن الدفاع عن نفسه لمـا عنده من قلة التدبير ، واستنصر بالفنش ، وكانت بلنسية لجده[5] ، وكان له فيها قائد يسمى أبا بكر ابن عبد العزيز[6] ، فداخله ابن هود حتى قام على القادر واستبد بنفسه دون

= مايرهوف ترجمه إلى الفرنسية ونشرته له شركة أدوية فى برشلونة هى شركة كوزى . وهذه الترجمة معروفة ومتداولة بين أيدى الناس . وتوفى محمد بن قسوم الغافقى سنة ١١٦٥ م. وفى سنة ١٩٦٥م. أقامت بلدية مدينة قرطبة احتفالا كبيراً بمناسبة الذكرى المئوية الثامنة لوفاته كما أقاموا له تمثالا نصفياً فى قاعة La Capilla de San Bartolomé . وقد حضر هذا الاحتفال كممثل للجمهورية العربية المتحدة الأستاذ الدكتور حسين مؤنس مدير معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد .

(١) هو أحمد بن سليمان بن هود المقتدر بالله المتوفى سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م.

(٢) يقصد Sancho Ramírez ملك أراجون ونافارا السالف الذكر .

(٣) فى نسخة أخرى شنتمرية وصحتها كما فى المتن شنتبرية Santáver وكانت تقع شمال شرق طليطلة بالقرب من منابع نهر التاجو . ويروى الحميرى أنه كان من أهم حصونها قلعة اقليش Uclés التى تقع الآن فى مقاطعة كونكا Cuenca . راجع (الروض المعطار ص ٢٨ والترجمة الفرنسية ص ٣٥ حاشية ٣ وكذلك خريطة الكتاب) . راجع كذلك (عبد الله عنان : ملوك الطوائف ص ٩٤ — ١٠٦) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٧ ص ١٨٦

(٤) ملينة Molina : توجد عدة أماكن فى اسبانيا بهذا الاسم ، ولكن المقصود هنا حصن فى مقاطعة كونكا Cuenca شمالى شرق طليطلة يعرف بملينة أراجون Molina de Aragón وكان اسمها القديم أركبيقة Ercávica . راجع : (Madoz: *Dicc. Geográfico,* t. XI, pp. 460-466). راجع كذلك: (Bosch Vilá: *Historia de Albarracín y su Sierra,* II, pp. 39, 42 y notas).

(٥) المقصود هنا هو المأمون بن ذى النون جد القادر هذا ، وكان قد استولى على إمارة بلنسية من يد أميرها وزوج ابنته عبد الملك المظفر بن عبد العزيز العامرى حفيد المنصور بن أبى عامر بحجة أنه يسىء معاملة ابنته ، وبذلك ضمت بلنسية إلى مملكة طليطلة فى سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م. راجع (ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٦٦) .

(٦) هو أبو بكر بن محمد بن مروان بن عبد العزيز القرطبى ، كان أبوه أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز المشهور بابن روبش وزيراً للأمير عبد العزيز العامرى صاحب بلنسية ثم وزيراً لابنه من بعده عبد الملك المظفر بن عبد العزيز . وبعد وفاة هذا الوزير سنة ٤٥٦ هـ خلفه فى الوزارة ابنه أبو بكر بن عبد العزيز المذكور هنا فى المتن ، فلم يمكث فى منصبه طويلا حتى سقطت بلنسية فى يد المأمون ابن ذى النون الذى أقره فى منصبه ثم عينه نائباً عنه فى حكم المدينة بعد أن عزل أميرها عبد الملك المظفر ونفاه إلى احدى قلاعه فى كونكة . ويفهم من النص هنا أن هذا الوزير أبا بكر بن عبد العزيز قد =

أمر ، فخطب إليه ابن هود إذ ذاك ابنته طمعاً منه أن يتملك بها بلنسية ، فملكه إياها ، وزفها إليه . وكانت كنكة[1] للقادر فنازلها ابن ردمير ووالى عليها الحصار حتى كادوا أن يهلكوا عطشاً ، فافتدوا منه بمال كثير . وجهز القادر بشيرا الفتى وأمره بمناجزة ابن هود وابن ردمير ، فانصرفا ورأى أن انصرافهم دون لقائهم غنم كبير . وقامت بطليطلة فى إحدى الليالى فتنة وضجة وصيحة للعامة منكرة مات فيها الفقيه أبو بكر بن الحريرى[2] وجماعة من أمثاله ، وانتهبت ديار الأعيان ، فكتب القادر إلى الفنش يُعلمه بما جرى ، ويرغب أن

= استمر يحكم بلنسية باسم بنى ذى النون إلى أن مات المأمون سنة ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٥ م. فانتهز هذه الفرصة وخلع طاعة خليفته القادر بن ذى النون ونادى بنفسه أميراً مستقلا ، وفى نفس هذا الوقت تحالف معه المستعين بن هود صاحب سرقسطة وزوجه ابنته على سبيل المعاضدة والتأييد ضد عدوهما صاحب طليطلة أو طمعا فى أن يمتلك بلنسية بعد ذلك وإن كانت المصادر الأخرى لا تشير إلى تملكه لهذه المدينة كما هو مبين فى المتن . ولقد ظل هذا الوزير يحكم بلنسية إلى أن توفى سنة ٤٧٨ هـ/١٠٨٥ م.

راجع (ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٢٦٦) . راجع كذلك :

(Ballesteros (Antonio): *Historia de España y su influencia en la Historia Universal*, t. II, p. 324. (Barcelona, 1934-1950).

(١) كذا فى الأصل وصحتها قونكة أو كونكه Cuenca وكانت من أمنع حصون منطقة الثغر الأدنى طليطلة ، وهى اليوم قاعدة مديرية تحمل نفس هذا الاسم .

راجع (ابن الابار : الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢٢٨ حاشية ١) .

(٢) كذا فى الأصل ولعل صحتها الحديدى كما ورد اسمه فى المراجع العربية الأخرى ، وكان هذا الفقيه كبير الجماعه بطليطلة منذ أيام ملكها اسماعيل الظافر بن ذى النون الذى كان لا يقطع أمراً دون استشارته . وبعد وفاة اسماعيل الظافر سنة ٤٣٥ هـ/ ١٠٤٣ م. سار ولده المأمون على سياسته فى تقديم وزيره ابن الحديدى والاعتماد على رأيه ومشورته . وبعد وفاة المأمون سنة ٤٦٧ هـ/١٠٧٥ م. خلفه حفيده يحي القادر الذى تصفه المصادر بالضعف وقلة التدبير ، فالتف حوله نصحاء السوء وأقنعوه بضرورة التخلص من ابن الحديدى كى يخلو له الجو فى جميع أعماله وتصرفاته . والذى يفهم من المتن أن هذا الوزير قد قتل فى خلال ثورة عارمة قام بها العامة ضد أعيان المدينة إلى درجة أن الملك القادر استنجد فى ذلك بالملك الاسبانى الفونسو السادس . أما المصار العربية الأخرى فانها تشير بوضوح إلى القادر هو الذى دبر مؤامرة لقتل ابن الحديدى بأن استدعى إلى مجلسه عدداً من أعدائه ، فلما حضر ابن الحديدى ورآهم استشعر بالخطر وحاول أن يلوذ بحماية القادر ، فغادر القادر المكان وفتك الحضور بابن الحديدى ونهبت دوره وذلك فى اوائل المحرم سنة ٤٦٨ هـ/ ١٠٧٦ م.

راجع التفاصيل فى (ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ص ١١٨ — ١٢١) ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١٧٧ ، عبد الله عنان : دول الطوائف ص ١٠٥ — ١٠٦) .

يوجه إليه عسكراً ، فراجعه أنْ وَجِّه إلىَّ مالا إن كنت تريد الدفاع عن أنحائك ، وإلا سلَّمتك لأعدائك . وكان أسرّ شيء عند الفنش فتنة تقع بين الولاة من المسلمين ، فيعين هذا على هذا ، وهذا على هذا ، فيستجلب بذلك أموالهم ، طمعاً منه أن يعجزوا ، فيظفر هو بملك الجزيرة كلها . فلما لم يقم القادر بما رسم عليه من المال ، جمع الرعية وأهل الحضر وجميع العمال ، وقال لهم : « أقسم لئن لم تُحضرونى هذا المال الذى طلب فى الحين ، لأجعلنّ عنده رهناً جميعَ مَن عندكم من العيال والبنين » . فلم يجبه أحد بحرف غير القائد أبى شجاع ابن لبون[1] ، فإنه قال له لقد خلعتَ نفسك بما قلت ، وربما

---

(١) هو شجاع أرقم بن لبون (بضم اللام ثم الباء مع تشديدها) . يذكر ابن الأبار أنه كان والياً على وبذة Huete فى مقاطعة كونكة إحدى حصون الثغر الأدنى طليطلة . راجع (الحلة السيراء ج ٢ ص ١٦٩) . هذا وقد حدد ابن الكردبوس سنة وفاته فى الصفحات القادمة فقال بأنه مات شهيداً سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م. أما أسرة بنى لبون فهى أسرة من المولدين كما هو واضح من اسمهم لبون وهو صيغة التكبير أو التعظيم للاسم المعروف لب وهو اسبانى معرب من لوبو Lobo أو Lupe وهو الذئب الأندلسى الذى وصفه المقرى بقوله : « ولها سبع يعرف باللب أكبر بقليل من الذئب فى نهاية القحة قد يفترس الانسان إذا كان جائعاً » . (نفح الطيب ج ١ ص ١٨٥) ومن المعروف فى هذا الصدد أن الاسبان استعملوا فى لغتهم صيغة التكبير المنتهية بحرفى واو ونون ، وقد أخذ عنهم العرب هذه الصيغة وطبقوها على اسمائهم فأطلقوا على خالد خلدون ، وزيد زيدون ، وسعد سعدون ، وعلى علون ، وأزرق زرقون وهكذا . ولقد اتصل تاريخ بنى لبون بأسرة بنى ذى النون حكام الثغر الأدنى طليطلة أيام ملوك الطوائف وفى ذلك يقول ابن حيان : بلغنى أنه لما مات الظافر اسماعيل بن ذى النون ، كان حملة دولته ورؤوس جلته ، الحاج ابن محقور ، وابن لبون ، وابن سعيد بن الفرج ؛ وكان آكد ما عهده إلى ابنه يحيي المتلقب بعده بالمأمون الاقتداء بهديهم والانتهاء إلى رأيهم . راجع (ابن بسام : الذخيرة ق ٤ ج ١ ص ١١٣) . ولقد أمدنا ابن الأبار بأسماء عدة اخوة من بنى لبون أيام يحيي القادر حفيد المأمون وخليفته من بعده على ولاية طليطلة ثم بلنسية وهم : أبو وهب عامر بن لبون وكان ضابطا لقصر بلنسية ، وأبو شجاع أرقم بن لبون ، الوارد هنا فى المتن ، وكان حاكما على بلدة وبذة Huete ، وأبو عبد الله بن لبون وكان واليا على لورقة Lorca وتوفى بعد وقعة الزلاقة بيسير سنة ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م. ، ثم أبو عيسى بن لبون وكان حاكما على بلدة مربيطر Murviedro من أعمال بلنسية ثم تخلى عنها لأبى مروان عبد الملك بن رزين صاحب شنتمرية الشرق Albarracín عندما تغلب السيد الكمبيادور على بلنسية سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م. وكان أبو عيسى بن لبون هذا شاعراً وقد رثى اخوته السالفى الذكر بأبيات من شعره مما يدل على انهم ماتوا قبله . راجع (ابن الأبار : الحلة السيراء ج ٢ ص ١٦٨ — ١٦٩) . هذا ويروى ابن الخطيب رواية أخرى تختلف عن رواية ابن الأبار يذكر فيها أن أبا عيسى المذكور كان واليا على قلعة عبد السلام من الثغر الأدنى قرب وادى الحجارة (أعمال الأعلام ص ٢٠٩) وقلعة عبد السلام تعرف اليوم باسم الكالا دى هنارس Alcalá de Henares .

أرمت عليه وعولت . ففسدت نفوس الجماعة ، ورأوا أنه لا تجب عليهم له طاعة . فانفذوا فى السر إلى ابن الأفطس[1] ، فلما شعر بذلك القادر ، فرَّ ليلاً بعياله وجملة ماله . فقصد وَبْذة[2] ، فناوأه صاحبها ابن وهب[3] ، ودخل ابن الأفطس طليطلة ولم يكن للقادر ناصر ولا ملجأ غير الفنش ، فكتب إليه واستنصر به ، فجاء بنفسه فى أسرع وقت ، فتلقاه القادر واتفقا على محاصرة طليطلة حتى يخرج عنهـا ابن الأفطس ويصرفها إليه ، على أن يجعل جميع أموالهـا فى يديه . فقال له الفنش : « اعطنى حصن سرية وحصن قورية رهناً »[4] ، فأعطاهما له ، فأدخل فيهما اللعين ثقاته فى الحين ، وحصنهـا أشد تحصين .

ثم حاصر طليطلة أشد حصار ، فلما رأى ابن الأفطس ضيق الحال عليه وهو لا يرجو انتصاراً من أحد ، خرج فاراً ، فدخلها القادر[5] واستأصل جميع أموالها ، فلم يقبلها الفنش منه ، فأحضر جميع ما كان عنده من نفيس الذخائر الموروثة عن أبيه وجده ، فلم يَفِ بما قاطَعَه عليه ، فسأله أن ينظر فيه ويجعله بين يديه ، فقال اعطنى حصن قنالش[6] رهناً ، فأعطاه إياه . فلما ظفرت به

(١) هو عمر المتوكل بن الأفطس الذى حكم غرب الأندلس سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧٢ م. وانتهت حياته بالقتل على يد المرابطين سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٤ م. بعد أن ثبتت لهم خيانته واتصاله سراً بالعدو .

(٢) وبذة Huete مدينة على بعد خمسين كيلومتراً غربى قونكا Cuenca ، وكانت من الحصون الشمالية الشرقية لمملكة طليطلة ، وإليها كان فرار القادر بأسرته سنة ٤٧٨ هـ.
راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ١٩٤ وكذلك ص ٢٣٦ فى الترجمة الفرنسية) .

(٣) لعله يقصد أبا وهب عامر بن لبون شقيق أبى شجاع بن لبون الذى ذكره ابن الأبار حاكما لهذه البلدة إذ كثيراً ما كان هؤلاء الأخوة يتبادلون حكم حصونهم ويرثون بعضهم بعضاً عند الممات .

(٤) فى نسخة م : « اعطنى حصن سرية وحصن قنورية رهناً » . ولا شك أنها حصون قريبة من الحدود القشتالية ولعلها المعروفة الآن باسم Soria أو Coria أو Conoria .

(٥) كان ذلك فى سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م. راجع (ابن بسام : الذخيرة ق ٤ ج ١ ص١٢٤ - ١٢٧) .

(٦) قنالش Canales ، تطلق على عدة أماكن فى مختلف أنحاء اسبانيا ، ومعناها واضح وهو جمع قناة أو قنال ، ولعل المقصود هنا هو قرية قنالش التى فى شمال شرق طليطلة فى منطقة وادى الحجارة =

بالرواح ، فحين وافاه ، أخلى له البلد ، وحصل فيها بالأهل والولد ، بعد أن شرط عليه من فيها من المسلمين أن يؤمنهم فى أنفسهم وأموالهم وبنيهم[1] ، وأن من أحب منهم الخروج لم يمنع منه ، ومن أحب المقام لم يلزمه سوى أداء الجزية على عدد ما عنده من الأشخاص ، وإن رجع بعد رحيله نزل على ما كان بيده من عقار دون تعرض عليه لا فى كثيره ولا فى قليله . فعاهدهم على ذلك ، وأعطاهم صفقة يمين ، وأقسم لهم أنه لا يغدر فى ذلك ولا يمين[2] .

وكان تملكه لها سنة ثمان وسبعين[3] وأربعمائة ، وكان استفتاح طارق لها سنة تسعين[4] ، فأقامت دار الإسلام ثلاثمائة سنة وثمانية وثمانين من الأعوام . فخرج المسلمون من جميع الأقطـار حين تملكها العدو ولم يكن لهم قرار ، ولا هدوّ ولا طمع فى التخلص من يد اللعين ، سوى أنباء طرأت عليهم من قبل المرابطين ، وأنهم قد ملكوا مغرب العدوة وطردوا عنه الزناتيين[5] ، فكأنهم تأنسوا بأبنائهم ، ورجوا الفرج من تلقائهم .

= راجع (العذرى : ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ص ١٧ نشر الدكتور عبد العزيز الاهوانى) ؛ (الحميرى : الروض المعطار ص ٤٧ — ٥٥) ؛ راجع كذلك :

(*Ency. of Islam,* art. Valence, por Lévi-Provençal & Menéndez Pidal: *España del Cid* 2 tomos).

(١) فى ج ، بعهد انشرط عليه أن يؤمن من فيها من المسلمين فى الأنفس والأموال والأهلين والبنين .

(٢) هذا الجزء الخـاص بسياسة الفونسو السادس نحو أهل طليطلة ، قد نقل بنصه فى بعض الحوليات الإسبانية راجع على سبيل المثال :

(*Crónica General,* fol. CCCXX; Rodericus Toletanus: *Hist. Rerum in Hisp. gesterum,* lib. IX, cap. XXV).

(٣) كان سقوط طليطلة نهـائياً فى يد الاسبان فى ٢٧ المحرم سنة ٤٧٨ هـ / ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ م) .

(٤) من المعروف أن استيلاء المسلمين على طليطلة عاصمة الدولة القوطية كان فى سنة ٩٢ هـ / ٧١٤ م .

(٥) يقصد الدولة الزناتية التى حكمت بلاد المغرب الأقصى مثل بنى مدرار وبنى خزر المغراويين وبنى يفرن وبنى يخفش أو بنى توالى الزناتيين وقد انتهى حكمهم على يد المرابطين الصنهاجيين . راجع (ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثالث الخـاص بتاريخ المغرب العربى نشر أحمد مختار العبادى وابراهيم الكتانى (الدار البيضاء ١٩٦٤) .

وله من مدمّر مصدّع أفلاذ الأكباد ، وفزّع قلوب العباد ، واستوى فى مصابه الحاضر والباد . ووافى بلنسية فأدخل أهلها فيها خوفاً من الحصار .

ولما حصل الطاغية الفنش لعنه الله بطليطلة ، شمخ بأنفه ، ورأى أن زمام الأندلس قد حصل فى كفه ، فشن غاراته على جميع أعمالها ، حتى فاز باستخلاص جميع أقطار ابن ذى النون واستئصالها ، وذلك ثمانون منبراً سوى البُنيّات (١) ، والقرى المعمورات (٢) ، وحاز من وادى الحجارة إلى طلبيرة (٣) وفحص اللج (٤) وأعمال شنتمرية كلها ، فلم يكن بالجزيرة مَن يلقى أقلّ كلب من

(١) يرى دوزى أن المدن الكبرى كانت تسمى أمهات بينما تسمى الصغرى التابعة لها بنيات .
راجع (Dozy: *Loci de Abbadidis*, vol. III, p. 190).

(٢) كانت مملكة طليطلة تحتل رقعة شاسعة فى قلب اسبانيا على طول وادى التاجو Tajo من الشرق إلى الغرب ومن أهم أعمالها مدينة سالم Medinaceli ووادى الحجارة Guadalajara ومجريط Madrid وقونقة Cuenca ولاردة واقليش وطلبيرة وغيرها وتتوسط هذه المساحة الشاسعة العاصمة طليطلة على ربوة مرتفعة . ونظراً لمتاخمة حدود هذه المملكة بالحدود الاسبانية فقد اعتبرها المسلمون ثغراً أدنى للدولة الاسلامية الأندلسية على اعتبار أن مملكة سرقسطة التى تقع فى شمالها على وادى الإبرو Ebro هى الثغر الأعلى . ولهذا كان سقوط مدينة طليطلة فى يد العدو كارثة كبرى للاسلام فى الأندلس إذ لم يلبث حوض التاجو بما فيه من مدن وضياع أن انهار بانهيار قاعدته الرئيسية طليطلة ، واحتل العدو هذه الأراضى الشاسعة التى امتدت جنوباً حتى جبال قرطبة Sierra Morena وقد أطلق الاسبان على هذه المنطقة الجديدة المحتلة فيما بعد اسم قشتالة الجديدة Castilla la Nueva .
راجع (Henri Terrasse: *Histoire du Maroc*, I, p. 231).

وواضح أن احتلال الاسبان لمملكة طليطلة قلب الأندلس ، كان معناه شطر بلاد المسلمين إلى شطرين وتمزيق شملهم . وقد عبر عن ذلك أصدق تعبير الشاعر الطليطلى أبو محمد عبد الله بن فرج ابن عزنون اليحصبى المعروف بابن العسال ، بقوله :

شدوا رواحلكم يا أهـل أندلس   فما المقـام بهـا إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى   ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

راجع (ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ١١٨) .

(٣) توجد عدة أماكن باسم طلبيرة فى اسبانيا فهناك Talavera la Real بالقرب من بطليوس عند الحدود البرتغالية غرباً ، وهناك Talavera la Reina التى تقع على نهر التاجو غربى طليطلة وهى المقصودة هنا فى المتن . راجع (*Ency. of Islam*, art. Talavera).

(٤) فحص اللج : الفحص Alfoz اسم يطلق على عدة مواضع بالأندلس . يقول ياقوت فى معجمه للبلدان (ج ٦ ص ٣٣٩) وسألت بعض أهل الأندلس ما تعنون به فقال كل موضع يسكن ، سهلا كان أو جبلا بشرط أن يزرع نسميه فحصاً ثم صار علماً لعدة مواضع ولا سيما فى نواحى طليطلة =

كلابه ، فعند ذلك وجّه كلٌّ رئيس بالأندلس رسله إلى الفنش مهنئين ، وبأنفسهم وأموالهم مفتدين ، وفى أن يشركهم فى بلادهم له عاملين ، ولأموالهم إليه جابين ، حتى إن صاحب شنتمرية ، حسام الدولة ابن رزين [1] ، نهض إليه بنفسه وتحمّل هدية عظيمة القدر سنية متقرباً إليه ، وراغباً أن يقرَّه فى بلده عاملا بين يديه ، فجازاه ، على هديته بقرد وهبه إياه ، فجعل ابن رزين يفخر به على سائر الرؤساء ، ويعتقد أنه جُنَّتُه مما كان يحذر من الفنش من وقوع البأْسَاء [2] .

وانتحى الفنش انتحاء الجبابرة ، وأنزل نفسه منازل القياصرة ، وداخَلَه من الإعجــاب ما احتقر به كل ماشٍ على التراب ، وتسمى بالإنبراطور [3] ، وهو

= وطليرة واشبيلية . أما فى لغة العرب فالفحص شدة الطلب خلال كل شىء فالدجاجة مثلا تفحص برجلها لتتخذ الخوصة تبيض فيها .

أما فحص اللج الوارد هنا فى المتن فمن الصعب تحديد مكانه خصوصاً وأن المصادر العربية قد اختلفت فى تسميته وتحديد مكانه ، فابن الأبار يسميه بحصن اللج وبالبسيط Albacete على مقربة من جنجاله Chinchilla (الحلة السيراء ج ٢ ص ٢٥١ — ٢٥٢ ، ص ٢٢٣ حاشية ١) والحميرى فى الروض المعطار (ص ١٠٨ — ١٣٧) تارة يسميه بحصن اللج وتارة أخرى بحصن الثلج ، ويجعله بجوار شلبطرة Salvatierra علماً بأن هذا الاسم الأخير شلبطرة قد أطلق على عدة أماكن فى اسبانيا شمالا وشرقاً وغرباً !! وابن حيــان يسميه بحصن الثلج ويجعله فى شمال غرب قرطبة (المقتبس نشر الدكتور محمود مكى) أما ابن الكردبوس فيسميه هنا فى المتن بفحص اللج ويجعله فى منطقة الثغر الأدنى أى فى مملكة طليطلة .

راجع كذلك (Madoz: *Dicc. Geogr.*, vol. XIII, pp. 711-716).

(١) هو حسام الدولة يحي بن عبد الملك بن هذيل بن رزين آخر ملوك هذه الأسرة وقد حكم سهلة بنى رزين أو شنتمرية الشرق Albarracín بعد موت أبيه سنة ٤٩٦ هـ . ثم خلعة المرابطون بعد سنة واحدة من حكمه فى رجب سنة ٤٩٧ هـ . فانقرضت بذلك دولة بنى رزين .

راجع (ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٣١٠ — ٣١١) .

(٢) البأساء اسم للحرب . راجع تفاصيل ذلك فى (ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٣١١).

(٣) من المعروف أن الفونسو السادس قد لقب نفسه بلقب لاتينى وهو Imprateur Totius Hispaniae أى الامبراطور على جميع اسبانيا ، كذلك لقب نفسه بلقب عربى وهو الامبراطور ذو الملتين (أى الإسلام والمسيحية) ويؤثر عن المعتمد ابن عباد صاحب اشبيلية أنه حينما تسلم من الملك الفونسو السادس رسالة تحمل هذا اللقب الأخير ، شطبه بقلمه ورد عليه قائلا : المسلمون أحق بهذا الاسم . راجع (الحلل الموشية ص ٢٦) .

بلغتهم أمير المؤمنين ، وجعل يكتب فى كتبه الصادرة عنه من الإنبراطور ذى المِلّتَين ، وأقسم لأرْسَال الرؤساء « أنه لا يترك فى الجزيرة من الثوار أحداً ، ولا يبقى لهم ملتحداً ، سوى من اكتنفته رعايتى ، وشملته عنايتى » .

وكان رسول ابن عباد إليه يهودياً يعرف بابن مشعل ، فقال له « كيف أترك قوماً مَجّانين[1] ، تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم المعتضد والمعتمد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون[2] ، وكل واحد منهم لا يسلُّ فى الذَّبِّ عن نفسه سيفاً ، ولا يرفع عن رعيته ضيما ولا حيفاً ، قد أظهروا الفسوق والعصيان ، واعتكفوا على المغانى والعيدان ؟ ! وكيف يَحِلُّ لبشر أن يقرّ منهم على رعيته أحداً ، وأن يدعها بين أيديهم سُدىً ! ؟ » .

وانتشر الروم على جميع الأقطار ، وعاثوا فى جميع الأمصار ، وصارت لهم أقصى بلاد المسلمين مرتعاً . ولقد بلغ الروم أن أغاروا فى ثمانين فارساً ممن لا خلاق لهم على نظر المرية[3] ، فأخرج ابن صمادح قائداً من قواده ، ومعه من خيار جنده أربعمائة ، فلما التقوا بالعدو ، انهزموا ، وما وقفوا ولا أقدموا .

ولما تيقن كل من ثار ورأس ، ولا سيما رؤساء غرب الأندلس كابن عباد وابن الأفطس ، مذهب ألفنش فيهم ، وأنه لا يقنع منهم بجزية ولا هدية ، رأوا أن الرجوع إلى الحق أحق ، فاستصرخوا بالمرابطين ، واستنصروا بأمير

---

(١) المجان : الكثير المجون ؛ ويجوز أن تقرأ مجانين بدون تشديد الجيم بمعنى أنهم فقدوا عقولهم .

(٢) صور هذه الفوضى السياسية الشاعر أبو الحسن بن رشيق القيروانى فى هذين البيتين :

مما يزهدنى فى أرض أندلس ... أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها ... كالهر يحكى انتفاخا صورة الأسد

راجع (ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١٤٤ ، عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ٤) .

(٣) المرية Almería ميناء هام على ساحل البحر الأبيض المتوسط فى جنوب شرق اسبانيا بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م. وكانت فى العصر الوسيط احدى القواعد البحرية الهامة للاسطول الاسلامى . راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ١٨٣ – ١٨٤) .
راجع كذلك (*Ency. of Islam*, art. Almería by Seybold).

المسلمين يوسف بن تاشفين ، على أن ينخرطوا فى سلكه ، ويدخلوا تحت ملكه . وفتحوا له باباً إلى الجهاد كانوا قد سدّوه ، فأجابهم إلى ما رغبوه ، ولم يخالفهم فيما طلبوه ، إذ كان راغباً فى جهاد المشركين والذبّ عن حريم المسلمين ، فاستيقظ طلب النصر من منامه ، وتطلع بدر التأييد من خلال غمامه[١] .

وأسرع فى عبور البحر بنفسه وإخوته المرابطين ، سنة ثمانين وأربعمائة[٢] ، وقد أخلص الله تعالى نيته ، وحقق فى ذاته طويته ، وملأ البحر أساطيلا ، وأجاز الأجناد رعيلا رعيلا ، واحتل بالجزيرة الخضراء[٣] ، فى كتيبته الخضراء المشتملة على اثنى عشر ألف راكب من صناديد الأجناد .

---

(١) فى نسخة م : وطلع بدر الهمة من خلال غمامه .

(٢) أغلب المصادر تشير إلى أن عبور يوسف بن تاشفين بقواته إلى الأندلس كان فى منتصف ربيع الأول سنة ٤٧٩ هـ / يونيو ١٠٨٦ م .

(٣) الجزيرة الخضراء Algeciras ميناء فى أقصى جنوب اسبانيا بجوار جبل طارق ، وتسمى أيضاً بجزيرة أم حكيم وهى جارية لطارق بن زياد كان قد حملها معه عند غزوه لاسبانيا ثم تركها فيها فنسبت إليها ، ويقال إن طارق قد وقف هذه المدينة على جاريته المذكورة . راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ٧٣ والترجمة الفرنسية ص ٩١) .

ولقد بنى فيها الخليفة عبد الرحمن الناصر داراً هائلة لصناعة الأساطيل الحربية ذات أسوار وحصون ، كذلك كان يوجد بها مسجد عظيم عرف بمسجد الرايات وذلك نسبة إلى رايات النورمانديين التي غرسوها فيها عندما أغاروا على هذه المدينة سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م . فنسبت إليها . وقيل إن هذه التسمية أقدم من ذلك بكثير وتنسب إلى رايات المسلمين الأوائل الذين غزوا اسبانيا بقيادة موسى بن نصير وطارق ابن زياد ، وانهم اجتمعوا براياتهم فى هذا المكان للمشورة والرأى (الروض المعطار ص ٧٣ — ٧٥) ولقد استمرت الجزيرة الخضراء بعد ذلك المجاز المفضل للجيوش العسكرية القادمة من العدوة المغربية على أيام المرابطين والموحدين وبنى مرين ، لقوة مناعتها وشدة قربها من الساحل المغربى حتى إنه يروى أن القائد المرابطى يوسف بن تاشفين قبل جوازه إلى الأندلس طلب من المعتمد بن عباد تسليمه الجزيرة الخضراء لأهمية موقعها الاستراتيجى . وكان غرضه من ذلك أن يسيطر على مضيق جبل طارق من جهة ، ويضمن الاتصال بوطنه في أى وقت يشاء من جهة أخرى . وقد رضخ المعتمد لطلبه وأمر ابنه الراضى باخلائها . (ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٨٢) ولقد استمرت الجزيرة الخضراء فى يد المسلمين إلى أن استولى عليها ملك قشتالة الفونسو الحادى عشر بعد انتصاره فى وقعة طريف del Salado سنة ١٣٤٠ م . على أن ملك غرناطة السلطان محمد الخامس الغنى بالله استطاع فى سنة ١٣٦٩ م . =

ووافاه المعتمد محمد بن المعتضد بن عبّاد ، بجملة من عنده من الأجناد ، والمتوكل ابن الأفطس بجميع ما تحت لوائه من الأجناد ، ولحق أكثر الرؤساء بمن معهم وكل من رغب فى الجهاد .

وكان ألفنش محاصراً لسرقسطة وقد أقسم أنه لا يبرح عنها حتى يدخلها والقدر يأبى إلا خلاف ذلك ، فبذل له المستعين صاحبها أموالا جمّة فى زواله وتنقله عنها ، فأبى كل الإباية ، وجعل لكل من دان له من الإسلام البرَّ والرعاية ، وأخذ نفسه بالعدل فيهم والأمان ، والرفق فى السرِّ والإعلان ، ووعدهم ألاَّ يلزمهم غير ما توجبه السُّنَّة الاسلامية ، وأنه يحملهم فى سائر ذلك على الحرّية . وقد كان تحقق أنه فرق على ضعفاء أهل طليطلة مائة ألف دينار ، ليستعينوا بها على الزراعة والاعتمار ، فاستنل أهل سرقسطة على صدق مقاله وتحقق فعاله[١] .

فبينما هو كذلك إذ وصل إليه ظهور المرابطين فى مغرب العدوة ، وأنهم يرومون الجواز للأندلس فى كل روحة وغدوة ، فكتب إليه أن هؤلاء السائسين يهددوننى بجوازك ، وقد جعلت لمن يبشرنى بذلك عشرة آلاف مثقال ، فإما أن تجوز إلى ، وإما أن أجوز إليك ، فوجِّه إلىّ رسولك بما نعتمد عليه من هذين الوجهين[٢] . فراجعه أمير المسلمين بعد البسملة والصلاة على النبى (صلعم) :

فلا كُتْبَ إلا المشرفيةُ والقَنا ولا رُسْلَ إلاَّ بالخميسِ العرمرمِ[٣]

= أن يستردها ثانية من أيدى الاسبان إلا أنه آثر تدميرها تماما خوفا من أى خطر يأتيه من هذه الناحية سواء من جانب المسيحيين فى قشتالة وأراجون أو من جانب بنى مرين فى المغرب .

والجزيرة الخضراء الآن بلدة صغيرة يسكنها بعض العمال الاسبان الذين يعملون فى جبل طارق . راجع كذلك *(Ency of Islam,* art. Algeziras by Seybold).

(١) هذه العبارة مهمة من الناحية التاريخية إذ تدل على سياسة الدهاء والتفرقة التى اتبعها الملك الفونسو السادس مع المسلمين لاضعاف روح المقاومة فى نفوسهم .

(٢) راجع نص الرسالة التى بعث بها ألفونسو السادس إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فى (الحلل الموشية ص ٢٩ — ٣٠) .

(٣) هذا البيت للشاعر المشهور أبى الطيب أحمد المتنبى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ / ٩٥٥ م .

ولم يزد على هذا البيت حرفاً ، فما كان إلا أن وصل هذا الجواب وكتاب ثقته بطليطلة بجواز أمير المسلمين قد ورد عليه ، فوجّه إلى المستعين أن يدفع له ما أمكنه من المال ، ويأخذ فى أسباب الارتحال ، وجواز المرابطين ، قد نما[1] إلى المستعين ، فأبى أن يدفع إليه درهما خشية أن يتقوى به ويستعين . فرحل عنه اللعين صاغراً ، وآب بالخيبة إلى طليطلة خاسراً ، وأنفذ كتبه إلى جميع النصارى معلماً بجواز المرابطين ، فوافاه أهل قشتالة فى عدد لا يحصى . وأقلع قائده[2] البرهانس عن بلنسية فلحق به ، وأقبلت عليه العساكر من أقصى الرومية حتى ملأوا البطاح والأفضية ، فأعجب بنفسه وقد وَثِق بكثرة من اجتمع إليه من أبناء جنسه ، وأقسم أنه لا يقوم له طالب ، ولا يغلبه مغالب ، ولو أن الله الذى لا يفوته هارب تعالى الله عن ذلك[3] فخذله الله إذ تبرّأ من قوته وحوْله . وانفصل عن طليطلة بجيوشه التى ضاقت بها البطـاح ، ولم يصحبها نصر ولا نجاح ، كأنها الليل الدامس ، والبحر الطامس ، قد لبسوا الدروع الضافية ، وتقلدوا السيوف الماضية ، تقلسوا بالحديد ، وتقدموا ببأس شديد ، طبولهم القرون[4] ، وألويتهم كأنها السحاب الجُون[5] .

وسار أمير المسلمين[6] نحو بطليوس ، قاصداً طليطلة للقاء ألفنش فى جيوش

---

(١) فى ج : أنهى .

(٢) فى ج : قائد .

(٣) فى ج : هذه العبارة ساقطة فى ج .

(٤) فى ج : طبلو لهم ، والمتن أصح على أساس أن نفخ القرون عند المسيحيين كان بمثابة قرع الطبول عند المرابطين .

(٥) الجون بفتح الجيم ، والجمع جون بضمها ، لها معانى كثيرة منها الخليج الناتج عن امتداد مياه البحر فى الأرض ، والجون من الابل والخيل هو الأدهم الشديد السواد ، والجون من النباتات يضرب إلى السواد من خضرته ، والجون من القطا ضرب من القطا سود البطون والأجنحة ، والجونة (بفتح الجيم) هي الوهدة بين الجبلين وتستعار لنقرة العين ، والجونة أيضاً عين الشمس وإنما سميت جونة عند مغيبها لأنها تسود حين تغيب . ولعل المراد هنا فى المتن بالسحاب الجون هو الكثيف القاتم اللون كناية عن سواد الألوية أو كثرتها .

(٦) فى م : أمير المؤمنين والمتن أصح لأن ملوك المرابطين على الاطلاق لم يتلقبوا بالقاب الخلافة بل اكتفوا بلقب « أمير المسلمين » ودعوا للخليفة العباسى ببغداد .

تقرّ بها عيون الأولياء ، فالتقيا على مقربة من بطليوس بموضع يسمى بالزلاقة[١] وكان بين المحلّتين ثلاثة أميال فتراسلا ، متى يكون اللقاء ، الذى فيه تسال الدماء . فقال الملعون : هذا يوم الخميس والجمعة عيدكم والأحد عيدنا ، فيكون يوم السبت اللقاء بيننا . فقال أمير المؤمنين : كذلك إن شاء الله يكون . واللعين قد اعتمد[٢] فى ذلك المكر ، وقصد الغدر .

وكان أمير المسلمين[٣] قد نزل بمحلّة تجاه العدو ، ونزل ابن عباد ورؤساء الأندلس على بعد منه ، فرفع ابن عباد الاسطرلاب ، ونظر الطالع فى منزل أمير المسلمين ، فقال ذلك منزل نحيس . فلما كان ليلة الجمعة رحل أمير المسلمين ونزل بين جبلين فأخذ المعتمد طالع نزوله فيه ، فقال لم أر قطُّ أسعد من ذلك المنزل الذى نزله .

فلما كان سحر ليلة الجمعة قدَّم اللعين كتائبه ، وضم إليه جنائبه ، وقصد نحو محلة المعتمد ورؤساء الأندلس ، وهو يظنها محلة أمير المسلمين ، فلم يشعروا بهم إلا وسيوفهم فى رقابهم[٤] تشرع ، ورماحهم فى دمائهم تكرع[٥] ، ففرّ

---

(١) الزلاقة وفى المصادر المسيحية Sacralias ، ومكانها اليوم قرية صغيرة على نهر Guerrero أحد فروع نهر وادى يانة باسم Sagrajas على بعد ١٢ ك. م. شمالى شرق بطليوس فى غرب الأندلس . فى هذا المكان حدثت الموقعة الشهيرة باسم الزلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى ١٢ رجب ٤٧٩ هـ. (٢٣ أكتوبر سنة ١٠٨٦ م.) . والمصادر التى تناولت وصف هذه المعركة كثيرة جداً ، ويمكن الرجوع إلى أهمها مثل (الحميرى : الروض المعطار ص ٨٣ — ٩٥ ، مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى فى غرناطة نشر ليفى بروفنسال ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ ص ١١١ — ١٣٠ نشر محيي الدين عبد الحميد) . انظر كذلك :

(R. Dozy: *Loci Abbadidis*, II, pp. 238-253; R. Menéndez Pidal: *La España del Cid*, tomo I, p. 359).

(Huici Miranda: *La invasión de los Almorávides y la batalla de Zallaca* (Hespéris 1953).

(٢) فى ج : اعتقد .

(٣) فى ج : المؤمنين .

(٤) فى ج : فى ركابهم .

(٥) فى ج : تقرع .

الناس فرار الأوعال من تلك السهولة والأجبال ، ووقف لهم المعتمد ، كالأسد الوَرْد[1] ، وناطحهم مناطحة الأقران ، وثبت ثبوت راسخات الرِعَان[2] ، حتى أثخن بالجراح ، وتبع الروم فلّ المسلمين ثمـانية عشر ميلا فى تلك البطاح ، يقتلون ويأسرون وينتهبون .

فأعلم أمير المسلمين بانهزام الرؤساء ، فقال اتركوهم قليلا للفنا ، فكلا الفريقين من الأعداء[3-4] . فلما تحقق أن أكثرهم قد أُسر وقتل ، رآى أنه قد آن أن يفترس العدو إذ قد تباعد عن محلّته ، وتحمّل وقصد بجيشه محـلّة العدو فتغلبها ، واستأصلها وانتهبها ، وقتل فيها نحو عشرة آلاف بين راجل وفارس ، وما منهم إلا بطل مدُاعس ، ومضى على وجهه فى أثر الفنش وقد تفرّق له فى اتباع الإسلام أكثر الجيش ، فوضعوا السيوف فى ظهورهم ، والأسَل فى نحورهم ، فانهزموا وولوا مدبرين ، خاسئين فارين مدحورين .

ولجأ اللعين إلى جبل منيع فى نحو ثلاث مائة فارس من رجاله ، وكان قد وصل فى ستين ألفاً من أنجاد أبطـاله . فلما جنّ عليه الليل ، وأمن من أن تتبعه الخيـــل ، انسلّ انسلال الأرنب ، أمام ذى المِخلب ، ولحق بطليطلة مهزوماً ، حزيناً مكلوماً .

---

(١) فى م : الورى وصحتها الورد كما فى المتن (بفتح الواو وسكون الراء) ومعناها الجرىء وتطلق على الأسد وعلى الكميت من الخيل .

(٢) الرعان : الجبال الطويلة .

(٣) فى ج : فـكل من الأعداء .

(٤) هذا النص يتعارض مع ما ورد فى المصادر العربية التى تنص على أن يوسف بن تاشفين حينما علم بأن العدو قد باغت جيش المعتمد بن عباد ، أمر بعض قواده أن يمضى بكتيبة إلى محلة (معسكر) النصارى فيضرمها ناراً أثناء انشغال الفونسو السادس بمحاربة ابن عباد وفى الوقت نفسه أرسل يقول لابن عباد إني سأقرب منك إن شاء الله تعالى . على أن هذه المصادر تشير فى الوقت نفسه إلى خلاف من نوع آخر وقع بين يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد حول خطة القتال بعد احراز النصر فى الزلاقة . فالمعتمد كان يرى الاستمرار فى مطاردة العدو أثناء انسحابه مفلولا ، أما يوسف بن تاشفين فكان يرى الكف عن مطاردته حتى تعود فلول المسلمين الذين انهزموا فى بداية المعركة . راجع على سبيل المثال (الحميرى : الروض المعطار ص ٩١ — ٩٣) .

مُوَكَّلاً[١] بِيَفَاعِ[٢] الأَرْضِ يَفْرَعُهُ[٣] مِنْ خِفَّةِ الخوْفِ لا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ[٤]

وابتدر المسلمون بقطع رؤوس المشركين ، وبنوها كالصوامع ، فى صحون[٥] الجوامع ، وقام المؤذنون فى أعلاها بالآذان ثلاثة أيام ، وتراجع إلى المحلة كلُّ من سَلِمَ من المسلمين ، وكانت الهزيمة يوم الجمعة عاشر رجب الفرد سنة إحدى وثمانين وأربع مائه[٦] ، وتنفَّس بها مخنق الجزيرة ، وثبتت بسببها[٧] بلاد كثيرة .

فبينما أمير المسلمين ، يدبِّر فى الدخول إلى بلاد المشركين ، إذ وافاه كتاب بوفاة ابنه الكبير ، فطرء عليه من ذلك رزء كبير ، ولم يكن له بدّ من العودة إلى العدوة[٨] بسبب هذا المصاب الخطير ، فترك عند المعتمد ثلاثة آلاف فارس

---

(١) هذا بيت من قصيدة أبى تمام المعروفة التى يمدح بها الخليفة العباسى المعتصم بالله بمناسبة فتح مدينة عمورية ومطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

راجع (ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى تحقيق محمد عبده عزام ، المجلد الأول ص ٧٤ ، مجموعة ذخائر العرب) .

(٢) اليفاع : المرتفع .

(٣) فى الديوان : يشرفه (بفتح الياء وضم الراء) أو يشرفه (بضم الياء وكسر الراء) والأولى بمعنى يعلوه وهى تتفق فى المعنى مع يفرعه التى هى فى المتن ، والثانية بمعنى يشرف عليه .

(٤) هذا الشطر الثانى من البيت ساقط فى دوزى . راجع (*Loci de Abbadidis*, II, p. 23).

(٥) فى نسخة ج : حصون الجوامع وصحتها كما فى المتن .

(٦) هذا التاريخ غير صحيح لأن التاريخ المعروف لوقعة الزلاقة هو ١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ (٢٣ اكتوبر سنة ١٠٨٦ م) كما ذكره يوسف بن تاشفين فى خطابه بالفتح إلى عدوة المغرب ، وكما ورد فى كتابى الحلل الموشية ص ٤٠ وروض القرطاس ص ٩٦ — ٩٨ هذا إلى جانب الرواية المسيحية الاسبانية التى تحدده بنفس التاريخ بالسنة الميلادية . راجع كذلك (عبد الله عنان : دول الطوائف ص ٣١٢) .

(٧) فى ج : بسببها .

(٨) فى نسخة م : الصدر إلى العدوة ؛ هذا ويلاحظ أنه بعد انتصار الزلاقة قرر يوسف بن تاشفين العودة فوراً إلى المغرب . ولقد أثارت هذه العودة السريعة اضطرابا فى أقوال المؤرخين ، فالبعض يرجع ذلك إلى وفاة ابنه الكبير وولى عهده الأمير عبد الله سير . راجع (المتن وكذلك روض القرطاس ص ٩٨) والبعض الآخر يرجعه إلى استياء يوسف بن تاشفين وتبرمه مما شهده من سوء الأحوال فى الأندلس وفساد أمرائها وحكامها وسوء نياتهم نحوه . راجع (مذكرات الأمير عبد =

وقدّم عليهم القائد أبا عبد الله[1] محمد بن الحاج وأخذ فى الانصراف ، وترك
أهل الأندلس مع رؤسائهم فى غاية من الاختلاف ، وقد مالت نفوسهم إلى
أمير المسلمين ، لِمَا رأوا عنده من العدل والشهامة والإنصاف .

فلمـا تحقق عند النصارى أنه قد جاز ، وقطع البحر وفاز ، اتفقوا على
تدويخ شرق الأندلس ، فشنوا الغارات على سرقسطة وجهاتها ، وتمادوا إلى
بلنسية ودانية[2] وشاطبة[3] ومرسية[4] وذواتهـا ، فانتسفوها نسفاً ، وتركوها

الله المعروفة بكتاب التبيان ص ١٠٧) ، وأغلب الظن أن السبب الرئيسى فى عودته المفاجئة
هو وفاة عمه أبى بكر عمر اللمتونى (٤٨٠ هـ) الحاكم الشرعى للدولة المرابطية والذى كان يوسف بن
تاشفين ما زال نائباً عنه فى حكم شمال المغرب ، فاضطر يوسف إلى العودة إلى وطنه لتدعيم سلطانه
وأخذ البيعة لنفسه .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سموين بن محمد بن ترجوت ، ابن عم يوسف بن تاشفين ، وأحد
كبار قواده ، وأسرة بنى الحاج التى ينتمى إليها هذا القائد أسرة بربرية صنهاجية مشهورة أنجبت عدداً
من أعظم قواد المرابطين . ولقد أطلقت عليها المراجع المغربية أحياناً اسم بجوز أو مقوز أو مكوز التى
ما هى إلا صيغ مختلفة للكلمة البربرية وبجوز ومعناها حاج بالعربية . ولا شك أن هذه الصفة أطلقت على
والد هذه الأسرة بعد أن أدى فريضة الحج ثم صارت اسماً علماً له . ولقد قام محمد بن الحاج المذكور هنا
فى المتن بدور كبير فى المعارك التى دارت بين المرابطين والمسيحيين فى الأندلس . راجع (ابن القطان :
نظم الجمان ص ١١٠ نشر الدكتور محمود مكى) راجع كذلك :
(Huici Miranda: *'Alí ibn Yusuf*, apéndice II, p. 106).

(٢) دانيه Denia تقع على ساحل البحر المتوسط جنوبى بلنسية فى شرق اسبانيا وهى الآن
مركز إدارى فى مديرية لقنت Alicante ، واسمها العربى والاسبانى مشتق من اسمها الرومانى القديم
دانيوم Danium . ولقد لعبت دانيه فى العصر الإسلامى دوراً هاماً خصوصاً بعد أن استقل بها القائد
الصقلبى أبو الجيش مجاهد العامرى الذى تسميه المصادر الأوربية Mugeto . فلقد استطاع هذا القائد
أن يحتل جزر البليار وجزيرة سردانية ويسيطر على غربى حوض البحر المتوسط . وبعد وفاته سنة
٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ م خلفه ابنه على اقبال الدولة مدة من الزمن ثم خلعه المقتدر بن هود صاحب سرقسطة
سنة ١٠٧٦ ، وظلت دانيه تابعة لبنى هود حتى سنة ١٠٩٢ م حينما استولى عليها المرابطون ثم
الموحدون من بعدهم . وفى سنة ١٢٤٤ م سقطت دانيه نهائياً فى يد المسيحيين حينما استولى عليها خايمى
الأول ملك أراجون . وينسب لدانيه علماء كثيرون نذكر منهم المقرىء أبا عمرو الدانى المعروف بابن
الصيرفى وله مؤلفات فى القراءات وتوفى بدانية سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٣ م . راجع (الروض المعطار
ص ٧٦) . راجع كذلك (*Ency. of Islam*, art. Denia by Seybold).

(٣) شاطبه Játiva من الاسم الرومانى Saetabis ، مدينة مرتفعة فى شرق اسبانيا من أعمال
بلنسية على بعد ٥٦ ك . م . فى جنوبها الغربى . وقد اشتهرت فى العصر الإسلامى بصناعة الورق

وباءً صفصفاً ، وأخذوا حصن مره[1] رابط وغيرها ، فساء حال الشرق وحسُن الغرب بمن كان فيه من المرابطين .

الذى اشتهر باسمها (الشاطبى) . وبحكم تبعيتها لبلنسية خضعت شاطبة أيام ملوك الطوائف لحكم هذه الناحية الشرقية عبد العزيز بن أبى عامر ثم لبنى هود حكام سرقسطة ثم المرابطون والموحدون إلى أن سقطت نهائياً فى يد ملك أراجون خايمى الأول سنة ١٢٤٠ م وينسب إلى شاطبة علماء كثيرون نذكر منهم أبا القاسم الرعينى الشاطبى الذى هاجر إلى مصر على عهد صلاح الدين الأيوبى وعين أستاذاً فى المدرسة الفاضلية التى أسسها الوزير القاضى الفاضل ، وألف مؤلفات كثيرة فى تفسير القرآن وقراءاته السبع كما نظم شعراً ورجزاً كثيراً مثل أرجوزته المعروفة باسمه الشاطبية . وتوفى بالقاهرة ودفن بقرافتها سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م .

أما الشاطبى دفين الاسكندرية فى الحى الجامع المعروف باسمه حتى الآن فهو ولى الله تعالى أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافرى الشاطبى الذى عاش فى القرن السابع الهجرى على عهد السلطان الظاهر بيبرس .

(٤) مرسية Murcia مدينة فى جنوبى شرق اسبانيا ، تبعد عن البحر المتوسط بنحو ٦٤ ك . م . وميناؤها عليه تسمى قرطاجنة Cartagena . واسم مرسية القديم هو تدمير نسبة إلى تيودومير حاكم هذه المنطقة أيام الفتح العربى لاسبانيا ، وهو الذى عقد معاهدة مع عبد العزيز بن موسى بن نصير احتفظ فيها بشئ من الاستقلال بهذه الناحية الشرقية . وفى عهد عبد الرحمن الداخل تحولت هذه المنطقة إلى كورة عادية قاعدتها أوريولة Orihuela . وفى سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م اختطت مدينة مرسية أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط على يد جابر بن مالك بن لبيد عامل تدمير يومئذ ولم تلبث مرسية بعد ذلك أن صارت قاعدة لكورة تدمير ثم سميت الكورة كلها باسمها . وبعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة استقل بحكم مرسية وكورتها الموليان العامريان الصقلبيان خيران وزهير ثم ضمت الكورة إلى بلنسية ثم انفصلت عنها بعد ذلك على المرابطين . وفى أواخر أيام الموحدين استقل بها محمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل وأصبحت تسمى فى النصوص الإسبانية باسم مملكة مرسية . وأخيراً سقطت فى يد ملك أراجون خايمى الأول سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ م ولقد اشتهرت مرسية بخصبها وحدائقها ومتنزهاتها مثل متنزه الرشاقة وكانت تروى بمياه نهر شقورة Segura أو الوادى الأبيض . وينسب إلى مرسية علماء وشعراء كثيرون نخص بالذكر منهم القطب الصالح أبا العباس المرسى دفين الاسكندرية . راجع (ابن الأبار : الحلة السيراء ج ١ ص ٦٣ ، ج ٢ ص ٣١٦ ؛ الحميرى : الروض المعطار ص ١٨١ — ١٨٣ ؛ العذرى : المسالك والممالك ص ١ — ١٠ نشر الأهوانى) . راجع كذلك :

(*Ency of Islam*, art. Murcie by Lévi-Provençal & Gaspar Remiro: *Historia de Murcia Musulmana*, (Zaragoza, 1905).

(١) كذا فى الأصل وقد فسرها دوزى على أنها بلدة Miravet شمالى طرطوشة *Loci de Abbadidis*, III, p. 191) وأغلب الظن أنها مربيطر وهى بلدة من أعمال بلنسية وتقع فى شمالها بنحو ٢١ ك . م . وقد ظلت حتى القرن الماضى ١٨٧٧ تسمى بالاسبانية Murviedro ثم سميت بعد ذلك إلى اليوم باسم بلدة قديمة ملاصقة لها وهى سجونتو Sagunto (من الاسم الرومانى Saguntum) . وتمتاز هذه المدينة بملعبها الرومانى القديم الذى أشار إليه ياقوت (معجم البلدان ج ٨ ص ١٤) وصاحب الروض المعطار (ص ١٨٠) . وما زالت إلى اليوم تقام فى ملعبها المسرحيات العالمية الكلاسيكية . انظر كذلك : (Madoz: *Dicc, Geográfico*, tomo XI, pp. 773-784 (Madrid, 1848).

وخرج الحاجب منذر بن أحمد بن هود من لاردة[1] ، ونزل على بلنسية وحصرها طامعاً فى أخذها من يد القادر ، فلما سمع به ابن أخيه المستعين[2] استنصر بالقنبيطور لعنه الله ، وخرج معه فى أربعمائة فارس والقنبيطور فى ثلاثة آلاف فارس ، وغزا معه بنفسه حرصاً منه على تملك بلنسية على أن للقنبيطور أموالها وللمستعين جفنها[3] .

فلما سمع بمجيئه عمه الحاجب رحل عنها ، ولم يحل بطائل منها ، فلم يزل محاصراً لها حتى حصلها .

وفى هذه السنة وهى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، استشهد القائد أبو شجاع بن لبون[4] ، وفيها مات الخليفة أبو المظفر[5] علىّ ، وفيها كان السيل

---

(١) لاردة Lérida : مدينة قديمة مرتفعة حصينة على وادى شقر Segre شرقى سرقسطة وفى منتصف الطريق بينها وبين برشلونة . ولاردة الآن مدينة ومديرية قائمة بذاتها ؛ أما فى العصر الإسلامى فكانت القاعدة الثانية بعد سرقسطة فى منطقة الثغر الأعلى . وحينما استقل بنو هود بهذه المنطقة فى أيام ملوك الطوائف ، كانت سرقسطة ولاردة من أهم المناطق التى تنازع عليها ملوك هذه الأسرة .

ولقد سقطت لاردة فى يد المسيحيين نهائياً سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م على يد رامون برنجير الرابع Ramón Berenguer IV قومس برشلونة . راجع (الروض المعطار ص ١٦٨) . راجع كذلك :
(Ency. of Islam, art. Lérida by Lévi-Provençal).

(٢) فى م : ابن أخته .

(٣) فى م : حقبها وصحتها جفنها كما فى المتن . وكلمة جفن وجمعها أجفان وجفون معانيها كثيرة مثل : جذر الكرم أو قضبانه ، وجفن العين ، وأجفان المراكب ، والبئر الصغيرة والقصعة . . . الخ . ويرى دوزى أن الأندلسيين أطلقوا كلمة جفن أيضاً على المدينة بصفة عامة باستثناء حصونها أو قصبتها التى عادة ما تكون على جبل أو مكان مرتفع وفى ذلك يقول ابن الخطيب : فنازل المسلمون مدينة أشونة Osuna ودخلوا جفنها عنوة ، واعتصم اهلها بقصبتها ؛ وفى موضع آخر يقول : فدخل جفنها واعتصم من تأخر أجله بقصبتها ، فالمراد إذن بأجفان البلاد هو سهولها او أجزائها الداخلية وليس جبالها و حصونها المرتفعة . ولعل المراد هنا فى المتن أن السيد المحارب أو القمبيطور يخصه من بلنسية ثروتها المحيطة بينما يخص المستعين المدينة ذاتها . راجع :
(Dozy: *Loci de Abbadidis*, vol. II, p. 6, note 22, p. 24, note 43).
(Dozy: *Supplement aux Dicctionnaires Arabes*, tome I, pp. 200-201).

(٤) راجع ، ما كتبناه عن هذا القائد وعن أسرته فى حاشية سابقة .

(٥) فى ج : الخليفة أبو المظفر عنبر وفى (١) ساقطة وكذلك فى دوزى . ولا ندرى من هو المقصود بهذا الاسم فالخليفة العباسى فى ذلك الوقت كان اسمه أبا القاسم المقتدى بأمر الله ، أما الخليفة الفاطمى فكان المستنصر بالله وكلاهما توفى فى سنة ٤٨٧ هـ ! !

وأعظم في صدمة كنبيطور الذي خرب بلنسية وغيرها وهدم برج القنطرة[1].

واستعجل[2] في تلك المدة ابن ردمير، لما جرى على الفنش التدمير، ونصحت نيته جميع النصرانية، فنزل بهم على تطيلة[3] في نحو أربعمائة ألف نسمة، فردهم الله عنه خائبين، واستولى على حصون من عمل ابن هود.

ثم ان الفنش خف روعه وانتعشت نفسه فحشد وجمع واستعد وخرج قاصداً لمنازلة بلنسية ومحاصرتها بعد أن كتب إلى جنوة وبيشه[4] أن يأتوه في البحر فوصلوا إليه في نحو أربعمائة قلاع، فاستحكم طمعه فيها وفي جميع سواحل الجزيرة، فارتاع له كل من في السواحل، ثم إن الله تعالى خالف بين كلمتهم وأذن بتفرقهم، فأصبح وهو راحل، ولم يحصل على طائل.

ولما نزل الفنش على بلنسية غضب القنبيطور[5] واحتد، وجمع وحشد لأنه

---

(١) حدد العذرى موقع هذه القنطرة عند وصفه لمدينة بلنسية بقوله: وبلنسية مدينة مسورة قد اتقن سورها المنصور بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر، ولا يعلم ببلاد الأندلس أتقن بناء من سورها ولا أجمل منه، ولها خمسة أبواب: الباب الشرقي يسمى بباب القنطرة، ويخرج منه على قنطرة قد صنعها المنصور بن عبد العزيز بن أبي عامر، ليس في الأندلس أتقن منها، وعلى هذه القنطرة تخرج الرفق إلى طيطلة وسرقسطة وطرطوشة وما هنالك...
راجع (العذرى: نفس المرجع ص ١٧ – ١٨).

(٢) في ج: واستفحل.

(٣) تطيلة Tudela مدينة من المدن الشمالية الإسبانية تقع على وادى الابرو على بعد ٧٨ ك. م. شمال غرب سرقسطة وهي الآن مركز إدارى في مديرية نافارا. وكانت تطيلة في العهد الإسلامى من مدن الثغر الأعلى وقد بناها الأمير الأموى الحكم الربضى، ثم اتخذها الخليفة عبد الرحمن الناصر قاعدة لاحدى حملاته في شمال اسبانيا سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م ولقد تكرر استيلاء المسيحيين على هذه المدينة، ولكن المسلمين كانوا يتمكنون من استردادها ثانية ولهذا لا نعرف بالضبط تاريخ سقوطها نهائياً في يد الاسبان. وينسب لهذه المدينة عدد من العلماء المسلمين ونخص بالذكر منهم الشاعر أبا العباس أحمد بن عبد الله القيسى المعروف بالأعمى التطيلى المتوفى سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م. راجع ترجمته في (الضبى: بغية الملتمس ترجمة رقم ٤٢٦؛ ابن خاقان: قلائد العقيان ص ٣١٥ – ٣٢٢؛ الحميرى: الروض المعطار ص ٦٤) راجع كذلك (*Ency. of Islam*, art. Tudela by Lévi-Proveuçal).

(٤) في ا: فيشه وفي ب فيشنه والمقصود بها بيشه Pisa وهي مدينة وولاية إيطالية اشتهرت ببرجها المائل.

(٥) هو الفارس القشتالى المشهور رودريجو دياث بيبار Rodrigo Díaz Vivar الملقب بالسيد الكمبيادور أو القنبيطور El Cid Campeador ومعناه السيد المبارز.

كان يعدّها له طـاعة ، والقادر بها عامله ، إذ لا قدرة له على الدفاع ولا استطاعه ، فخـالفه إلى قشتالة فخرق وهدم ، فكان ذلك أقوى الأسباب فى افتراق ذلك الجمع عن بلنسية .

وانصرف الفنش إلى قشتالة مسرعاً ، والقنبيطور قد ولىّ راجعاً . ونزل أسطول جنوة وغيرها على طُرطوشة[1] وجاءهم ابن ردمير[2] وصاحب برشلونة[3] . فثبتها الله ودفع عنها ، وانصرف جميعهم خائباً منها .

وكرّ القنبيطور إلى بلنسية ، واتفق معهم على مائة ألف مثقال جزية فى كل عام . وفى هذا العام استحكم طمع أصناف النصارى على الجزيرة ، فضيّق غرسية[4]

---

(١) طرطوشة : Tortosa من الاسم القديم Dertosa ، تقع فى شمال شرق اسبانيا بالقرب من ساحل البحر المتوسط عند مصب نهر الابرو وعلى بعد ٨٤ ك. م. جنوبى مدينة طركونه Tarragona التى تعتبر طرطوشة من أعمالها . وفى العصر الاسلامى اشتهرت طرطوشة بدار صناعتها الضخمة التى بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٥ م وكذلك بمسجدها الكبير الذى أمر ببنائه هذا الخليفة أيضاً سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م وفى عصر ملوك الطوائف استقل بطرطوشة بعض الفتيان الصقالبة أمثال لبيب ومقاتل ونبيل لفترة قصيرة من الزمان ثم ضمت لمملكة بنى هود حكام الثغر الأعلى (سرقسطة) ، وظلت كذلك إلى أن اضمحلت هذه المملكة العربية سرقسطة ، فسقطت طرطوشة فى يد قومس برشلونه رامون برنجر الرابع Ramón Berenguer IV وحلفائه فرسان الداوية Templiers سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م وينسب إلى هذه المدينة بعض العلماء الأندلسيين المشهورين ونخص بالذكر منهم الامام الزاهد أبا بكر محمد ابن الوليد الفهرى الطرطوشى المعروف بابن أبى رندقة ، المتوفى بالاسكندرية سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م وقبره معروف هناك ويتبرك به بنواحى الباب الأخضر . ولهذا العالم المتصوف عدة كتب نذكر منها كتاب الحوادث والبدع تحقيق محمد الطالبى (تونس ١٩٥٩) وكتاب سراج الملوك (القاهرة ١٣١٩) وقد ترجمه إلى الاسبانية المستشرق الاسبانى ألاركون Alarcón بعنوان Lámpara de los Príncipes فى جزئين (مدريد ١٩٣٠) .

(٢) المقصود بابن ردمير هو ملك أراجون ونافارا سانشو راميرث Sancho Ramírez (١٠٤٣ – ١٠٩٤ م) ، وكان قد هاجم مدينة طرطوشة هو وولى عهده بدرو الأول Pedro I فى ذلك الوقت . راجع *(Diccionario de Historia de España.* t. II, p. 1118).

(٣) صاحب برشلونة فى ذلك الوقت هو رامون برنجر الثالث Ramón Berenguer III وحكم من ١٠٨٢ إلى سنة ١١٣١ م .

(٤) لعل المقصود بغرسية هنا القائد القشتالى غرسية خيمينث García Giménez (أحد قواد الملك الفونسو السادس) الذى احتل قلعة لييط Aledo بالقرب من لورقة ، ثم أخذ من هناك يشن الحملات على المرية ونواحيها سنة ١٠٨٦ م . راجع (Ballesteros: *Historia de España,* II, p. 308).

على المرية ، والفانت[1] على لورقة[2] ، وحاصر البرهانس مرسية ، والقنبيطور شاطبة .

وجهَّز المعتمد ابنه الراضى فى ثلاثة آلاف فارس للقاء العدو لعنه الله وهو فى ثلاثمـــائة فارس فانهزم ابنه أمامه ، وفر قدامه ، فاستأصل محلته وقتل وأسر جلّته .

وبنى أسقف افرنجى فى ضفة البحر حصن ششنة[3] ، فحميت عند ذلك نفوس من باشبيلية من المرابطين ، وتقدم عليهم القائد محمد[4] بن عائشة ،

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى نسخة أخرى : الفانة ، وقد يفهم من النص أن المراد بها شخص يسمى أو يلقب بهذا الأسم . ومن المحتمل أن تكون كلمة الفانت تعريباً للكلمة الاسبانية Infante انفانت ومعناها ابن الملك أو أحد قرابته الحاصلين على هذا اللقب . وقد أشارت المصادر المسيحية إلى الغارات العديدة التى قام بها القشتاليون على منطقة لورقة ومرسية فى ذلك الوقت أى بعد وقعة الزلاقة ، ولكنها لم تذكر اسم قائدها . راجع (Ballesteros, II, pp. 308-309) على أنه هناك تفسير آخر لهذه الكلمة الفانت أو الفانه وهو أنها تكون تحريفاً لكلمة فنيانة Fiñana وهى بلدة من أعمال المرية وتقع فى شمالها وفى جنوب لورقة . راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ١٤٣) .

(٢) لورقة Lorca : مركز إدارى فى ولاية مرسية فى جنوب شرق اسبانيا . وقد اشتهرت بخصبها وبمنتجاتها الزراعية ولا سيما الفواكه . ويصفها صاحب الروض المعطار بقوله : إن تفسير لورقة باللاتينية معناه الزرع الخصيب . (الحميرى : الروض المعطار ص ١٧٢) ، فى حين يفسرها العذرى عن اللاتينية أيضاً بالدرع الحصين (جغرافية العذرى ص ١ ، ١٢٩) وتفسير العذرى أدق لأن اللفظ اللاتينى Lorica الذى صار فى الاسبانية Loriga معناه الدرع . انظر كذلك :

(Ency. of Islam, art. Lorca).

(٣) كذا فى الأصل ، وفى نسخة م ششه ، ويفهم من النص أنها بجوار مرسية وعلى ساحل البحر المتوسط . ولعلها تكون شجنه وهى مرسى من أعمال مرسية بالقرب من مينائها قرطجنة وقد ورد ذكر هذا الموضع فى مقصورة حازم القرطاجنى . راجع البحث القيم الذى كتبه استاذنا المستشرق غرسية غومس حول الأماكن الجغرافية التى وردت فى مقصورة حازم القرطاجنى وكلها تتعلق بكورة تدمير أو مقاطعة مرسية الحالية :

(García Gómez: *Observaciones sobre la Qasida Maqsura de Abu-l-Hasan Hazim al-Qartaŷanni* - Al-Andalus, vol. I, facs. 1-2, 1933).

(٤) هو الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين ويعرف بابن عائشة وكان من كبار قواد المرابطين . عينه أبوه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائداً على شرق الأندلس بعد أن عاث السيد القنبيطور فيه فساداً ، فولى عمل مرسية واضطلع باقرار الأحوال فى تلك المنطقة الشرقية . وفى عهد أخيه أمير المسلمين على قام ابن عائشة بعمليات حربيـــة واسعة النطاق ، فشارك فى وقعة اقليس Uclés ٥٠١ هـ / ١١٠٨ م كما أسرع من مرسية لنجدة محمد بن الحاج عامـــل سرقسطة حينما حاصره =

وقصد بهم مرسية ، والتقى بهم مع جملة من النصارى فهزموهم وقتلوا منهم جملة وأسروا جماعة . وخلع [أى ابن عائشة] صاحب مرسية[1] وتمادى إلى دانية ففر صاحبها ابن مجاهد[2] فى البحر ، وآوى إلى الدولة الحمّادية الصنهاجية ، والملك إذ ذاك الناصر بن علناس[3] فأحسن إليه وأكرمه .

= الفونسو المحارب ملك أراجون سنة ٥٠٤ هـ وقد انتهت هذه العملية بفك هذا الحصار وعودة ملك أراجون إلى بلاده . كذلك اشترك ابن عائشة مع ابن الحاج فى غزو برشلونة سنة ٥٠٨ هـ وهى الحملة التى انتهت بهزيمة البورت وقد نجا منها ابن عائشة إلا أن بصره اعتل بعدها ثم لم يلبث أن عمى . فاستدعاه أخوه أمير المسلمين على ، وعين بدلا منه على مرسية أخاه ابراهيم بن يوسف .

راجع (أويثى ميراندا : على بن يوسف ص ٨٧ ، ٩٤ ، ١١٤ ، مجلة تطوان سنة ١٩٥٨ — ١٩٥٩ ؛ ابن القطان : نظم الجمان ص ٨ حاشية ١ نشر الدكتور محمود على مكى) .

(١) لعله يقصد القائد عبد الرحمن بن رشيق الذى حكم مرسية باسم المعتمد بن عباد أول الأمر ثم استقل بحكمها بعد ذلك إلى أن كان عبور المرابطين إلى الأندلس وانتصارهم فى الزلاقة . وعلى الرغم من اختلاف روايات المؤرخين حول تاريخ سقوط مرسية فى أيدى المرابطين إلا أنه يبدو أن أحداث المتن هنا تتفق مع الرواية القائلة بأن القائد ابن عائشة استولى على مرسية من يد ابن رشيق سنة ٤٨٤ هـ ١٠٩١ م وجعلها قاعدة عسكرية للجيوش المرابطية المكلفة بمقاومة عدوان السيد القنبيطور فى شرق الأندلس . راجع (ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١٦٠ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ٢٤٨ — ٢٥٠ ، القاهرة ١٩٥٥ ، عبد الله عنان : دول ملوك الطوائف ص ١٨١ ، ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٨٧) .

(٢) اختلفت روايات المؤرخين حول مصير آخر ملوك مملكة دانية المجاهدية وهو اقبال الدولة على ابن مجاهد . فبعضهم يرى أن هذه الدولة لما سقطت فى يد المقتدر بن هود صاحب سرقسطة سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٦ م وقع صاحبها على بن مجاهد أسيراً فى يد ابن هود الذى حمله معه إلى سرقسطة وأنزله فى كنفه إلى أن مات سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م وهى نفس السنة التى مات فيها ابن هود أيضاً . (مذكرات الأمير عبد الله ص ٧٨ ، الحلة السيراء ج ٢ ص ٢٤٨ ، أعمال الأعلام ص ٢٢٢ ، البيان المغرب ج ٣ ص ٣٢٢) .

أما البعض الآخر من المؤرخين فيرى أن على بن مجاهد قد استطاع الفرار ، والالتجاء إلى مدينة بجاية Bougie على الساحل الجزائرى حيث عاش فى كنف ملكها إلى أن مات هنالك . راجع (ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٨٦ — ١٨٧) . ورواية ابن الكردبوس هنا تتفق مع رواية ابن خلدون مع فارق واحد وهو أن ابن خلدون يرى أن القائد المرابطى الذى استولى على دانية وشرق الأندلس هو محمد بن الحاج فى حين يرى ابن الكردبوس أنه كان ابن عائشة وهذا هو الصحيح . راجع كذلك :

(Campaner y Fuertes: *Dominación Islamita en las Baleares*, p. 80).

(٣) إذا افترضنا صحة الرواية القائلة بأن القائد بن عائشة قد استولى على مرسية ودانية فى سنة ٤٨٤ — ٤٨٥ هـ فانه فى هذا الوقت يكون ملك بجاية والقلعة هو المنصور بن الناصر ابن علناس =

ودخل ابن عائشة دانية ، فوافاه بها ابن جحاف قاضى بلنسية وسأله النهوض إليها معه ، فلم يمكنه أن يفارق موضعه ، فأنفذ معه عسكراً وقدم عليه قائده أبا ناصر فوصلا إليها وقصدا القادر وقتلاه وذلك سنة خمس وثمانين وأربعمائة[1] . فلما انتهى ذلك إلى القنبيطور وهو محاصر لسرقسطة غاظه وحميت نفسه ، وزال عنه أنسه ، لأنها كانت بزعمه طاعته ، لأن القادر كان يعطيه منها مائة ألف دينار فى العام جزية . فرحل عن سرقسطة فنزل على بلنسية وحاصرها مدة من عشرين شهراً إلى أن دخلها قهراً بعد أن لقى أهلها فى تلك المدة ما لم يلقه بشر من الجوع والشدة إلى أن وصل عندهم فأر دينارا . وكان دخوله إياها سنة سبع وثمانين وأربعمائة[2] .

وفى هذه المدة انقطع إلى القنبيطور وغيره من أشرار المسلمين وأرذالهم وفجارهم وفسادهم[3] وممن يعمل بأعمالهم خلق كثير وتسموا بالدوائر . وكانوا يشنون على المسلمين الغارات ويكشفون الحرمات ، يقتلون الرجال ، ويسلبون النساء والأطفال . وكثير منهم ارتد عن الإسلام ونبذ شريعة النبى (صلعم) إلى أن انتهى بيعهم للمسلم الأسير بخبزة وقدح خمر ورطل حوت[4] . ومن لم

= الذى حكم من سنة ٤٨١ إلى ٤٩٨ هـ (١٠٨٨ — ١١٠٥ م) . أما والده الناصر بن علناس المذكور فى المتن فقد حكم من سنة ٤٥٤ إلى ٤٨١ هـ (١٠٦٢ — ١٠٨٨ م) .

راجع (ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثالث الخاص بتاريخ المغرب) .

(١) هو أبو جعفر بن عبد الله بن جحاف المعافرى قاضى بلنسية وقائد حركة المقاومة فى المدينة ضد الاستعمار القشتالى وأذنابه أمثال السيد القنبيطور وحليفه القادر بن ذى النون الذى تخلى عن مملكة طليطلة للملك قشتالة الفونسو السادس مستعيضاً عنها بولاية بلنسية .

ولقد انتهز ابن جحاف فرصة غياب السيد كمبيادور عن بلنسية وقام بثورته فى رمضان سنة ٤٨٥ هـ / اكتوبر ١٠٩٢ م. وقتل القادر بن ذى النون واستولى على أمواله ، وأعلن أن السلطة فى يد أبناء هذا البلد . ولم يلبث أن اختير ابن جحاف رئيساً للجماعة فى المدينة فتولى زمام أمورها .

(٢) أى ١٠٩٤ م.

(٣) فى نسخة ج : وفساقهم .

(٤) يطلق لفظ الحوت فى المغرب على الأسماك بوجه عام .

يَفْدِ نفسه قُطع لسانه وفُقئت أجفانه[1] ، وسلطت عليه الكلاب الضارية ، فأخذته أخذة رابية .

وتعلقت طـائفة منهم بالبرهانس لعنه الله ولعنهم ، فكانت تقطع ذكور الرجال ، وفروج النساء ، ورجعوا له من جملة الخَدَمَةِ والعمال ، وفتنوا فتنة عظيمة فى أديانهم وسلبوا جملة إيمانهم .

فلما رأى الأمير سِير بن أبى بكر ما حلّ من كلف العدو بالعباد ، وما نزل من الفساد فى البلاد ، تجهز وخرج قاصداً البرهانس فهزمه وجنوده ، وفلّ الله به حدَّه ، فارتاع لذلك الروم ، ورأوا أن قراع المرابطين غير مروم ، فحسدهم ابن عباد وغيره من الرؤساء بقلّة إنصافهم ، وكثرة بغيهم واختلافهم ، فاعتقدوا بهم المكر ، وأضمروا لهم النكث والغدر ، وخاطبوا[2] الفنش سراً أن يسعوا على المرابطين سراً وجهراً ، ويصيروهم له طعمة[3] على أن يتركهم على ما بأيديهم عمالا ، ويجبون له من الرعية أموالا ، فوقع الاتفاق على ذلك ، وشرعوا فى تدبير الأمر من هنالك ، وحادوا[4] بأمير المسلمين عند انصرافه من العدوة ، وهى الدخلة[5] الثانية عن الجهاد ، وأغروه بغرناطة ومالقة والمرية ، وشغلوه بها عن مكافحـة الأعادى كى يتم تدبيرهم على مهل ، ويتأهب العدو لمـا أمل .

وقصد الأمير غرناطة ونزل قريباً منها ، فقالت لعبد الله بن باديس[6]

---

(١) فى نسخة م : وفقئت عينه .

(٢) فى دوزى : وخطبوا .

(٣) فى دوزى : طمعه .

(٤) فى دوزى : عن .

(٥) فى دوزى : الرحلة .

(٦) كان سقوط مملكة غرناطة فى يد المرابطين فى رجب سنة ٤٨٣ هـ/ سبتمبر ١٠٩٠ م . راجع أحداث سقوطها فى مذكرات آخر ملوكها عبد الله بن بلقين بن باديس . وقد كتبها فى منفاه بمدينة أغمات جنوب المغرب تحت عنوان : « كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة » وقد نشرها ليفى بروفنسال بعنوان مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك غرناطة (القاهرة ١٩٥٥) . راجع كذلك (ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٣٥ - ٢٣٦) .

ابن حبُّوس ، أميرها ، أمه : أُخْرُجْ وسَلِّمْ على عمِّك يوسف ! فخرج وسلم عليه فلما أراد الانصراف أُدخل فى خباء ، وجعل كبل ثقيل فى رجله ، فدخل الأمير البلد ، بهذا الغدر فاستطلع به واستبد ، وسِرُّ القوم فى الغدر به عنده واضح ، ومكرهم فى الإيقاع به لائح ، لكنه جرى على مدادهم ، كأنه لا يعلم حقيقة اعتقادهم وإنما كان غرضه أن يتبين المسلمين مذهبهم ، وسعيهم الذميم وطلبهم ، كى تقوم له الحجة عليهم ، عند امتداد يده فى عقابه إليهم ، ولم يأمنهم بعد على نفسه ولا رجاله ، ولا أطمأن إلى أحد منهم فى حالة من أحواله .

ثم إنه وجه جيشاً إلى المرية ، ففر ابن صمادح[1] منها فى قطعة بحرية ، وآوى إلى دولة بنى[2] حَمَّـاد وملكها إذ ذاك المنصور بن الناصر[3] ، فقرَّبه وأحسن إليه ، وأدناه حتى كان أحظى من ولديه[4] .

---

(١) تختلف الروايات هنا أيضاً حول أحداث سقوط المرية فى يد المرابطين ، فابن الكردبوس هنا فى المتن ويؤيده الأمير عبد الله فى مذكراته (المرجع السابق ص ١٦٧ — ١٦٨) وابن الأبار فى حلته السيراء (ج ٢ ص ٩٠) . يروون أن المعتصم بن صمادح صاحب المرية حينما حضرته الوفاه أوصى ابنه معز الدولة أحمد بن المعتصم بن صمادح المذكور هنـا فى المتن ، بالهرب إلى بنى حماد أصحاب بجاية والقلعة بالمغرب الأوسط واشترط عليه ألا يقوم بهذا العمل إلا بعد أن يعلم بسقوط اشبيلية وخلع أميرها المعتمد بن عباد أكبر ملوك الطوائف فى ذلك الوقت . وقد نفذ الابن وصية أبيه ، فبعد سقوط اشبيلية فى رجب سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١م ، بادر إلى مغادرة المرية بحراً فى رمضان من نفس السنة قبـل أن يحاصرها المرابطون ، ونزل بأهله وأمواله فى مدينة بجاية فى كنف ملكها المنصور بن الناصر بن علناس الذى أكرم وفادته وأقطعه بلدة تدلس Dellys التى لم تلبث بعد ذلك أن عمرت وازدهرت وصار فيها كما يقول الإدريسى الديار والقصور والمتنزهات ، وبها من رخص الفواكه والمطاعم والمشارب مالا يوجد بغيرها مثله . راجع كذلك (الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ج ١ ص ٣٢٠) .

على أن هنـاك رواية أخرى تشير إلى أن ملك المرية وقت أن هاجمها المرابطون كان المعتصم بن صمادح نفسه وليس ولده معز الدولة ، وأن المعتصم فى ذلك الوقت كان مريضاً يعانى سكرة الموت حتى قيل إنه حينما سمع جلبة المهاجمين قال عبارته المشهورة : « نغص علينا كل شىء حتى الموت » . ثم توفى فى ربيع الآخر سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م. راجع (ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ١٦٨ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١٩٣ ، ابن بسام : الذخيرة ق ١ ج ٢ ص ٢٤٠) .

(٢) فى نسخة دوزى : ابن حماد .

(٣) فى نسخة دوزى : ابن المنصور الناصر .

(٤) فى نسخة دوزى : من لديه .

وأنفذ الأمير سير بن أبى بكر[١] إلى إشبيلية لخلع المعتمد بن عباد ، وأمره بقتل من حاربه معه من الرعية والأجناد . وقيل إن أمير المسلمين[٢] لم يأمر بخلع المعتمد — إذ كان أقسم له أن لا يغدره ولا يخلعه — إلا بعد أن اجتمع معه فقهاء اشبيلية وقضاتها ، وأعيانها وسراتها ، وقالوا له هؤلاء الرؤساء لا تحلّ طاعتهم ، ولا تجوز إمارتهم ، لأنهم فسّاق[٣] فجرة ، فاخلعهم عنّا[٤] .

(١) هو الأمير سير بن أبى بكر أحد كبار قواد يوسف بن تاشفين وقريبه بالمصاهرة . إذ يروى أن سير كان متزوجا حواء بنت تاشفين التى كان والدها تاشفين أخا ليوسف بن تاشفين وابن عمه فى نفس الوقت . وذلك لأنه بعد وفاة تاشفين والد يوسف حل محله أخوه على وتزوج امرأته وانجب منها تاشفين والد حواء هذه التى تزوجها سير بن أبى بكر .
هذا ويروى صاحب روض القرطاس أن سير هذا كان فى باديء الأمر حاكما على منطقة مكناس وفازاز سنة ٤٦٧ هـ / ١٩٧٤ م . ثم اشترك فى معركة الزلاقة وأظهر فيها شجاعة فائقة . وعندما قرر يوسف بن تاشفين عزل ملوك الطوائف ، أسند لقائده سير بن أبى بكر مهمة خلع ملوك منطقة غرب الأندلس وعينه حاكما عليها . وقام سير بتنفيذ هذه المهمة فاستولى على اشبيلية وأسر أميرها المعتمد بن عباد فى رجب سنة ٤٨٤ هـ /أغسطس ١٠٩١ م . ثم استولى على بطليوس وقتل صاحبها المتوكل بن الأفطس وولديه الفضل والعباس سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م وهم الذين قال فيهم وزيرهم الشاعر أبو محمد عبد المجيد بن وهبون مرثيته المشهورة التى مطلعها :

الدهر يفجع بعد العين والأثر   فما البكاء على الأشباح والصور

هذا وقد استطاع سير بن أبى بكر أن يحمى هذه الثغور الغربية من اعتداءات المسيحيين وأن ينتصر على الملك الفونسو السادس انتصاراً ساحقاً فى مكان يسمى مقاطع عندما حاول الهجوم على اشبيلية سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م . وفى سنة ٥٠٤ هـ / ١١١١ م ، استولى سير على شنترين ويابرة ولشبونة وأوبورتو إلى جانب بطليوس التى كانت فى يده من قبل . واستمر هذا القائد حاكما على هذه المنطقة الغربية إلى أن توفى فجأة سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م . عند خروجه فى موكب كبير من اشبيلية مع زوجه حواء وابنته فاطمة التى كان يريد تقديمها لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين فى مراكش . وقد خلف سير ولده يحي فى حكم هذه المنطقة . راجع :

Huici Miranda: *'Alí Ben Yusuf y sus empresas en Al-Andalus,* Tamuda, año VII, Tetuán, 1959, p. 89).

Huici Miranda: *Un fragmento de Ibn 'Idari, sobre los Almorávides,* Hespéris, vol. II, fasc. I, 1961.

راجع كذلك (ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، نشر بروفنسال ص ١٨٦) .

(٢) فى نسخة دوزى : أمير المؤمنين .

(٣) فى نسخة دوزى : ظلمة ساقطة .

(٤) فى نسخة دوزى : وأرضا ساقطة .

فقال لهم وكيف يجوز لى ذلك وقد عاهدتهم وارتبطت معهم على إبقائهم ! ؟ فقالوا له إن كانوا عاهدوك فهاهم قد ناقضوك ، وأرسلوا إلى الفنش أن يكونوا معه عليك ، حتى يوقعوك بين يديه ، ويعود أمرهم إليه ، فبادرهم بخلعهم جميعهم ، ونحن بين يدى الله المحاسبون ، فإن أذنبنا فنحن لا أنت المعاقبون ، فإنك إن تركتهم وأنت قادر عليهم ، أعادوا بقية بلاد المسلمين[1] إلى الروم ، وكنت أنت المحاسب بين يدى الله تعالى .

فعند ذلك أزمع على خلعهم أجمعين ، فنازل الأمير سير اشبيلية وحاصرها ، وخلع ابن عباد منها ، ثم خلع ابن الأفطس من بطليوس ، واستولى على ملك غرب الأندلس . وقد كان تملك المرية ومرسية ودانية وشاطبة على يدى قائده محمد بن عائشة ، وانصرف أمير المسلمين إلى العدوة .

وفى سنة تسعين وأربعمائة جاز أمير المسلمين إلى الأندلس الجواز الثالث ، ووصل إلى قرطبة فبلغه أن الفنش تحرك إليه ، فقال لست ألقاه أبداً ، فإن الهزائم مخلوقة ، وقد كان منا خطأ فى لقائه سنة الزلاقة ، ولكنى أخرج إليه قوادى بأنجاد أجنادى ، فإن قدّر الله بانهزامهم عند التقائهم ، كنت رداءاً لهم من ورائهم[2] . فجرد عسكراً جراراً من مرابطين وعرب[3] وأندلس الشرق والغرب ،

(١) فى نسخة دوزى : الإسلام .

(٢) لم يرد مثل هذا التصريح فى المصادر العربية الأخرى ، وهو — إن صح — يدل على مدى مهارة يوسف بن تاشفين وحرصه كقائد عسكرى محنك .

(٣) يبدو أن طائفة من عرب إفريقية جازوا إلى الأندلس فى أيام المرابطين برسم الجهاد كما نبه على ذلك الدكتور حسين مؤنس (الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين ، مجلة كلية الآداب بالقاهرة المجلد الحادى عشر ديسمبر ١٩٤٩ ص ١٢٩ حاشية ٢) وذلك فى معرض التعليق على ما ورد فى رسالة ابن شرف حول فتح أقليش Uclés سنة ١١٠٨ (٥٠١ هـ) عن بلاء بعض الفرسان العرب فى تلك الموقعة ، وكذلك الدكتور محمود على مكى عند نشره لأحداث وقعة أقليش كما وردت فى كتاب نظم الجمان لابن القطان (ص ٩ ، ١٠ حاشية ١) . على أن ما ورد هنا فى النص يدل على أن اشتراك العرب فى جيوش المرابطين كان أقدم من وقعة أقليش بأكثر من عشر سنوات وذلك فى وقعة كنسويجرا Consuegra سنة ١٠٩٧

وقدّم عليهم قائده محمد بن الحاج ، فالتقوا بكنشرة[1] ، فكانت بينهم جولات وحملات إلى أن زلزل الله أقدام المشركين ، وولوا مدبرين ، فالتحقتهم السيوف واختطفتهم الحتوف ، وآب المسلمون إلى قرطبة سالمين ظافرين غانمين ، فسُرّ بهذا الفتح أمير المسلمين ، وأخذ في الصَّدرِ إلى العدوة . وقد كان أنفذ جملة من جيشه إلى اقليش[2] ، وقدم عليه محمد بن عائشة . فالتقوا مع البرهانس لعنه الله ، فانهزم أمامهم ، واستأصلوا محلته ، وانصرفوا فرحين ، بالظفر مستبشرين .

ثم نهض [أي محمد بن عائشة] إلى ناحية جزيرة شقر[3] ، وذكر أنه يؤمها ويقصدها ويقدمها . فالتقى بجملة من جند القنبيطور ، فأوقع بهم وقتلهم

(١) في النسخ الأخرى بلنشره وكيشوة ولعل المقصود بها بلدة كنسويجرا Consuegra من أعمال طليطلة وفي جنوبها الشرقي وكانت تسمى في القديم Consaburum . راجع : (Madoz: *Op. cit.* vol. VI, p. 569) وقد أشار صاحب الروض المعطار إلى قرية تسمى قنيشرة بالقرب من طليطلة . وعلى الرغم من أن ليفي بروفنسال ناشر هذا الكتاب لم يحقق هذا المكان ، إلا أنه لا يبعد أن يكون المراد به هذه البلدة . راجع (الحميري : الروض المعطار ص ١٣٤ وفي الترجمة الفرنسية ص ١٦١) وعلى كل حال فإنه يبدو أن ابن الكردبوس هو أول من أورد هذا الإسم العربي لمدينة Consuegra . أما المصادر المسيحية فإنها أشارت بوضوح إلى هذا الانتصار الساحق الذي أحرزه المرابطون بقيادة محمد بن الحاج على ألفونسو السادس عند هذه المدينة ، وحددت تاريخه بيوم السبت ١٥ أغسطس ١٠٩٧م (٤٩٠هـ) وتضيف هذه المصادر إلى أن أحد أبناء السيد القنبيطور ويدعى Diego قد قتل في هذه الموقعة . راجع :
(*Anales Toledanos primeros*, p. 343 & Huici: *'Alí B. Yusuf y sus empresas en Al Andalus*, Tamuda, año VII, p. 93, Tetuán, 1959 & Ballesteros: *Hist. de España*, II, p. 310 & Aguado Bleye: *Hist. de España*, tomo I, p. 603).

(٢) اقليش وتسمى أيضاً قونكة Cuenca مدينة وولاية شرقي مدريد عند أعالي نهر شقر Júcar وتشير المصادر المسيحية إلى أن هذا النصر الذي أحرزه ابن عائشة عند قونكة كان في شبتمبر أو اكتوبر سنة ١٠٩٧م وأن الجيوش القشتالية التي حاربت في هذه الموقعة بقيادة البرهانس Alvar Hañez كانت تؤازرها قوات أراجونية أرسلها بدرو الأول ملك أراجون للمساهمة في هذه المعركة ولكنهم منوا جميعاً بالهزيمة أمام المرابطين . راجع : (Ballesteros, II, p. 310).

(٣) جزيرة شقر Alcira : إسم شقر أو Júcar يطلق من الناحية الجغرافية على نهر بهذا الاسم يعرف بوادي شقر Júcar وهو ينبع من المنطقة الجبلية التي في شمال شرق مدينة كونكة ويصب في البحر المتوسط جنوبي بلنسية . وعند مصب هذا النهر كانت توجد بين ضفتيه جزيرة سماها المسلمون جزيرة=

أشر قتلة . ولم يفلت إلا اليسير من تلك الجملة ، فلما وصل الفل إليه ، مات همًّا وغمًّا لا رحمه الله[1] .

وفى سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة [نوفمبر ١٠٩٩ م] ، جاز الأمير يحيى بن أبى بكر[2] بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس مجاهداً ، وصحبه الأمير سير ابن أبى بكر بجملته ، ومحمد بن الحاج ، وساروا جميعاً[3] حتى نزلوا على طلبيطلة ، وحاصروها وشنوا الغارات على نواحيها . وتغلبوا على جملة من حصونها ، وسبوا سبياً كثيراً وغنموا غنما غزيراً ، وصدروا ظافرين .

وفى سنة أربع وتسعين وأربعمائة ، [نوفمبر ١١٠٠] جاز الأمير مزدلى[4] فى جيش عرمرم ، وقصد بلنسية منازلا ومحاصراً لها ، فأقام عليها سبعة أشهر ،

= شقر (بضم الشين وسكون القاف أو فتحها وأحياناً الجزيرة فقط ومنها جاءت التسمية الإسبانية الحالية Alcira أى الجزيرة وهى اليوم مدينة عامرة من أعمال بلنسية . استولى عليها ملك أراجون خايمى الأول سنة ١٢٤٢م ولكن مع ذلك ظل بها عدد كبير من المسلمين إلى أن طردوا منها سنة ١٦٠٩ م وهذا سبب المدينة خسارة كبيرة فى نشاطها الصناعى والاقتصادى . راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ١٢٦ حاشية ٢) راجع كذلك (*Ency. of Islam*, art. Alcira by Seybold). وأيضاً (محمد ابن شريفة : أبو المطرف ابن عميرة ص ٤٣) .

(١) توفى السيد القنبيطور فى سنة ١٠٩٩ م (٤٩٢ هـ) وظل جثمانه ببلنسية إلى أن انسحب عنها أتباعه قبيل سقوط المدينة فى يد المرابطين سنة ١١٠٢م (٤٩٥ هـ) ، حاملين معهم رفات سيدهم ودفنوه فى قشتالة فى دير سان بيدرو دى كاردينا على مقربة من مدينة برغش Burgos ، ثم نقل بعد ذلك إلى مدينة برغش نفسها . وتروى الأساطير الإسبانية فى هذا الصدد أن تابوت السيد القنبيطور لما فتح فى أيام الامبراطور شارل الخامس Carlos V (أو شارلكان) سنة ١٥٤١ م ، انتشرت منه رائحة ذكية ووجدت الجثة ملفوفة فى رداء عربى ومعها سيف ورمح ، وكانت البلاد تعانى جدباً شديداً من قلة المياه ، فما أن فتح التابوت حتى هطلت أمطار غزيرة روت جميع أرجاء قشتالة ! !
راجع : (M. Pidal: *El Poema del Cid*, p. 7).

(٢) ذكر اسم هذا الأمير فى حولية الفونسو العالم على شكل El rey Bucar . راجع :
(*Crónica General*, p. 339; Gayangos: *Op. cit.*, vol. II, app. C, p. XIII).

(٣) فى نسخة : بجملتهم .

(٤) هو الأمير أبو محمد مزدلى بن سلنكان أو نيلكان ترجوت ابن عم يوسف بن تاشفين وأحد كبار قواده . وقد جرت العادة أن يلقب أفراد الأسرة الحاكمة أيام المرابطين بالأمراء بينما سموا فى أيام الموحدين بالسادة والأسياد (جمع سيد) . وقد ظهر اسم الأمير مزدلى أول الأمر بالمغرب عندما =

فلما رأى الفنش لعنه الله ما حلّ برجاله من ألم الحصار وأهواله ، وصل بجملته الذميمة إليها ، وأخرج جميع من كان فيها من الروم لديها ، وأضرمها ناراً ، وتركها آية واعتباراً . وتملك المرابطون بتملكها جميع جزيرة الأندلس سوى سرقسطة بلد المستعين بن هود ، فإنها بقيت مدة بيده ، لانتزاحه وبعده ، واعتضاده بجيرانه الروم بما يدفع لهم من الجزية .

ثم غزا الأمير مزدلى والى بلنسية برجلونة[1] ، وبلغ منها إلى موضع لم يبلغ أحد إليه معها . فهدم بيعها وزلزل صوامعها[2] ، وأحرق بلادها ، ومزق أجنادها ، وقتل وأسر ، وتغلب حصونها قسراً . فرجع وأيدى المسلمين قد امتلأت من غنائم المشركين ، وجلب نواقس وصلباناً وأوانى قد كللت فضة

= استولى على إقليم ملوية فى صفر سنة ٤٦٥ هـ (اكتوبر سنة ١٠٧٣ م) ثم تلمسان فى المحرم سنة ٤٦٨ هـ (أغسطس سنة ١٠٧٥ م) أما فى الأندلس فهو الذى استرجع للاسلام مدينة بلنسية فى ١٥ رجب سنة ٤٩٥ هـ (٥ مايو سنة ١١٠٢ م) من أيدى جنود السيد القنبيطور بعد وفاته . وقد تقلب مزدلى بعد ذلك فى مختلف مناصب القيادة والولاية فى الأندلس مثل ولايات غرناطة وقرطبة والمرية سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ — ١١١٢م) ، كذلك قاد حملات عديدة ضد المسيحيين الاسبان مثل حملته على برشلونه سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) وحملته على طليطلة سنة ٥٠٧ هـ (١١١٤ م) التى استولى فيها على بعض حصونها وضرب نواحيها . غير أن الأمير مزدلى لم يلبث أن استشهد فى السنة التالية فى معركة أخرى مع القشتاليين بالقرب من حصن مستنا Mastana بنواحى طليطلة سنة ٥٠٨ هـ (فبراير سنة ١١١٥ م) وقد خلفه ولداه عبد الله ومحمد على حكم غرناطة وقرطبة . إلا أن محمد بن مزدلى لم يلبث أن استشهد هو الآخر بعد ثلاثة أشهر من وفاة أبيه وذلك عندما هاجمه القشتاليون بنواحى قرطبة فى صفر سنة ٥٠٩ هـ (يونيو سنة ١١١٥ م) .

راجع (ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٨٥ ، ابن القطان : نظم الجمان ص ١٩ نشر الدكتور محمود على مكى) .

راجع كذلك : (Huici Miranda: *'Alí B. Yusuf...* - p. 91-92).

(١) أى برشلونة Barcelona ، وهذا النص يعتبر من النصوص التاريخية القيمة التى لم ترد فى المصادر العربية الأخرى إذا استثنينا إشارة ابن خلدون المختصرة التى قال فيها : وغزا الأمير مزدلى صاحب بلنسية إلى بلد برشلونة فأثخن بها وبلغ إلى حيث لم يبلغ أحد قبله ، ورجع ، وانتظمت بلاد الأندلس فى ملكة يوسف بن تاشفين . راجع (كتاب العبر ج ٦ ص ١٨٨) .

(٢) فى نسخة ا ، ب : صمعها أو جمعها .

وعقيانا ، فأمر أن تركب[1] على تلك النواقس ثريات ، وتوقد فى جامع بلنسية[2] ، فكانت فيه معلقة كأنها السيوف فى آذان الخرائد[3] مشرقة[4] .

ثم خرج على بن الحاج من قرطبة وفى صحبته ابن يحون[5] فى عسكر ضخم غازين نحو جهة قشتالة فلقيهما الرنك[6] لعنه الله بجموعه الغزيرة ، فأوقعوا به وقعة مبيرة ، وقرقروا الظليم بكل مكان[7] .

ثم خرج القائد يغاله من المرابطين غازياً إلى ناحية قلعة أيوب[8] ، فالتقى بطائفة من الروم فهزمهم هزيمة شنيعة ، واستباح محلتهم المنيعة ، وسبى وغنم ، وصدر وقد سلم .

(١) فى نسخة ا ، ب : أن تركب تلك النواقس .

(٢) فى نسخة المغرب جامع اشبيلية .

(٣) الخرائد جمع خريدة أو خريد وهى العذراء أو البكر التى لم تمس ، وتطلق أيضاً على اللؤلؤة التى لم تثقب .

(٤) هذه العبارة ساقطة فى نسختى جاينجوس .

(٥) كذا فى الأصل وهى ساقطة فى نسخة ا ولعلها ابن تجوت أحد قواد المرابطين فى ذلك الوقت . راجع : (Bosch Vilá: *Los Almorávides*, p. 275, nota 43).

(٦) المقصود بالرنك هنـــا هو الأمير Enrique de Borgoña الذى تزوج بنت الملك الفونسو السادس الأميرة تيريسا Doña Teresa سنة ١٠٩٥ م . وقد أهداها والدها بهذه المناسبة إمارة البرتغال التى حكمت هى وزوجها بعد ذلك ثم أنجبت منه الأمير الفونسو إنريكث Alfonso Enríquez الذى صار فيما بعد أول ملك على البرتغال وحكم من سنة ١١٢٨ إلى ١١٥٨ م . راجع :
(Jacinto Bosch Vilá: *Los Almorávides*, p. 180 (Tetuán, 1956). & Aguado Bleye: *Hist. de España*. I, pp. 604-605 & A. Ballesteros: *Hist. de España*, tomo II, p. 384).

(٧) هذه العبارة ساقطة فى ج والقرقرة نوع من الضحك العالى أو دعاء الإبل . . . الخ . والظليم : المظـلوم أو الذكـر من النعام . ولعل المراد هنا هو أن المرابطين بانتصارهم هذا ، قد أضحكوا المظلوم فى كل مكان . راجع (لسان العرب لابن منظور ج ٦ ص ٣٩٩) .

(٨) قلعة أيوب Calatayud مدينة فى ولاية سرقسطة ، كان اسمها القديم لبلة Bilbiles ثم أعاد بناءها والى الأندلس التابعى العربى أيوب بن حبيب اللخمى (٩٧ هـ) فسميت باسمه . وقد اشتهرت هذه المدينة بصناعة الفضار (الفخار) المذهب الذى كان يصدر الى جميع الجهات . راجع (الحميرى : الروض المعطـار ص ١٦٣) .

وفى سنة سبع وتسعين وأربعمائة[1] ، كرَّ إلى الأندلس أمير المسلمين وهى الكرة الرابعة وهى آخر مرة جاز إليها ، وانتهى إلى مرسية . وولى على بلنسية القائد أبا محمد[2] بن فاطمة ، وعزل عنها الأمير مزدلى وعوضه بتلمسان ، وعزل عنها تاشفين بن يتنغمر لمعاونته الدولة الحمادية ، ومعاملته إياها معاملة دنية[3].

---

(١) سنة ٤٩٧ هـ وتقابلها سنة ١١٠٣ – ١١٠٤ م .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن فاطمة وأحياناً يسمى أبو عبد الله محمد بن فاطمة ، وهو أحد مشاهير القواد المرابطين فى عهد يوسف بن تاشفين وابنه على . اشترك مع القائد مزدلى بن سلنكان فى استنقاذ بلنسية من أيدى المسيحيين سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) ، ثم اشترك بعد ذلك مع أبى الحسن على بن الحاج قائد جيوش المرابطين فى منطقة شرق الأندلس فى مهاجمة جيوش ملك قشتالة الفونسو السادس حينما حاول هذا الأخير حصار مدينة سالم Medinaceli ، فقام القائدان معاً بغزو طليطلة وطلبيرة سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) ولقد استشهد فى هذه الغزوة القائد أبو الحسن على بن الحاج ، فعهد يوسف بن تاشفين إلى ابن فاطمة بأن يخلف ابن الحاج فى منصبه العسكرى ، ثم لم يلبث أن ولاه فى نفس السنة على بلنسية بدلا من الأمير مزدلى الذى نقل إلى تلمسان . وعندما تولى أمير المسلمين على بن يوسف الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٥٠٠ هـ ، أقر ابن فاطمة على منصبه . ومن حسن الحظ توجد فى هذا الصدد الرسالة الرسمية التى وجهها هذا السلطان إلى أهل بلنسية معلماً إياهم باقرار ابن فاطمة على حكم هذه الجهة . راجع (محمود مكى : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ص ١٨٢ ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ١٩٥٩ – ١٩٦٠) . وفى رمضان سنة ٥٠١ هـ (مايو سنة ١١٠٨م) اشترك ابن فاطمة بصفته عاملا على بلنسية مع القائد ابن عائشة عامل مرسية فى الغزوة التى قادها تميم بن يوسف بن تاشفين ضد جيوش قشتالة ، وهى المعروفة بوقعة أقليش Uclés التى هزم فيها المسيحيون وقتل قوادهم السبعة بما فيهم الأمير شانجه Sancho الابن الوحيد لملك قشتالة الفونسو السادس .

واستمر ابن فاطمة والياً على بلنسية إلى سنة ٥٠٣هـ (١١١٠م) التى عين فيها عاملا على غرناطة ، إلا أنه لم يبق فى هذه الولاية أكثر من سنة ، عين بعدها عاملا على مدينة فاس بالمغرب سنة ٥٠٤ (١١١١ م) وبعد عدة سنوات عاد ابن فاطمة إلى الأندلس كعامل على اشبيلية بعد عزل واليها محي ابن سير بن أبى بكر سنة ٥٠٩ هـ (١١١٥م) . ويظل على حكم هذه المدينة إلى أن مات فى رمضان سنة ٥١١ هـ (يناير ١١١٨م) راجع (هويثى ميراندا : البيان المرابطى لابن عذارى ، هيسبريس تمودا ، الجزء الثانى ، ١٩٦١ ؛ على بن يوسف وأعماله ، مجلة تطوان ١٩٥٩ ؛ وقعة أقليش ومصير الأمير دون شانجه ، مجلة تطوان سنة ١٩٥٧ م) راجع كذلك (محمود مكى : وثائق تاريخية جديدة ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، ١٩٥٩ — ١٩٦٠ ص ١٥٢ — ١٥٥) ، ابن القطان : نظم الجمان ص ٨ حاشية ٢ لمحمود مكى أيضاً) .

(٣) هذا التفسير لأسباب عزل والى تلمسان تاشفين بن يتنغمر ، له أهمية تاريخية ، إذ أنه لا يرد فى المصادر الأخرى ، كما أنه يتعارض مع ما أورده هويثى ميراندا الذى يرى أن عزل هذا =

وفيها وافى كتاب المستعين بن هود صاحب سرقسطة على أمير المسلمين راغباً أن يوجه إليه جيشاً يحتمى به من الفنش ، إذ قد أخذ بمخنقه ، وأشفى على آخر رمقه ، فأنفذ إليه ألف فارس تخيرهم ، وقدّم عليهم القائد أبا عبد الله بن فاطمة ، فحصل بتلك الجملة عنده ، فأورى الله بهـا زنده ، فخرج القائد بن فاطمة بجملته وأغار على بلاد الروم فغنم ، وانصرف وهو سالم .

وفيهـا لقى القائد محمد بن عائشة ، الروم بفحص اللجج[1] من بلاط العروس ، فظفر بهم ، واحتوى على سلبهم ، وامتلأت أيدى رجاله من نهبهم .
وفيها رحل أمير المسلمين إلى غرناطة ومعه ابنه الأمير على ، فأخذ له بيعة أهل الأندلس قاطبة ، ثم رجع إلى العدوة ، وملكه قد أضحى للاندلس ، سوى سرقسطة ، جامعاً .

وفى سنة خمسمائة [١١٠٦م] ، توفى يوسف بن تاشفين ، وقام بالأمر من بعده ابنه الأمير على ، فجهز إلى الأندلس جيشاً ، وقدّم عليه القائدين الأخوين أبا سليمان وأبا عمران ابْنَىْ تارشتا[2] ، فقصدا جهة شنتمرية والرياحين ، فشنا الغارة على جميع تلك الجنبات ، فامتلأت بالغنائم أيدى الغزاة ، وانصرفا على أحسن الحالات .

= الوالى كان نتيجة للنزاع الذى قام بينه وبين جاره الملك المنصور بن الناصر بن علناس صاحب بجاية وقلعة بنى حمـاد ، مما اضطر يوسف بن تاشفين إلى عزل واليه على تلمسان وتعيين الأمير مزدلى بن سلنكان مكانه سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤م) راجع :

(Huici Miranda: *'Alí B. Yusuf*... - Tamuda, año VII, pp. 91, 113, Tetuán, 1959).

(١) راجع ما قلناه سابقاً عن فحص اللج أو اللجج .

(٢) لعلهما من أبناء الزعيم اللمتونى محمد المعروف بتارشتا أو تارشتى الذى تزعم قبائل صنهاجة اللثام فى الصحراء الكبرى ، وجاهد المشركين من أهل السودان فى الجنوب إلى أن استشهد هنالك وذلك قبيل مجىء عبد الله بن ياسين وقيام دولة المرابطين بقليل . وقد وصفه البكرى بقوله : وكان رئيسهم محمد المعروف بتارشتى من أهل الفضل والدين والحج والجهاد وهلك بموضع يقال له قنقاره من بلاد السودان . راجع (البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ١٦٤) .

وفى سنة إحدى وخمسمائة جمع الفنش واحتفل ، وحشد أهل بلاده وقصد شرق الأندلس . وأقبــل فتصدى له الأمير تميم[1] ، فتقاتلا ، وتضاربا ، وتجاولا ، وتحاربا ، فنصر الله جيش المسلمين ، وانهزم العدو اللعين[2] بعد أن جرح وقتل ابنه[3] لعنه الله ، واستبيح عسكره ، وقتل وسبى أكثره ، ورجع ظافراً وقد أبلى بلاء ظاهراً .

---

(١) هو الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين ، أخو الأمير على بن يوسف ، ولى حكم غرناطة بين سنتى ٥٠٠ و ٥٠٣ هـ ثم نقل إلى حكم تلمسان بالمغرب الأوسط وعاد بعد ذلك إلى الأندلس فتولى حكم غرناطــة مرة أخرى فيما بين سنتى ٥١٥ ، ٥١٦ هـ وبعدها نقل إلى اشبيلية فحكمها سنة وبضعة شهور ، ثم أصبح عاملا على قرطبة وغرناطـــة فى سنه ٥١٩ هـ ويبدو أن أخاه علياً قد عزله عن غرناطة بعد ذلك بقليل . وفى تاريخ وفاته خلاف ، والأرجح أنه توفى سنة ٥٢٠ هـ . انظر (مقال أوبثى : على بن يوسف . . . ص ١٠٠ — ١١٢ ؛ ابن القطــان : نظم الجمان ص ٩ حاشية ١ نشر محمود على مكى) .

(٢) هذه الوقعة المشهورة دارت عند حصن أقليش أو أقليج Uclés بالقرب من قونكة سنة ٥٠١ هـ (١١٠٨ م) ولهذا سميت باسمـــه . وقد انتهت هذه الوقعة كما هو معروف ومبين فى المتن بانتصار المرابطين على جيوش الفونسو السادس ملك قشتالة وبمصرع ابنه الوحيد وولى عهده دون سانشو (شانجه) . راجع تفاصيل هذه الوقعة فى : (أوبثى ميراندا : وقعة أقليش ومصرع الأمير شانجه ، مجـــلة تطوان سنة ١٩٥٧ العدد الثانى ؛ حسين مؤنس : الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين ، مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، المجلد الحادى عشر ، ديسمبر ١٩٤٩) . انظر كذلك :
(Bosch Vilá: *Los Almorávides*, p. 180).

(٣) هو الأمير سانشو Sancho أو شانجه كما تذكره المصادر العربية ، وهو ابن الملك الفونسو السادس من زوجته زايدة المسلمة التى كانت قد فرت إلى قشتالة بعد مقتل زوجها المأمون بن المعتمد بن عباد على يد المرابطين عند دخولهم قرطبة ، فبنى عليها الفونسو السادس وأنجب منها ابنه الوحيد سانشو هذا ، وكان سنه فى هذه الموقعة حوالى خمس عشرة سنة . ويروى صاحب روض القرطـــاس أن الفونسو حينما علم أن تميم بن يوسف بن تاشفين هو قائد الجيش الإسلامى ، أشارت عليه زوجته أن يوجه ولده عوضاً عنه فيكون مواجهاً لتميم ، لأن تميم ابن ملك المسلمين ، وشانجه ابن ملك الروم فسمع منها . (ابن أبى زرع : روض القرطاس ج ٢ ص ٧١) والواقع أن هذه الرواية يبدو فيها طابع الخيـــال لأن ملك قشتالة فى ذلك الوقت كان مريضاً وعاجزاً عن قيادة الجيوش بنفسه لكبر سنه كما تصرح بذلك المصادر المسيحية ، هذا فضلا عن أن ملك المرابطين فى ذلك الوقت كان الأمير على بن يوسف بن تاشفين أى أخا الأمير تميم وليس أباه .

وآب اللعين مفلولا[1] خاسراً ، فأسف على قتل ولده . وقال أنَّى عيش يطيب لى من بعده . فأقام ثلاثة شهور ، فى غير عافية ولا سرور ، ومات لعنه الله ، فحمل على أعناق الرجال إلى قشتالة ، فدفن مع آبائه ، وأراح الله المسلمين من دائه .

ولم يترك ابناً ذكراً إلا ابنته[2] ، فأقامت بالأمر من بعده مدة ، وأحكمته عقداً وشدة ، ثم خشيت أن يطالبها أحد ملوك الروم أو الإسلام فيبهر حبها[3] فدست إلى ابن ردمير[4] أن يتزوجها ، فتم بينهما النكاح ، فلا فلاح ولا نجاح ، فما لبثا إلا القليل حتى وقع بينهما شر طويل ، فافترقا على أشر حال .

---

(١) يفهم من هذا النص أن الملك الفونسو السادس قد اشترك فى وقعة أقليش مع ابنه سانشو الذى قتل فيها . والواقع أن هذا الملك كما بينا فى الحاشية السابقة لم يشترك فى هذه الوقعة لشيخوخته ومرضه ، وأرسل نيابة عنه ولده شانجه محاطاً بسبعة من كبار قواده نذكر منهم : الكونت البرهانس Alvar Hañez والكونت غرسية أوردونيث García Ordóñez والكونت رامون دى بورجونيا Ramón de Borgoña زوج دونيا أوراكا Doña Urraca بنت الفونسو السادس ، ولهذا عرفت هذه الوقعة باسم أقليش أو الأقساط السبعة Los Siete Condes . وقد حدثت كما قلنا فى سنة ٥٠١ هـ (١١٠٨ م) . راجع المصادر السالفة الذكر فى حاشية ٢ من الصفحة السابقة .

(٢) لم يعش الفونسو طويلا بعد مقتل وحيده دون سانشو فى وقعة أقليش سنة ١١٠٨ م إذ لم يلبث هو الآخر أن مات فى السنة التالية سنة ١١٠٩ م تاركاً بنات كثيرات . وابنته المقصودة هنا فى المتن هى ابنته الشرعية الكبرى دونيا أوراكا Doña Urraca التى خلفته فى حكم قشتالة وليون وغاليسيا واستمرت فى الحكم إلى أن توفيت سنة ١١٢٦ م (٥٢٠ هـ) وخلفها فى الحكم ابنها الفونسو السابع الذى كان صغير السن فسمته المراجع العربية بالسليطين أو السليطن (تصغير سلطان) وقد ظل يحكم حتى وفاته سنة ١١٣٧ م (٥٣١ هـ) .

(٣) هذه الكلمة غير واضحة وقد تقرأ أيضاً فيحرجها .

(٤) المقصود هنا Alfonso Sánchez المعروف باسم الفونسو الأول المحارب Alfonso I, el Batallador ملك أراجون ونافارا . وقد حكم من سنة ١١٠٤ إلى سنة ١١٣٤ م (٤٩٩ – ٥٢٩ هـ) وتسميته هنا بابن ردمير ترجع إلى اسم والده Sancho Ramírez سانشو راميرث . ولقد تزوج الفونسو المحارب دونيا أوراكا ملكة قشتالة وليون وغاليسيا فى سبتمبر سنة ١١٠٩ م . ومن المعروف أن أوراكا هذه كانت قد تزوجت قبل ذلك بعدة طويلة بالأمير رايموندو دى بورجونيا El Conde Raimundo de Borgoña وأنجبت منه الأمير الفونسو رايموند الذى سوف يخلفها في الحكم باسم الفونسو السابع المعروف بالسليطين أو السليطن غير أن وفاة زوجها السالف الذكر سنة ١١٠٧ م قد أتاح لها فرصة الزواج ثانية من ملك أراجون الفونسو المحارب . وكان الغرض من هذا الزواج الجديد هو =

وأخذ ابن ردمير فى الترحال وحشد أهل بلاده ، وحشدت ، وأقبل نحوها ونهضت إليه وما ترددت ، فتواقعا[1] مدة ، والحرب بينهما مشتدة ، إلى أن مكّنها[2] الله منه فهزمته هزيمة لم يكن له فيها كرّة ، افتقد فيها من صناديد رجاله نيفاً من ثلاثة آلاف ، وتزوجت بعده قِمْطاً[3] من الأقامطة فرزقت منه السُلَيْطين[4] فَمَلَّكه الروم ، إنما ورثه عن أمه لا عن أبيه ، لأن أباه لم يكن من نسل الملوك فينافس فيه .

وفى سنة ثلاث وخمسمائة عبر البحر[5] الأمير على بن يوسف إلى الأندلس قاصداً الغزو ، فنزل الجزيرة بجيوش غزيرة ، فقصد[6] نحو طليطلة ونزل على

= توحيد الممالك المسيحية الإسبانية الشمالية فى مملكة واحدة وقد تلقب كل من الفونسو المحارب وأوراكا عقب هذا الزواج بلقب الامبراطور والامبراطورة على جميع اسبانيا . غير أن هذا الزواج لم يعمر طويلا ، إذ سرعان ما دب الشقاق بين الزوجين وقامت بينهما حروب أهلية مستمرة وانتهى الأمر بانفصالها حوالى سنه ١١١٤ م . وقد أتاح هذا الانفصال الفرصة لولدها الفونسو السابع (السليطين) كى يرث بعدها عرش قشتالة وليون سنة ١١٢٦ م ملقباً نفسه هو الآخر بالامبراطور . راجع :
(Antonio Ballesteros: *Hist. de España,* II, pp. 338, 447 & Aguado Bleye: *Hist. de España,* I, pp. 618, 622).

(١) فى نسخة ا فتوافقا ب فتواقفا .

(٢) فى ا ، ب : أمكنها .

(٣) هذا ما يؤيد ما ترويه المصادر المسيحية من أن هذه الملكة أوراكا Urraca بعد انفصالها من زوجها ملك أراجون ، اتخذت عشيقاً أو زوجاً وهو القمط أو الكونت بدرو جونثالث دى لارا el Conde Pedro González de Lara . غير أن هذه المصادر المسيحية تختلف عن المتن هنا حول ابنها السليطين أو الفونسو السابع فهى تنص على أنها لم تنجبه من هذا الأمير السابق وإنما أنجبته من زوجها الأول الكونت ريموندو دى بورجونيا el Conde Raimundo de Borgoña الذى مات وعمر ابنه السليطين هذا ثلاث سنوات . هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن الملكة أوراكا قد أنجبت أيضاً من عشيقها السالف الذكر بدرو جونثالث دى لارا أبناء آخرين مثل فرناندو وإلبيرة . راجع :
(*Diccionario de Historia de España,* tomo II, p. 806, 1341).

(٤) فى نسخة أخرى السليطن .

(٥) فى نسخة ا جاز الأمير .

(٦) فى نسخة أخرى فعمد .

بابها . وحاز المُنْيَةَ[1] المشهورة التى بهـا ، وتغلب على جملة من حصونها .
وانتشرت جيوشه على تلك الأقطار ، فلاذ المشركون بالفرار إلى المعاقل الرفيعة ،
والحصون المنيعة ، وداخل أهل قشتالة الخوف والجزع وخامر قلوبهم الفزع ،
ولم يشكُّوا أنه يغشاهم ويخرب مثواهم ، فكرَّ من هنالك إلى العدوة راجعاً ،
وإلى مقر ملكه مسارعاً .

وفيها قصد الرنك[2] ، وابن ردمير[3] لعنهما الله ، المستعين بن هود[4]
فى جيوش لا تحصى كـــثرة[5] ، فبرز إليهما والعدو[6] قد غرّه ، فقتل
رحمه الله شهيداً بقامره[7] . وحاصر ابن ردمـير البلد (يقصد سرقسطة)

---

(١) المنية (بضم الميم وسكون النون وفتح الياء) وجمعها منى (بضم الميم وتنوين النون بالفتح) ومعناها الحدائق الواسعة .(Dozy: *Supplement*, II, p. 620) . ولقد كانت منية طليطلة مشهورة فعلا كما هو مذكور فى المتن . وقد وصفها ابن بسام فى ذخيرته بقوله : « ونزل الطاغية أذفونش المنية المسورة التى كان المأمون بن ذى النون يحشد إليها كل حسن ، ويباهى بها جنة عدن ، ويقلب الجور ؟ فى جيد بنيانها ، والاشادة بشأنها ، ظهراً لبطن ، فاتخذ عروشها مرابطاً لأفراسه ، وايواناتها ملاعب لأراذلته وأرجاسه » . راجع : (ابن بسام : الذخيرة القسم الرابع ، المجلد الأول ص ١٢٨) .

(٢) يقصد أمير البرتغال فى ذلك الوقت انريكى دى بورجونيا Enrique de Borgoña .

(٣) هو الفونسو الأول المعروف بالمحارب ابن سانشو راميرث .

(٤) حدد ابن عذارى تاريخ هذه الوقعة بقوله : وولى ملك سرقسطة المستعين (الثانى) ابن هود ، المقتول فى ملحمة يوم الاثنين مستهـل رجب من السنة ثلاث وخمسمائة (٥٠٣ هـ) . وهذا التاريخ يتفق مع ما أورده أيضاً ابن الأبار فى حلته ومع ما ورد هنا فى المتن ، كما يتفق مع ما ورد فى المصادر المسيحية التى جعلته فى ٢٤ يناير سنة ١١١٠ م .

راجع (ابن الأبار : الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢٤٨) راجع كذلك :

(Huici Miranda: *Un fragmento inédito de Ibn 'Idari, sobre los Almorávides*, Hespéris-Tamuda, vol. II, fasc. I. 1961, p. 72 & Ballesteros: *Hist. de España*, II, p. 451).

(٥) فى نسخة لا يحصى لها عدد .

(٦) فى نسخة والغدر .

(٧) قامرة ساقطة فى ا ، ب ، ويلاحظ أن المصادر المسيحية قد حددت مكان هذه المعركة عند بلدة بلتيرة Valtierra وهى الآن مركز قضائى لمدينة تطيلة Tudela وتقع على ضفاف نهر الابرو شمالى تطيلة وشمال غرب سرقسطة (Madoz: *Diccionario Geográfico de España*, tomo XVI, p. 624) وقد يؤيد هذا التحديد ما أورده ابن الخطيب (أعمال الأعلام ص ١٧٤) وابن عذارى (المرجع =

شهوراً[1] وأذاق أهله وَبْالاً وثبوراً ، إلى أن صالحه أهلها على أن يسلّموا البلد إليه ، ويجعلوه فى يديه ، فمن أحَبَّ منهم الإقامة على أداء الجزية خاصة أقام ، ومن أحب أن يرحل بما عنده إلى حيث شاء من البلاد فله الأمان التام ، إلى أن يصل إلى بلاد الإسلام ، وعلى أن يسكن الروم المدينة والمسلمون ربض الدباغين ، وعلى أن كل أسير يفلت للروم من المدينة ويحصل عند الإسلام ، فلا سبيل لمالكه إليه ، ولا اعتراض له عليه . فوقع على ذلك الاتفاق ، وانعقدت فيه بينهم عقود بالعهد الوكيد والميثاق ، وأسلموا إليه البلد[2] ، فياله من مصاب قطع الأكباد وأذهب الجَلَد .

= السابق ص ٧١) وابن الأبار (الحلة السيراء ج ٢ ص ٢٤٨) من أن المستعين بن هود هاجم مدينة تطيلة وأرباضها ثم فاجأه العدو هناك ودارت بين الفريقين معركة دامية انتهت بهزيمة المسلمين واستشهاد المستعين بن هود سنة ٥٠٣ هـ (١١١٠ م) . أما اسم قامرة الذى ورد هنا فى المتن كمكان لهذه الوقعة فإنه للاسف لم يرد فى المصادر العربية أو المسيحية على السواء . وكلمة قامرة أو جمعها قوامير ، وبالاسبانية Camara أطلقت فى الأصل على مخازن المحصولات الزراعية وعلى التربة الخصبة المنتجة (Simonet: *Glosario de Voces Ibéricas*, pp. 79-80). ومثال ذلك قول ابن الخطيب فى وصف مالقة « وهى قامرة الفلاحة المخصوصة بالاعتدال . (مختار العبادى : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى المغرب والأندلس ص ٦٠) ولقد أطلق هذا الاسم على عدة أماكن فى مختلف أنحاء اسبانيا ولا يزال بعضها موجوداً حتى اليوم تحت اسم Camara فى شمال مالقة وقرطبة وألقنت Alicante ولاردة . . . الخ . راجع (Madoz: *Op. cit.*, II, p. 325). وغير بعيد بالمرة أن يكون هذا الاسم قد أطلق كذلك على بعض نواحى بلتيرة Valtierra التى دارت عندها المعركة .

(١) فى ا ، ب : شهراً .

(٢) سقطت سرقسطة صلحاً فى يد ملك أراجون الفونسو الأول المحارب (ابن ردمير فى المصادر العربية) فى ٤ رمضان سنة ٥١٢ هـ (١٩ ديسمبر سنة ١١١٨ م) وذلك بعد حصار طويل دام تسعة أشهر ومنذ ذلك الوقت صارت قاعدة لدولة أراجون وتقع سرقسطة فى شمال شرق اسبانيا على وادى نهر الابرو على ارتفاع ١٨٤ متراً . وكانت على أيام المسلمين قاعدة للثغر الأعلى وعرفت بعروس الابرو كما سميت كذلك بالمدينة البيضاء لكثرة جصها وجيارها أو لأن أسوارها القديمة كانت من حجر الرخام الأبيض . والاسم الايبيرى القديم لسرقسطة هو سلدوبا Salduba وعندما احتل الرومان اسبانيا أسس الامبراطور الرومانى أغسطس مستعمرة حربية فى هذا المكان سماها باسمه Caesarea Augusta ثم تحور الاسم على أيام القوط إلى Cesaragusta ثم صار على أيام العرب سرقسطة ومن هذا الاسم الأخير صارت التسمية الاسبانية الحديثة Zaragoza الذى يطلق على المدينة والولاية . ومن أشهر الآثار =

فلما استقرت به — لعنه الله — الدار ، أخذ أكثر المسلمين فى الرحيل والفرار ، فبلغ عددهم نحواً من خمسين ألف نسمة ما بين صغير وكبير ونساء وذكور . فلما ساروا من المدينة على مرحلة ، ركب بنفسه مع من استصحبه واحتمله ، فوقف عليهم وأمرهم أن يبرزوا جميع ما لديهم من القليل والكثير ، فرأى أموالا لا تحصى كثرة ، ولا كان راجياً أن يرى جزءاً منها دهره . فقال لهم : « لو لم أقف على ما عندكم من هذه الأموال ، لقُلتم لو رأى بعضها لم يسمح لنا بالترحال ، فسيروا الآن حيث شئتم فى أمان » . ووجه معهم من رجاله ، مَن يشيعهم إلى آخر أعماله ، ولم يأخذ منهم سوى غير مثقال ، على الرجال والنساء والأطفال . فتملكها — لعنه الله — من ذلك التاريخ إلى هَلُمّ[1] .

وعندما دخلها — لعنه الله — فرَّ عماد الدولة بن المستعين بن هود[2] إلى روطة[3] ، وهو معقل على مقربة من سرقسطة ، مساو لأعنان السماء ، وفى غاية من المنعة والارتقاء ، كان المستعين بن هود قد أعده وبناه ، وبالأقوات

= لاسلامية الموجودة حتى اليوم فى هذه المدينة قصر الجعفرية la Jaferilla الذى كان مقراً لبنى هود ملوك سرقسطة .

راجع وصف هذه المدينة فى (الحميرى : الروض المعطار ص ٩٦ وما بعدها ، والترجمة الفرنسية ص ١١٨) . راجع كذلك : *(Ency. of Islam*, art. Saragosse, por Lévi-Provençal).

(١) هذا النص — إن صحت روايته — يعطينا معلومات جديدة عن أحداث سقوط هذه القاعدة الاسلامية الهامة فى يد ملك أراجون الفونسو المحارب .

(٢) هو عماد الدولة أبو مروان عبد الملك بن أحمد المستعين بن المؤتمن بن أحمد المقتدر بن سليمان المستعين بالله ابن هود الجذامى ، حكم سنة ٥٠٣ هـ وتوفى بروطه سنة ٥٢٤ هـ .
راجع (ابن الأبار : الحلة السيراء ج ٢ ص ٢٤٨ — ٢٤٩) .

(٣) روطة Rueda (بضم الراء وفتح الطاء) حصن حصين من أعمال سرقسطة ، وأحد معاقلها المنيعة فى منطقة الثغر الأعلى ، ويعرف بروطة نهر الخالون أو شلون Rueda de Jalón أحد فروع نهر الإبرو . ويسميها ابن الأبار روطة اليهود (الحلة السيراء ج ٢ ص ٢٤٦) وقد سقطت فى يد الفونسو المحارب سنة ٥١٢ هـ (١١١٨ م) وهى اليوم تابعة لمديرية وشقة Huesca . انظر تعليق د. حسين مؤنس ، الحلة السيراء ، ج ٢/٢٤٦

والسلاح قد شحنه ، وحفر فيه إلى الوادى سرباً أتقنه ، أدراجه تنيف على الأربعمائة درَج ، فما يُقطع له شُرب ولا منهج . فأقام فيه أعواماً ممتنعاً على المشركين إلى أن توفى رحمه الله .

وقام بالأمر من بعده ابنه أحمد وتسمى بالمستنصر(١) ، فراسله طـــاغية الأنبوطر(٢) الملقب بالسليطن(٣) وقال له : « ارحل(٤) عن روطة . وأعوضك عنهـا بقشتالة(٥) ما هو أحسن وأفيد ، وتقرب من غرب بلاد الأندلس ، وأخرج معك بنفسى وأجنادى وأبطـالى ، وأطوف(٦) معك على تلك البلاد ، وتدعوهم إلى طاعتك ، فمن أجابك ودخل فى جماعتك ، تركت عنده ثقاتك ، واستعملت عليه ولاتك ، وأمنتُه أنا من غارات الروم ، وكنت لهم كالأب المشفق الرحيم . فـأرجوا أن لا يتوقف عن إجابتك أحد ، إذ قد أذاقهم المرابطون العذاب الأشد ، فكرههم الجميع ، وبودهم أن يضحى مَلِكهم وهو صريع . ولو ظفرت بك أيديهم ، ما أبقوا منهم بشراً فى ناديهم ، إذ لم يبق لهم من أبناء الأملاك(٧) ، أحد سواك » . فرسخ هذا الكلام فى رأسه ،

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك سيف الدولة المستنصر بالله ويلقب أيضاً بالمستعين بالله وهو آخر ملوك بنى هود . (ابن الأبار : الحلة السيراء ج ٢ ص ٢٤٩) .

(٢) فى نسخة أخرى الابراطور وهو يعنى لقب الامبراطور Emperador ومعناه سلطان السلاطين على حد قول ابن الخطيب (أعمال الأعلام ص ٣٣٠) .

(٣) من المعروف أن الفونسو السابع المعروف بالسليطن قد اتخذ لقب الامبراطور Emperador فى سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٥ م) وهو اللقب الذى اتخذه جده الفونسو السادس وكل ملوك مملكة ليون من قبل . راجع : (M. Pidal: *España del Cid*, I, p. 68). على أنه يلاحظ هنا فى المتن أن ابن الكردبوس يعتبر المؤرخ العربى الوحيد الذى أشار بوضوح إلى أن الملك الفونسو السابع قد اتخـذ هذا اللقب .

(٤) فى نسختى ا ، ب : تخل لى عن .

(٥) فى نسخة ب : قشتيلة ، وتعنى أيضاً قشتاله وهما تحريف للكلمة الإسبانية كاستيليا Castilla وهى فى الأصل منطقة القلاع التى كانت تحيط بمملكة ليون لحمايتها من غارات جيرانها ولا سيما المسلمين .

(٦) فى ا ، ب : وأتطوف .

(٧) فى ا ، ب : الملوك .

وتمكن من نفسه ، وتخلى له عن معقل ، ما أبصر مثله من يعقل ، وأمر له بقشتالة من قرى ومزارع ، وأرضين ذات مراجع ، ثم خرج معه إلى غرب بلاد الإسلام[١] ، فى جيوش لا ترام ، فما قصد موضعاً ، إلا ألفاه متقلعاً ممتنعاً ، ولا أطاعه بشر ، ولا انبسط له من قرية من القرى أحد ولا انتشر ، لأنهم تخوفوا إن أطاعوه[٢] ، أن يغلبه العدو ويتملكهم[٣] أو يقتلهم ويهلكهم ، وكانوا جميعاً حريصين عليه ، ما يليق بنفوسهم إليه[٤] . فرجع أخسر صفقة من أبى غُبشان[٥] ، حين قاد إلى بيت الله الحرام[٦] الحبشان وكان كما قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين »[٧] .

وفى سنة سبع وخمسمائة [١١١٣ م] غزا الأميران سير بن أبى بكر ، ومزدلى ، طليطلة ، وشنَّا على جميع تلك الجهات السرايا والغارات ، فهدموا ودمدموا ، وحرقوا ، ومزقوا ، كلَّ من لقوا[٨] . فتعرض لهم البرهانس لعنه الله فى عشرة آلاف دارع ، فهزماه وأثخناه ، وقتلا من جماعته سبعمائة فارس[٩] .

---

(١) فى ا ، ب : الأندلس .

(٢) فى ا ، ب : طاعوا له .

(٣) فى ا ، ب : ويملكهم .

(٤) فى ا ، ب : بنفوسهم لولا ذلك .

(٥) فى ا ، ب : هذه العبارة ساقطة ، وأبو غبشان (بفتح الغين أو ضمها وسكون الباء وفتح الشين) هو المحترش بن حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى ، ويضرب به المثل فى الحمق والندامة وخسارة الصفقة . راجع خبره فى (الميدانى مجمع الأمثال ج ١ ص ٢١٦ ؛ الزبيدى : تاج العروس ج ٤ ص ٣٢٩) .

(٦) لعل سياق السجع قد أوقع الكاتب فى هذا الخطأ التاريخى ، إذ أنه من المعروف أن الدليل الذى رافق أصحاب الفيل بقيادة أبرهه الحبشى إلى مكة لتخريب الكعبه ، رجل من ثقيف يدعى بأبى رغال ، وقد هلك فى الطريق بموضع يقال له المغمس بالقرب من مكة . وقد جرت عادة الحجاج بعد ذلك إلى اليوم أن يرجموا قبره عند المرور به . راجع (المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٧) .

(٧) سورة البقرة آية ١٦ ؛ وهى ساقطة فى ا ، ب .

(٨) ساقطة فى ا ، ب : ومزقوا كل من لقوا .

(٩) كان البرهانس Alvar Hañez فى ذلك الوقت حاكما على مدينة طليطلة من قبل الملكة أوراكا Urraca صاحبة قشتالة وليون . راجع : *(Dicc. de Hist. de España,* tomo I, p. 171).

وفيها وقعت بين أهل قشتالة وبين ابن ردمير ، حروب كثيرة دمرت الفريقين أى تدمير ، وانجلت عن البرهانس — لعنه الله — قتيلا عقيرا . أصلى الله روحه سعيراً[١] .

وفى سنة ثمان وخمسمائة [١١١٤ م] ، اجتمع أهل بيشة[٢] وجنوة ، وعمروا ثلاثمائة مركب ، وخرجوا إلى جزيرة يابسة من عمل ميورقة ، فغلبوها وسبوها وانتهبوها[٣] ، ثم انتقلوا إلى جزيرة ميورقة ، وكان واليها قبل حلول العدو بنواحيها ، المرتضى[٤] من أهل الأندلس ، ثار فيها عند انقطاع دولة بنى أمية بالأندلس حين ثار سواه ، ثم توفى وقام بالأمر من بعده خصى من خصيانه اسمه مبشر[٥] فتلقب بناصر الدولة ، وكان أصله من قلعة الحمير[٦] من نظر

---

(١) المقصود هنا الحرب الأهلية التى دارت بين الفونسو المحارب ملك أراجون ، والملكة أوراكا ملكة قشتالة وليون . وقد قتل خلالها القائد البرهانس Alvar Hañez حاكم طليطلة على يد أهل مدينة شقوبية Segovia الذين أخذوا جانب ملك أراغون . وسنة الوفاة هنـــا تتفق مع ما ورد فى المصادر المسيحية وهى سنة ٥٠٧ هـ = ١١١٤ م .

(٢) بيشه أو بيزا Pisa إحدى المدن الايطـالية وبهـا البرج المائل الذى يعتبر من عجائب الدنيا .

(٣) كان ذلك فى أغسطس سنة ١١١٥ م (٥٠٨ هـ) .

(٤) هو الأمير عبد الله المرتضى ، وكان فى بادىء الأمر واليـاً على جزر البليار من قبل الأمير إقبال الدولة على بن مجاهد الصقلبى العامرى أمير دانيه . وعندما استولى أمير سرقسطة المقتدر بن هود على دانية وسجن أميرها وزوج ابنته على بن مجاهد ، أعلن المرتضى استقلاله بحكم جزر البليار . راجع :
(Álvaro Campaner y Fuertes: *Bosquejo histórico de la dominación islamita en las Islas Baleares*, p. 91).

(٥) عن مبشر بن سليمان ناصر الدولة راجع :
(Prieto Vives: *Los Reyes de Taifas*, p. 41. & Álvaro Campaner: *Op. cit.*, p. 91).
راجع كذلك (ابن سعيد : المغرب ج ٢ ص ٤٦٦ ؛ ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٦٥ ، محمود على مكى : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٥٩ — ١٩٦٠) .

(٦) كذا ، وفى ابن خلدون (العبر ج ٤ ص ١٦٥) : قلعة حمير من أعمال لاردة . وقد قرأها البعض حمير Himyar (بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء) انظر :
(Álvaro Campaner: *Op. cit.*, p. 91 & Gayangos: *Op. cit.*, vol. II, app. C, p. XLVIII).
وأغلب الظن أنها بفتح الحاء وكسر الميم ، ومكانها الآن البلدة المسماة Castelldasens ومعناها باللغة القطلانية قلعة الحمير . وهى مركز قضائى فى مقاطعة لاردة وتقع فى سهل مرتفع محـــاط ببعض التلال الصغيرة . وكانت هذه المنطقة تحتوى فى القديم على قلعة عربية حصينة لم يبق منها الآن إلا أطلال =

لارده ، فسباه العدو صغيراً وخصاه ، فوجه المرتضى رسولا إلى الروم[1] فى بعض مآربه ، فاستحسن الرسول عقل الفتى مبشر ونبل ذاته ففداه ، وقدم به على المرتضى فسر به وقربه وأدناه ، فوجد عنده من حسن خدمة الملوك ما تمناه . وكان سامى الهمم ، حميد الشيم ، كثير الفضائل والكرم . فلما نازله العدو ، ذب عن حماه ، ولم يحمد رأيه فى مقارعته إياه ، إلى أن مات رحمه الله . فقام بالأمر من بعده قريبه القائد أبو الربيع سليمان بن لبون[2] ، فحمى جهده حتى غلب عليه وتملك العدو البلد[3] .

وفى خلال ذلك الحصار ، كان ناصر الدولة (أى مبشر الخصى) كتب إلى أمير المسلمين يستصرخه ويستنصره ، ووجه كتابه مع القائد أبى عبد الله ابن ميمون ، وكان إذ ذاك عنده قائد غراب بين يديه . فلم يشعر العدو حتى خرج الغراب[4] معمراً ليلا من دار الصناعة عليه ، فانطلق فى الحين يقفو أثره ، وأتبعه نحو عشرة أميال والظلام قد ستره ، فلما قطع يأسه فى الظفر به ، رجع خاسئاً على عقبه ، فوصل ابن ميمون بالكتاب إلى أمير المسلمين ، فأمر فى الحين ، بتعمير ثلاثمائة قطعة ، وأن تلقى بعد شهر دفعة . فامتثل أمره فى ذلك ، واندفعت بجملتها من هنالك ، وإذ ذاك تعين ابن ميمون عند أمير المسلمين .

أياه

= قليلة مبعثرة . وكانت هذه القلعة فى ذلك الوقت تخضع لنفوذ بنى هود ملوك لاردة وسرقسطة وغيرها من مدن الثغر الأعلى . وظلت هذه القلعة فى أيديهم إلى أن استولى عليها حاكم برشلونة الكونت برنجير الثالث Ramón Berenguer III سنة ١١٢٠ م . راجع :

(Madoz: *Dicc. Geogr.*, tomo VI, pp. 102-103).

(١) لعله يقصد بالروم هنا أمير برشلونه .

(٢) ابن لبون ساقطة فى ا ، ب . وتسميه المصادر المسيحية Burabé وهو تحريف للفظ أبو الربيع . راجع (Álvaro Campaner y Fuertes: *Op. cit.*, p. 110).

(٣) سقطت ميورقة فى ٧ ذى القعدة سنة ٥٠٨ هـ (٣ أبريل سنة ١١١٥ م) وقد أحدث العدو فيها خراباً يجل عن الوصف .

(٤) غراب والجمع أغربة ، سفينة شراعية صغيرة من طبقة واحدة وذات صار أو صارين وتستخدم عادة فى الأغراض العاجلة لسرعتها . وقد انتقلت إلى الأوربية باسم Corvette أو Corvetta راجع :

(Dozy: *Supplement aux Dicc. Arabes*, tome II, p. 205) & (Ali M. Fahmy: *Muslim Sea-Power in the eastern Mediterranean* p. 132-133).

فلما شعر العدو بخروج ذلك الأسطول ، أخلى وصدر عن الجزيرة[1] ، وعينُه بما احتمل من السبي والأموال قريرة . فلما وصل الأسطول ، وجد المدينة خاوية على عروشها محرقة سوداء مظلمة منطبقة . فعمرها قائد الأسطول ابن تاقرطاس[2] ، بمن معه من المرابطين والمجاهدين وأصناف الناس ، وجلب إليها من كان فر عنها إلى الجبال فاستوطنوها وعمروها وسكنوها . وانصرف الأسطول إلى مكانه ، وعاد إلى موضع مقره واستيطانه .

وفى انصراف العدو إلى أوطانه ، هبت عليه ريح ببحار طامية ، فحملت منه أربع قطائع إلى ناحية دانية . فعمر إليها قائد البحر أبو السداد ، ففرت أمامه ، وغرقت واحدة منها قدامه ، وعكس الثلاث[3] .

ولما كثر بالغرب فساد الملثمين[4] ، وانحيازهم عن الدين ، وانطمست[5] آثاره ، واندرست[6] أخباره ، وعفا رسمه ، واستخفى المعروف بشخصه ، وسما[7] المنكر بنفسه ، وأناخ الجور بكلكله ، وضرب الباطل بجرانه ، ولم يراقبوا الله فى عباده كثيراً ولا قليلا ، وصاروا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، إلى أن جاء الله تعالى بالإمام المعصوم المهدى رحمه الله ، فأوضح من الدين معالمه ، وجدَّد منه مراسمه ، وأظهر آياته ، وأشهر بيناته ، حتى عاد كما كان جديداً دون عدد ولا عُدد ، ولا كثرة ولا مدد ، بل قام فيه محتسباً وحيداً خلوا من المال والرجال فريداً . فما زال يركض فى نحى الحق واليقين ، ويجرى على

---

(١) كان ذلك فى سنة ٥٠٩ هـ (١١١٥ — ١١١٦ م) . راجع (ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٦٥ ، ج ٦ ص ٢٤٢) .

(٢) فى م : تافرطاس .

(٣) عكسها هنا يعنى صيرها مراكب إسلامية .

(٤) فى م : المفسدين .

(٥) فى م : وطمست .

(٦) فى م ودرست .

(٧) فى م : وها .

سنن الصحابة والتابعين ، ويأمر بالمعروف الناس أجمعين ، وينهى عن المنكر في كل حين ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يخشى صولة قاعد ولا قائم ، حتى أعاد الله كلمته على رغم المجسمين .

فقام بالأمر بعده عبد المؤمن بن علي[1] ، فأعز الله بقيامه الدين ، وأذل به الكافرين وكانت بينه وبين الملثمين وقائع مشهورة ، وفي الإسلام إلى غاية الدهر مذكورة ، طحنهم فيها أي طحين ، وأباد خضراءهم أجمعين ، واستأصل شأفتهم ، واستباح بيضتهم ، واجتاح ملكهم ، وعجل الله تعالى هلكهم ، وفتح الله له البلاد ، وأدان له العباد ، فملك بلاد الأندلس والمغرب كله ، الأقصى منه والأدنى ، وإفريقية كلها إلى طرابلس . وعمل بالحق في إصداره وإيراده ، وعدل بين عباد الله في بلاده .

ثم قام بعده ابنه أبو يعقوب[2] ، فجرى على سننه القويم ، وسلك سبيله المستقيم ، فأوضح من الدين منهاجه ، وأقام منه اعوجاجه ، وأصبح به الشمل ملتئماً ، والأمر منتظماً ، والصلاح متسقاً ، والباطـل محدوداً ، ورواق الأمر ممدوداً . فحقنت به الدماء ، وسكنت معه الدهماء ، وانقمعت له الأعداء ، وانفقت ببركته الآراء ، وصلحت عليه الأمور ، واتصلت به الجمهور .

ثم قام من بعده ابنه أبو يوسف[3] ، فقام بالحق أكمل قيام ، وأحكمه أحسن إحكام ، وأتقنه وأبرمه أي إبرام . ولم يزل الله تعالى يمنحه في عدو مباين ، ومضاد مشاحن ، ومناوىء مكابر ، وحسود مجاهر من جميل الصنع ، وكفاية المهم والدفع وإظهار الحجة وإعلاء الكلمة ما يزيد به نعمة الله عليه تماماً ، وأياديه لديه انتظاماً والتئاماً . وله الفتوحات الظاهرة ، والآيات الباهرة ، دوخ بلاد الشرك وخرب قصورها ، واستباح معاقلها ، وأظلم ديجورها ، وبدل صوت

---

(١) هو الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الكومي . (٥٢٤ – ٥٥٨ هـ = ١١٣٠ – ١١٦٣م).
(٢) هو الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ — ٥٨٠ هـ = ١١٦٣ — ١١٨٤ م).
(٣) هو الخليفة أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور ٥٨٠ – ٥٩٥ هـ = ١١٨٤ – ١١٩٩م).

النواقيس فيها بالآذان ، وأزال القول بالتثليث عنها وما سواه من عبادة الأوثان بإخلاص الكلمة لله الواحد الرحمن ، فأصبح الدين متصلا ، وعموده معتدلا ، وبراهينهم وفتوحاتهم أعظم من أن تحصى أو تحصر فى كتاب ، بل يضيق عنها كل خطاب ، ولا يبلغ التعبير عن كنهها بإطالة ولا إسهاب . بل هو أمر الله تعالى الذى لا دفع فيه للدافع ، ولا حيلة فيه لزايغ أو ممانع ، لا يضره من خذله مع تطاول الأعوام ، وتقادم الأعصار وتناوب الأيام ، وتعاقب الأدوار . بشرى من الرسول عليه السلام صادقة ، وأحاديث جاءت منه موثقة رائقة . روى مسلم بإسناده إلى نافع بن عتبة قال : « كنا مع رسول الله (صلعم) فى غزوة ، فأتى النبى (صلعم) قوم من قبل المغرب[1] ، عليهم ثياب الصوف ، فواقفوه عند أكمة وذكر الحديث ، وقال فيه ، قال فحفظت عنه أربع كلمات أعدهن فى يدى ، قال تغزون جزيرة العرب ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم فيفتحها الله ، ثم تغزون فارس فيفتحها الله ، ثم تغزون الدَّجال ففتحه الله[2] (كذا).

كملت دولة بنى أمية وما أضيف إليها من أخبار الأندلس والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) هذه العبارة تدل على أسبقية المغاربة فى دخول الإسلام ، وتوجد فى هذا الصدد قصة شائعة على ألسنة الناس فحواها أن سبعة من صلحاء قبيلة رجراجة (بنواحى الصويرة وحاحه فى جنوب غرب المغرب الأقصى) ، وفدوا على رسول الله (صلعم) ، وأسلموا على يديه ، وخاطبوه بلغتهم البربرية ، فأجابهم بها . وهذه القصة قد يبدو فيها الطابع القصصى ، ولكن الغريب فيها هو ظهورها فى أرض رجراجة حيث كان الكفاح مستمراً مع أهل برغواطة المارقين الذين كانو يقيمون بجوارهم فى تامسنا ، والذين كانوا يعتقدون أن نبيهم صالح بن طريف مبعوث إليهم بلسانهم ، وأن محمداً (صلعم) عربى اللسان مبعوث إلى قومه العرب ! . فهل كان هؤلاء الرجراجيون المجاهدون ، يريدون من وراء هذه القصة ، الرد على برغواطة بأن الرسول مبعوث إلى كافة المسلمين على اختلاف أجناسهم بدليل أنه خاطبهم بلسانهم ! ؟

(٢) هذه العبارة وردت مضطربة فى الأصل ، وتقرأ فى بعض النسخ : ثم تغزون الرجال فيفتحها الله.

النص الثانى

قطعة فى وصف الأندلس وصقلية
من كتاب صلة السمط وسمة المرط لابن الشباط

ذكر فتح بلاد الأندلس(١)

اعلم أنه لا بد من تقديم وصفها بعد ذكر حدِّها وسبب تسميتها بالأندلس . أما حدُّها فقال صاحب(٢) كتاب نزهة النفوس هى على شكل مثلث ذى أركان ، قد أحاط البحر بهـا إلاّ يسيراً ، وهى آخذة فى الطول من البحر الغربى [حيث] مدينة اشكونية(٣) [إلى] ترّكونه(٤) وبرشلونه من شرق الأندلس وهناك باب الأندلس المفضى إلى الأرض الكبيرة(٥) ، ومسافة ما بين البحرين

(١) سبق أن ذكرنا فى المقدمة أن ابن الشباط قد علق على هذا النص وشرح مفرداته بعد الانتهاء من سرده . ولهذا نقتصر هنا فى تعليقاتنا على شرح المفردات التى لم ترد فى شروح المؤلف راجين من القارىء أن يرجع إلى تعليقات المؤلف المثبتة فى آخر هذا النص .

(٢) راجع مقدمة هذا الكتاب ص ١٥ .

(٣) كذا فى الأصل وأحياناً تكتب اكشونيه ، وفى المصادر المسيحية Ossonoba ، وهى مدينة مندرسة ، ويقدر علماء الآثار أن مكانهـا الآن بين مدينة فارو Faro الحالية وآثار مدينة Estoi على الساحل الغربى للبرتغال .

(٤) هى حالياً Tarragona

(٥) المقصود بها فرنسا وكانت تسمى فى العصر الوسيط بنفس الاسم Tere Majur وقد وردت تلك التسمية فى أنشودة رولان الفرنسية المشهورة ، (راجع المقدمة ص ٢٠) .

هناك نحو اليومين وهى آخذة فى عرض الإقليمين الخامس والسادس ومن البحر الشامى فى الجنوب إلى البحر المحيط فى الشمال .

وذكر صاحب كتاب[1] المعرب عن محاسن أهل المغرب أنها من أربونة[2] الى أشبونة[3] ، قال هذا طولها من شرق إلى غرب ، وهو قطع ستين يوما للفارس المجد ، وفى العرض من الشمال إلى الجنوب أربعون يوماً من غليسية[4] إلى المرية[5] ، لا يتزوّد أحد فيها ماء حيث سلك ، ولأيّة قصد ، لكثرة أنهارها ، وعيونها وآبارها . وربما لقى المسافر | ١٥١ | فيها فى اليوم الواحد أربع مداين ، ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى ، ببطاح خضر وقصور بيض ، وأغصان نِعَم يفرخ الإحسان فيها ويبيض ، وظلال تغنى عن التفىّء بالخيام ، وسيأتى عند ذكر وصفها ما قاله غير هذين فى حدّها .

وأما سبب تسميتها ، فذكر ابن أبى الفياض[6] أنه قرأ فيما ترجم الناس من تواريخ الأمم ، وما نسبوا عِلْمه إلى الخراين (كذا) ، أن أول مَن دخل جزيرة الأندلس وملكها بعد قصة الطوفان من أيام نوح عليه السلام قوم يقال لهم الأنْدَلُس[7] ، ملكوها مدة من الدهر وبهم سميت الأندلس ، وذكر أنهم كانوا مجوساً .

---

(١) راجع المقدمة ص ١٤ (٢) Narbonne فى أقصى جنوب شرق فرنسا .

(٣) Lisboa عاصمة البرتغال حاليـــاً وتقع على ساحل المحيط الأطلسى عند مصب نهر التاجو ، ويكتب اسمها بالعربية أشبونه ولشبونه . ومنهـــا كان خروج الفتية المغررين أو المغربين فى المحيط ، ونزولهم فى جزر الخالدات التى تسمى حالياً كنارياس Canarias . وقد أورد قصتهم الشريف الإدريسى ثم رواها من بعده بعض المؤرخين أمثال (الحميرى : الروض المعطار ص ١٦ والترجمة الفرنسية ص ٢٢) . وانظر : حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس (مدريد ١٩٦٧) ٢٧٥ – ٢٧٩

(٤) Galicia فى شمال غرب اسبانيا .

(٥) Almería فى جنوب شرق اسبانيا .

(٦) راجع المقدمة ص ١٤

(٧) يقصد بذلك قبائـــل الوندال أو الوندالوس الجرمانية التى عبرت جبال البرتات Pirineos وهاجمت شبه جزيرة ايبيريا واستقرت فى سهولهـــا الجنوبية فى أوائل القرن الخامس الميلادى –

وأما وصفها : فقال البكرى[1] رحمه الله : الأندلس شامية فى طيبها وهوائها ، يمانية فى اعتدالها واستوائها ، هندية فى عطرها وذكائها ، أهوازية فى عِظَم جباياتها ، صينية فى جواهر معادنها ، عدنية فى منافع سواحلها . فيها آثار عظيمة لليونانيين[2] وقال صاحب اختصار[3] اقتباس الأنوار ، الأندلس فى آخر الإقليم الرابع إلى الغرب ، هذا قول الرازى أحمد بن محمد بن موسى ابن لقيط الكاتب[4] . وقال القاضى أبو القاسم صاعد[5] بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد بن عثمان بن وثيق الثعابى[6] فى تأليفه فى طبقات الأمم ، أن معظم الأندلس فى الإقليم الخامس وطائفة منها فى الإقليم الرابع كإشبيليه ، ومالقه ، وقُرطبة ، وغَرناطه ، والمَرية ، ومُرسية . الأندلس بقعة كريمة طيبة التربة كثيرة المياه ، غزيرة الأنهار ، قليلة الهوام ذوات السموم ، معتدلة الهواء ، كثيرة الفواكه تكاد تدوم كل الأزمنة ، لأن الساحل [و] نواحيه يتبادر ، وما بعد عن الساحل واتصل بالثغر وجهاته لبرد الهواء هناك

= (٤٠٩ م) . ومنذ ذلك الوقت صارت تلك المنطقة الجنوبية تعرف باسم واندالوسيا ، على أن هؤلاء الوندال لم يستقروا طويلا فى اسبانيا ، إذ اضطروا أمام ضغط قبائل القوط الجرمانية Visigodos إلى الهجرة إلى المغرب بقيادة ملكهم جنسريك والاستيلاء على الجزائر وتونس سنة ٤٣٩ م . ولقد انتهى حكم الوندال فى المغرب سنة ٥٣٣ م على يد القائد البيزنطى بلزاريوس Belizarios على عهد الامبراطور جستنيان . على أن المهم هنا أن العرب حينما استولوا على اسبانيا سنة ٧١١ م ، عربوا اسم أندالوسيا إلى أندلس وأطلقوه على جميع البلاد التى خضعت للحكم الاسلامى فى شبه جزيرة إيبيريا . أما لفظ اسبانيا فقد كان المراد به شبه جزيرة إيبيريا كلها بما فى ذلك الأراضى الاسلامية والمسيحية على السواء . وما زال لفظ أندالوسيا يطلق اليوم على المنطقة الجنوبية الاسبانية .

(١) راجع مقدمة هذا الكتاب ص ١٥

(٢) لم يرد هذا النص فى نسخة البكرى التى لدينا ، وقد أورد الحميرى هذا الوصف دون أن ينسبه إلى البكرى . راجع (الروض المعطار ص ٣ ، نشر ليفى بروفنسال) .

(٣) راجع المقدمة ص ١٢

(٤) راجع المقدمة ص ١٧

(٥) هو قاضى طليطلة المعروف بصاعد الأندلسى المتوفى سنة ٤٦٢ هـ وكتابه منشور ومعروف باسم طبقات الأمم . (مطبعة السعادة بالقاهرة) .

(٦) فى مقدمة الكتاب المنشور وردت : التغلبى .

يتأخر ، فالخيرات فيها دائمة ، والفواكه غير منقطعة . ولها المدن الكثيرة العظيمة ، والمعاقل الحصينة المنيعة ، وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والزئبق والزنجفور واللازورد والشب والتوتيا والزاج والطفل . ويوجد فيها الكهربا والمَهَا[1] ، وفى بحرها البَسَد[2] ، ويخرج منه فى جهة الغرب العَنْبَر[3] . قال القاضى أبو القاسم صاعد[4] : أما حدود الأندلس فإن حدَّها الجنوبى منها ، الخليج الرومى ما يقابل طنجة فى موضع يعرف بالزقاق[5] سِعَتُه إثنا عشر ميلا ، ثم ينتهى إلى مدينة صور من مدائن الشام . وحداها الشمالى والغربى البحر[6] الأعظم أُقيانُس[7] المعروف عندنا ببحر الظُّلمة ، وحدها الشرقى الجبل الذى فيه هيكل الزهرة[8] الواصل بين البحرين بحر الروم والبحر الأعظم ، ومسافة ما بين البحرين فى هذا الجبل ثلاث مراحل[9] ، وهو الحد الأصغر من حدود الأندلس . وحدَّاها الأكبران الجنوبى والشمالى ، ومسافة كل واحد منهما نحو من ثلاثين مرحلة ، ومسافة حدها الغربى نحو من عشرين مرحلة ، ووسط الأندلس مدينة طليطلة العتيقة التى كانت قاعدة القوط . قال والجبل الذى فيه هيكل الزهرة الذى هو الحد الشرقى من [١٥١ ب] الأندلس

---

(١) المها جمع مهاة ومن معانيها الشمس والبقرة الوحشية والبلوره ؛ ولعل المعنى الأخير هو المقصود هنا فى المتن .

(٢) البسد : المرجان .

(٣) العنبر طيب ، وهو مادة صلبة لا طعم لها ولا رائحة إلا إذا سحقت أو أحرقت فإنه حينئذ ينبعث منها رائحة ذكية . وقيل العنبر روث بعض الحيتان البحرية أو نبات ينبت فى البحر أو نبع عين فى البحر .

(٤) راجع (صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٩٨) .

(٥) يقصد مضيق جبل طارق .

(٦) البحر ساقطة فى كتاب طبقات الأمم المنشور .

(٧) Océano ومعناها المحيط والمقصود هنا المحيط الأطلسى أو الأطلنطى وكان العرب يسمونه ببحر الظلمة أو الظلمات .

(٨) يقصد جبال البرت أو البرتات Pirineos التى تفصل اسبانيا عن فرنسا .

(٩) جمع مرحلة والمقصود بها المسافة التى كان يقطعها المسافر فى يوم .

هو الحاجز ما بين الأندلس وبين بلاد افرنسة من الأرض الكبيرة التى هى بلاد افرنجة العظمى . والأندلس آخر المعمور فى المغرب لأنها المنتهية إلى بحر أقيانُس الأعظم الذى لا عمارة وراءه . ذكر أن أول من احتل الأندلس واختطّها بنو طوبال بن يافت بن نوح وهم قبيلة الأصبهانيين الذين يُعرفون بالاشبانيين ، سكنوا الأندلس فى أول الزمان ، ويذكر أن عدة ملوكهم مائة وخمسون ملكا .

وأما فتحها ، فقال فى اختصار اقتباس الأنوار ، أول من غزاها أبو زرعة طريف مولى موسى بن نصير وذلك فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين من تاريخ الهجرة . وفى سنة اثنين وتسعين جاز إليها طارق بن زياد مولى موسى ابن نصير ، فلقى ملكها رُذْريق فهزمه طارق وفتح فيها فتوحات كثيرة .

وفى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين جاز إليها موسى بن نصير البكرى عاملا لأمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان رحمه الله على افريقية وما وراءها من ثغور المغرب . واستعمل موسى مولاه طارق بن زياد بن عبد الله على طنجة وبلاد البربر ، وقد قيل إن طارقا كان مولى لصدف[1] وهو من البربر من قبيل نَفْزَة . وكان ملك الأندلس يومئذ رُذْريق ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، غير أنه كان شجاعاً قد بَعُدَ صوته وطال ذكره فى النصرانية .

قال الفقيه أبو مروان عبد الملك بن أبى القاسم بن محمد بن الكردبوس التوزرى رحمه الله فى كتاب الاكتفاء[2] : وكانت دار مملكته طليطلة وكان فيها بيت عليه اقفال فكل ملك منهم يلِى الملك يزيد قفلا على ذلك البيت ولم يفتحه قطّ ملك منهم ، ولا علم ما فيه حتى انتهت الاقفال إلى عشرين . فلما رآى رذريق هذا قال لابد أن افتح هذا الباب حتى أعرف ما فيه فقال

---

(١) راجع تعليق ابن الشباط على قبيلة الصدف في شروحه التى كتبها فى آخر هذا النص .

(٢) راجع المقدمة والنص الأول ص ٣٦

له اقامِطَتُه وأَقِسَّتُه لا تفعل ولا تحدث ما لم يحدثه من تقدّمك من الملوك ، فقال لابد لى من فتحه والوقوف على ما فيه . ففتحه فلم يجد فيه شيئاً غير رَقّ (١) كبير فيه صورة رجال عليهم العمائم وتحتهم صُوَرَ خيول مُسَوَّمة ، وفى أيديهم السيوف والرايات على القنى بين أيديهم ، وفيه مكتوب بالعجمية هذه صورة العرب ، فإذا فُتحت اقفالُ هذا البيت ، ودُخل البيت ، فَتَحت العرب هذه الجزيرة وتملكوا أكثرها ، فندم على فتحه وأغلقه ، وهيهات إلا أن يكون ما يريد الله وما سبق فى عِلمه عز وجل . هذا ما ذكره الفقيه أبو مروان رحمه الله ، ونحوه ذكره غيره أيضاً .

وذكر ابن أبى الفياض أنه لم يجد فى البيت شيئاً غير تابوت عليه نسج العنكبوت ، وفى العنكبوت شقة مربعة طولها كعرضها نظيفة رقيقة لطيفة فيها تصاوير رجال فرسان مُعَمَّمين مُتقلِّدين سيوفاً ، وممسكين قِسِيّاً ، لهم رايات مرفوعة تحتها آثار مكتوبة يصف بها أن العرب يدخلون جزيرة الأندلس ، فيأخذونها ويملكونها ، وفيها سطور : إذا رأيت أقفال هذا البيت مكسورة ، ورأيت هذه الشقة منسدرة ، ورأيت هذه الصورة مسهورة (كذا) ، فملكُ أهلها ظاهر ، وأمرهم قاهر . فلما قرأ الروم تلك الآثار واطلعوا على تلك الصور ، أيقنوا بالهلاك ويئسوا من [١٥٢ ا] الجزيرة ، وعلموا أنهم خارجون عنها ، وغير باقين فيها .

وذكر صاحب كتاب المعرب على محاسن أهل المغرب ، أنه كان بقصر الملك داماس تحت الأرض ، فيه صور من المرمر تشتمل العباء والشمال متعممة بالعمائم ، وقبل دخول الجزيرة ، حفروا موضعاً لأمر ما ، فوجدوا الصور ، [وكان] بطليطلة فيلسوف من الروم وكان عالماً بتواريخهم وسيرهم ، فسألوه

---

(١) الرق ، بفتح الراء ، جلد رقيق يكتب فيه .

عنها ، فقال : ظهور هذه الصور يدل على ظهور قوم لباسهم هذا الزى ، ولابد لهم من الحلول بمحالها[1] .

قال ابن أبى الفياض : وكانت بجهة جبل طارق عجوز من الروم مُسِنَّة تدعى علماً من علم الأعاجم ، وتقول إن الذى يأخذ الأندلس شيخ ذو طلعة كذا وكذا ، فبعث فيها طارق ، فلما وصلت إليه حكت له ذلك ، وأعلمت من صفاته أن هذا الشيخ الذى يأخذها فى كتفه اليسرى شامة ، فانكشف لها طارق ، وعرض عليها شامة فى كتفه اليسرى كما ذكرت قبل ، وأيقنت بالفتح فمرت وأنذرت به أهلها وأهل بلدها .

قال فى مختصر تاريخ الطبرى رحمه الله ، وكان له — يعنى لذريق — على مجاز الأندلس بمدينة يقال لها خضراء[2] مما يلى طنجة ، علج يعرف [بـ] يليان[3] ، وكان معاديا للذريق كارهاً له ، فلقى يليان طارق بن زياد بطنجة ،

---

(١) راجع وصف هذا البيت المعروف ببيت الحكمة فى (المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٢٣٠)

(٢) لا شك أن المقصود هنا بالخضراء هو الجزيرة الخضراء Algeciras التى تقابل طنجة على الضفة المقابلة للمضيق . وعلى هذا الأساس يفهم من المتن ، أن يوليان كان حاكما أيضاً على إقليم الجزيرة إلى جانب حكمه لمنطقة طنجة . وقد وردت هذه الرواية أيضاً فى بعض المراجع الأخرى مثل كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس لابن عبد الحكيم . على أن بعض المؤرخين المحدثين عارضوا هذه الرواية وقالوا بأنها لو صحت لكان من السهل على طارق أن ينزل مع حليفه يوليان فى ميناء الجزيرة رأساً بدلا من ارتكاب المصاعب والنزول فى تلك المنطقة الوعرة من صخور جبل طارق . كذلك أشاروا إلى المفاوضات التى دارت قبل ذلك بين يوليان وعقبة بن نافع حول إمكانية الهجوم على الجزيرة ، فلو كانت هذه الساحة من ممتلكات يوليان ، لما دارت بينهما مثل هذه المفاوضات .

راجع على سبيل المثال (Saavedra: Op. cit. p. 52)

(٣) أغلب الظن أن أصل هذا الاسم هو Julian وقد نقله الكتاب العرب بصور مختلفة : ففى ابن الأثير : يوليان ، وفى أخبار مجموعة : يليـان ، وفى فتح الأندلس : وليان ، وفى ابن خلدون : يليان ، وفى البكرى وابن الفرضى والضبى : إليان والبان . كذلك اختلف المؤرخون حول جنسية هذا الحاكم ، فالبعض يراه قوطياً اسبانياً والبعض الآخر يراه بيزنطياً وفريق ثالث يرى أنه بربرى مغربى .

راجع : (Osvaldo A. Machado: *Los nombres del llamado Conde don Julián;* Cuadernos de Historia de España, III, 1945, p. 106-116 & R. Dozy: *Le Comte Julien;* Recherches sur l'Histoire et la Litterature de l'Espagne, t. I, p. 62-63 (3 ed. 1881).

راجع عن هذه الحوادث والشخصيات : فجر الأندلس للدكتور حسين مؤنس (القاهرة ١٩٥٩) .

ووعده بأن يدخله وجنوده الأندلس ، فرغب طارق فى ذلك ، فسارع إليه وندب الناس إلى الجهاد معه ، فاجتمع إليه نحو من اثنى عشر ألف مقاتل من البربر ، ليس فيهم من العرب إلا نفر يسير ، وهيأ له يليان المراكب ، فأجاز طارقاً ورجاله فوجاً فوجاً ، ثم جاز بعدهم حتى توافوا فى الجزيرة فى جبل من جبال الأندلس حريز منيع سمى بجبل طارق إلى اليوم ، وكان احتلال الجيش بهذا الجبل يوم السبت فى شعبان سنة اثنين وتسعين ، فلما بلغ لذريق حلول طارق الأندلس ، حشد أهل مملكته وخرج من قصر قرطبة إلى ناحية الجزيرة على سرير الملك بين بغلين يحملانه وعلى لذريق تاجه وقفازاته وجميع الحلة التى كانت الملوك تلبسها قبله ، والحشود تتوافى حتى نزل وادى لكة[1] من كورة شذونة ، وقدم على ميمنته وميسرته ابنى[2] ملك الأندلس قبله ، وكانا من بيت المملكة ، فتراودا[3] على الانهزام بالميمنة والميسرة عند التقاء لذريق بجيش المسلمين ، وقالا إن هؤلاء الداخلين إلينا ليس شأنهم استيطان بلدنا ، وإنما يريدون إصابة غنائم يرجعون بها إلى بلادهم ، ولعل الذى غلبنا على ملك أبينا إذا صلى الحرب بنفسه أن يهلك ويرجع إلينا ملكنا . ثم زحف طارق بجميع أصحابه حتى نزل قريباً من عسكر لذريق فتلاقوا يوم الأحد لانسلاخ

---

(١) لكة Lakko ورد وصفها فى الروض المعطـار (ص ١٦٩ والترجمة الفرنسية ص ٢٠٤) على أنها كانت مدينة قديمـة بالأندلس من كورة شذونة Sidonia فى جنوب غرب اسبانيا ولعلها المدينة المسماة الآن Bolonia على ساحل البحر بين بلدة طريف Tarifa ونهر البرباط Rio Barbate . أما وادى لكة فلعله وادى البرباط السالف الذكر أو لعله النهر المعروف الآن باسم Guadalete وقد كتبته بعض المصادر المسيحية Guadaleque كما كان ينطقه العرب قديماً . راجع (حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ٧١).

(٢) أورد اسمها صاحب أخبار مجموعة ص ٨ حيث يقول : ولى ششبرت Sisberto ميمنته ، وأبه Oppa أو Oppas ميسرته وهما أبناء الملك غيطيشه Witiza الذى كان ملكاً قبل رذريق ، وهما رأس من أدار عليه الانهزام .

راجع كذلك (Saavedra: Op. cit. p. 31-33) الذى يرجح أنهما أخواه وليسا من أبنائه . انظر كذلك : (حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ٧٤) .

(٣) فى الأصل ، فتوارا ولعل صحتها فتراودا أو فتواعدا .

شهر رمضان[1] ، فاقتتل المسلمون والمشركون ثمانية أيام قتالا شديداً ، وصبر الفريقان جميعاً صبراً عظيما ، ثم أنزل الله عز وجل نصره على المسلمين ، فانهزم أبناء الملك بأهل الميمنة وأهل الميسرة من عسكر لذريق ، فقتل العجم قتلا ذريعاً ، وقتل أبناء الملك ولم يغن عنهما كيدهما ، وأفلت لذريق إلى موضع يقال له السواقى[2] ، فيقال أنه قتل وهو لا يعرف وقيل | ١٥٢ ب | أيضاً أنه أراد الاستتار بسمار الوادى فغرق فيه وهلك ، ووُجد فى ذلك المكان خُفٌّ منظوم بالدر والياقوت قد سقط من رجله ، وأصاب المسلمون من السبى مالا عهد لهم بمثله . وكان يعرف أشراف العجم فى القتلى بخواتيم الذهب توجد فى أصابعهم ، ومن دونهم بخواتيم الفضة ، والعبيد وأمثالهم بخواتيم الصفر[3] . وكانت الوقيعة على المشركين يوم الأحد لسبع خلون من شوال ، وليومين مضيا من تشرين الأول . وجمع طارق الغنائم ، فأخذ منها الخمس ، وقسّم غيرها على تسعة آلاف سوى العبيد ، ثم تقدم طارق حتى نزل بأهل مدينة شذونة .

وصف مدينة شذونه[4] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : كورة شذونه متصلة بكورة مَوْرور ، منحرفة إلى القبلة ، وهى من قرطبة فى الغرب مائلة إلى القبلة قليلا ، وهى كورة شريفة جامعة لخير البر وبركة البحر . وبها كانت الهزيمة على رذريق ،

---

(١) فى الروض المعطار ص ١٦٩ يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان لسنة ٩٢ من الهجرة واتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعده .

(٢) وردت هذه الكلمة فى كتاب فتح الأندلس لمؤلف مجهول : على شكل « السوانى » فى نسخة و « السواقى » فى نسخة أخرى . وقد نشر هذا الكتاب مع ترجمة إسبانية ، المستشرق الاسبانى خواكين جونثالث (الجزائر سنة ١٨٨٦) . راجع (مقدمة هذا الكتاب ص ٢١) .

(٣) هذا الوصف ورد فى الروض المعطار (ص ١٦٩ – ١٧٠) على اعتبار حدوثه فى وادى لكه .

(٤) راجع ما قيل حول شذونة فى آخر مقدمة هذا الكتاب .

وفيها نهر برباط كانت الأندلس قد قحطت سبعة أعوام ، كانت الأعوام الستة تمطر فى بعض الأحيان وينزل المطر فيخص بعض المواقع ، وكان العام السابع عاما تمادى قحطه فلم يمطر ، فلجأ عامة أهل الأندلس واحتلوا واديها نهر برباط سنة ست وثلاثين ومائة ، فسميت تلك السنة سنة برباط[1] .

كان منها جماعة من العلماء منهم عتاب بن هارون بن عتاب بن بشر الغافقي[2] ، [يكنى أبا أيوب] ، روى عن أبيه وغيره ، وسمع بمكة من أبى بكر محمد بن أحمد بن موسى الانماطى ، وأبى حفص الجمحى ، وأبى محمد الطوسى ، وأبى الحسن الخزاعى ، وروى بمصر عن أبى بكر بن الحداد التنيسى[3]

---

(١) أشار ابن عذارى إلى هذه المحنة بقوله : « ونهر برباط Rio Barbate هو النهر الذى بشذونه ، ولجأ إليه أهل الأندلس فى بعض سنى المحل وهى المعروفة بسنى برباط ، فحمل الناس وأصابهم خصبه » . كذلك يقول فى موضع آخر : « ثم اتبع الله الأندلس بالوباء والموت والمجاعة فى السنة الثانية (١٣٢ هـ) حتى كاد الخلق أن ينقرض منهــا » . وقوله : « وفى سنة ١٣١ هـ أمحلت الأندلس وعم المحل وتمادى إلى سنة ١٣٦هـ» . راجع (ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٣٧ — ٣٨، ١١٨).
هذا ويشير المؤرخون إلى أنه نتيجة لهــذا القحط والجفاف ، هاجر عدد كبير من بربر الأندلس إلى طنجة والعرائش وغيرها من بلاد العدوة المغربية . راجع (كتاب أخبار مجموعة ص ٦٢ ، الروض المعطار ص ١٠٠) راجع (فجر الأندلس ، ٢٤٥ — ٢٤٧) وكذلك :
Lévi-Provençal: *L'Espagne musulmane* aux X^e siecle p. 14 & Pascual de Gayangos: *Memoria sobre la autenticidad de la Crónica denominada del moro Rasis*, p. 58 nota 2.

(٢) راجع ترجمة عتاب بن هارون فى (الضبى : بغية الملتمس رقم ١٢٦٣) كذلك ترجم له ابن الفرضى ودرس عليه ، وفى ذلك يقول : ورحلت إليه إلى شذونه وقرأت عليه كثيراً . انظر (ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٨٨٦) .

(٣) التنيسى : كذا فى الأصل والشرح وكذلك فى (ابن الفرضى : تاريخ علمـاء الأندلس رقم ٨٨٦) أما الضبى فقد أورده هكذا : التنسى (بغية الملتمس رقم ١٢٦٣) وواضح أن القراءة الأولى نسبة إلى جزيرة تنيس وهى مدينة مصرية قديمة بجوار دمياط كانت لهـــا شهرة كبيرة فى عالم التجارة والصناعة راجع (ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤١٩) . أما القراءة الثانية فنسبة إلى مدينة تنس Tenes وهى مرسى صغيرة غربى مدينة الجزائر وينسب إليها علماء مشهورون . راجع (ابن الخطيب : أعمال الأعــلام (الجزء الثالث الخاص بالمغرب نشر أحمد مختار العبادى وابراهيم الكتانى) ص ١٥٦ حاشية ٣) . وأغلب الظن أن القراءة الأولى التى فى المتن وهى تنيس المصرية هى الصحيحة على أساس أن العالم المشار إليه مصرى .

وغيره ، كان حافظاً للرأى على مذهب مالك وأصحابه ، حسن النظر فيه ، وكان يقال إنه مجاب الدعوة . ولد فى شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وتوفى رحمه الله ليلة السبت لأربع بقين من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

فتحها : قال فحاصرهم حصاراً طويلا ثم احتال حتى أوقد النار فى زروع كانت لهم داخل المدينة ، وحول البيوت ، فالتهبت الزروع وذهب كثير من أهل المدينة فى النار ، وأتى على سائرهم القتل ، ثم تقدم إلى كورة مورور .

وصف مُورُور[1] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : كورة مورور متصلة بأحواز كورة قرمونة منحرفة إلى جهة القبلة ، وهى من قرطبة بين المغرب[2] والقبلة ، ينسب إليها جماعة ، منهم أبو الحسن على بن درام بن خلف بن جعفر الحضرمى الموروري ، سمع بمكة من بكير الحداد ، والخزاعى وغيرهما من شيوخ مكة ومصر . وكان رجلا عاقلا صالحاً فقيهاً | ١٥٣ ا | كثير الخير والمعروف . توفى لست بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، ذكر ذلك ابن الفرضى .

فتحها : قال فافتتحها وعطف إلى مدينة قرمونة يقتل ويغنم ، وقد قذف الله عز وجل الرعب فى قلوب الأعاجم ، فلا يلتفت أحد منهم إلى شىء سوى الهرب والفرار .

(١) هى الآن بلدة صغيرة فى جنوب غرب قرمونه وتسمى Morón de la Frontera وتدخل فى نطاق محافظة اشبيلية . راجع مادة Morón فى دائرة المعارف الإسلامية (النسخة الفرنسية ج ٣ ص ٦٤٧ وما بها من مراجع) .

(٢) وردت كذلك فى (الحميرى : الروض المعطار ص ١٨٨) أما ياقوت (معجم البلدان ج ٨ ص ١٩٣) فيذكرها : الغرب .

وصف قَرْمُونَة[1] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : قرمونة مدينة بالأندلس ، شرق من اشبيلية وغرب من قرطبة ، وهى مدينة قديمة ينسب إليها جماعة منهم : خطّاب بنُ مَسْلَمَة[2] بن محمد بن سعيد الأيادى القرمونى ، يكنى أبا المغيرة ، سكن قرطبة ، سمع من محمد بن عمر بن لبابة ، وأسلم بن عبد العزيز ، وقاسم ابن أصبغ ، وأحمد بن مالك وغيرهم . وذكر أنه رحل إلى المشرق ، فحج سنة اثنين وثلاثين ، وذكر سماعه من جماعة ، منهم : ابن الأعرابى ، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن النحاس ، وعبد الله بن جعفر الورد ، ومحمد بن أيوب الصموت وغيرهم . قال وكان حافظاً للرأى ، بصيراً بالنحو والغريب ، نبيلا زاهداً فاضلا مجاب الدعوة ، سمع منه الناس كثيراً . ولد سنة أربع وتسعين ومايتين وتوفى رحمه الله يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شوال سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل . قال ثم تقدم طارق إلى اشبيلية .

وصف إشبيليه[3] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : اشبيلية من أعظم مدن الأندلس ولها كورة جليلة ، وهى مطلة على النهر الهابط إليها من قرطبة ، ويدخل إليه المدّ

---

(١) بالإسبانية Carmona وهى الآن مركز إدارى فى مقاطعة اشبيلية راجع وصفها فى (الحميرى : الروض المعطار ص ١٥٨ (والترجمة ص ١٩٠) وكذلك مادة Carmona فى دائرة المعارف الاسلامية النسخة الفرنسية جـ ١ ص ٨٤٩) .

(٢) خطـاب بن مسلمة بن محمد بن سعيد بن بترى بن اسماعيل بن سليمان بن منتقم بن اسماعيل ابن عبد الله الأيارى . راجع ترجمته فى (ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٤٠٢) .

(٣) راجع وصف اشبيلية فى (الحميرى : الروض المعطار ص ١٨ والترجمة ص ٢٤) .

والجزر ، وهو واد عظيم تدخل فيه السفن الكبار ، ومن اشبيلية إلى الحلق[1] [حيث] مصب الوادى فى البحر ، ستين ميلا فهى لذلك برية بحرية ، ولها النظر الواسع والفوائد الجمة ، والغلات الكثيرة وغربيها الشَّرَف[2] ، أشرف بقعة وأكرم تربة ، وهو عظيم المساحة ، جليل فى كثرة فوائده .

واشبيلية سميت[3] باشبان بن طيطش من نسل طوبال ، كان أحد الأملاك الإشبانيين[4] وخُصّ بملكِ أكثر الدنيا ، وأن بدأ ظهوره كان من اشبيلية ، وعظم أمره ، وبعد اسمه ، وتمكن من كل ناحية سلطانه . فلما ملك نواحى الأندلس ، وطاعت له أقاصيها ، خرج فى السفن من اشبيلية إلى إيلياء[5] فغنمها وهدمها وقتل مائة ألف من اليهود ، وسبعمائة ألف ، وفرق فى الآفاق مائة ألف ، ونقل رخامها إلى اشبيلية ، وماردة ، وباجة ، وأنه صاحب المائدة[6] وصاحب الحجر الذى ألقى بماردة ، وصاحب قليلة الجوهر التى كانت بماردة أيضاً ، ذكر ذلك أحمد بن محمد الرازى[7] . ورأيت لبعض المؤرخين أن مدينة اشبيلية تسمى اشمالى[8] معناه المدينة المنبسطة .

---

(١) الحلق تعطى معنى ممر ضيق بين جبلين أو خليج أو مصب نهر . راجع :
(Dozy: *Supplément aux dictionnaires Arabes*, I, p. 316).

(٢) هو جبل الشرف Ajarafe ، وقد اشتهر بكثرة ما به من أشجار الزيتون حتى قيل إنه لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف واشتباك غصونه . كذلك اشتهر بصناعة عصير الزيت المترتبة على هذا الانتاج . راجع (الروض المعطار ص ١٠١) .

(٣) هذه القطعة التالية وردت فى البكرى (المسالك والممالك نسخة الزاوية الناصرية بالمغرب ورقة ٢٢٠ — ٢٢١) ولعله نقلها عن الرازى .

(٤) فى البكرى : أحد الاشبيليين .

(٥) المقصود بإيلياء بيت المقدس .

(٦) فى البكرى المائدة التى ألفيت بطليطلة .

(٧) اسم الرازى ساقط فى رواية البكرى .

(٨) لعلها اشبالى وهى تحريف للتسمية الفينيقية القديمة Hispalis ومعناها الأرض المنبسطة . راجع (العذرى : المسالك إلى جميع الممالك ، نشر عبد العزيز الاهوانى ص ٩٥ حاشية ٢) .

نسب إليها جماعة من الرواة وحملة العلم ، وذكر منهم : أبا عمر أحمد بن عبد الملك[1] بن هشام واثنى عليه كثيراً . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

فتحها : قال فصالحها أهلهــا على اعطاء الجزية وشرط عليهم اخراب غربى القصر ، ثم تقدم إلى استجه فمر بعين وشرب منها فهي |١٥٣ ب| تعرف بالنسبة إليه ، ونزل بوَلَجَة[2] استجة .

وصف اسْتِجَّة[3] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : وكورة استجة من كور الأندلس بين الغرب والقبلة من قرطبة . ومدينة استجة قديمة أولية ، كريمة الأرض منفسحة

(١) أورد ابن الشباط ترجمة مختصرة لأبى عمر الاشبيلى فى تعليقاته فى نهاية هذا النص .

(٢) ولجة ، بفتح الواو واللام والجيم ، والجمع ولجات ، شرحها دوزى فى معجمه على أنها تعريب للكلمة الاسبانية ورته Huerta ومعناها البساتين والجنــان التى حول المدينة . غير أن دوزى فى نفس الوقت أعطــانا تفسيراً آخر أقرب إلى الصحة نقله عن العالم الفرنسى بوسيير Beaussier ، وهى الأرض الواقعة بين منعطفات الأنهار (recodo del rio) بحيث تصبح كالجزيرة محاطة بالمياه من معظم نواحيها .
راجع : Dozy: *Supplement aux Dictionnaires arabes*, tome II, p. 839.
ولعل هذه الصفة الأخيرة للولجة كانت سبباً استراتيجياً جعل الجيوش الاسلامية تختار هذه الولجات لاقامة معسكراتها فيها كما هو واضح فى المتن من نزول طــارق بجيوشه فى ولجة استجه . ولقد أطلق المسلمون اسم ولجه على مواضع كثيرة من بلادهم شرقاً وغرباً . ومثال ذلك قول ياقوت (معجم البلدان ج ٨ ص ٤٣٣) : الولجة بأرض كسكر (واسط فيما بعد) موضع مما يلى البر واقع فيه خالد بن الوليد جيش الفرس فهزمهم فى صفر سنة ١٢ هـ ، وقال القعقاع بن عمرو :

ولم أر قوماً مثل قوم رأيتهم   على ولجــات البر أحمى وأنجبا

والولجة ناحية بالمغرب من أعمال تاهرت ، والولجة موضع بأرض العراق عن يسار القاصد إلى مكة من القادسية ، وكان بين الولجة والقادسية فيض من فيوض مياه الفرات . كذلك أطلقت كلمة ولجة فى الأندلس على أماكن نهرية عديدة بالقرب من مرسية واشبيلية وغرناطة واستجه . . . الخ وقد جمعها وشرحها أستاذنا إلياس تيريس سادابا فى بحثه عن بلنسية الذى ألقاه فى الدورة الرابعة للجلسات العلمية الأندلسية فى بلنسية سنة ١٩٦٥

(٣) استجه Écija واسمهــا القديم Astiggi ، وتقع على نهر شنيل Genil ، وهى الآن مركز إدارى فى محافظة اشبيلية . راجع (الروض المعطار ص ١٤ والترجمة الفرنسية ص ٢٠) .

البطحاء ، ابتنيت على نهر سنجل[1] وهو النهر المنبعث من ذوب الثلج ويصب في نهر قرطبة .

ينسب إليها جماعة من العلماء منهم : سعيد بن[2] نصر بن عمر بن خلفون من أهل استجة ، يكنى أبا عثمان ، سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ[3] ، وابن أبي دليم وغيرهما ، وسمع بمكة من أبي الأعرابي ، وببغداد من أبي علي اسماعيل بن محمد الصفار ، ومن أبي علي بن الصوّاف وغيرهما ، توفي ببغداد[4] . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

فتحها : قال فحاصرها شهوراً ثم أسر صاحبها وصار في قبضته فصالحه على الجزية وأطلق سبيله ؛ ثم أقبل طارق إلى قرطبة .

وصف مدينة قرطبة[5] :

قال في اختصار اقتباس الأنوار : قرطبة قاعدة الأندلس ، وأم المداين ، ومستقر الخلافة ، ودار الإمارة . كان فيها الخلفاء من بني أمية ، وآثارهم بها ظاهرة ، وأبنيتهم فيها وفيما جاورها بَيِّنَة ، وفيها الجامع المشهور أمره ، شائع ذكره ، من أجَلّ مصانع الدنيا كبر مساحة ، وإحكام صناعة ، وجمال هيئة . تهمم فيه الخلفاء من بني أمية فزادوا فيه زيادة حتى بلغ الغاية في الإتقان ، واستولى على أمد الاحسان ، فصار يحار فيه الطّرف ، ويعجز عن حسنه الوصف .

---

(١) يقصد نهر شنيل Genil .

(٢) راجع ترجمته في (الضبي بغية الملتمس رقم ٨٢٢) .

(٣) في الروض المعطار ص ٥٩ : قاسم بن أصبغ البياني .

(٤) يقول الضبي (نفس المرجع السابق والرقم) مات ببخاري يوم الأربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٥٠ هـ . . . وقيل إنه مات ببغداد .

(٥) قرطبة Córdoba راجع وصفها في (البكري : المسالك والممالك ورقة ٢١٩ ، الحميري : الروض المعطار ص ١٥٣ (والترجمة الفرنسية ص ١٨٢) ؛ *Ency. of Islam art Cordoue* par Seybold Lévi-Provençal: *Espagne Musulmane*, au X^e siecle p. 195.

وقرطبة على نهر كبير فوهته بجبل شَقُورة[1] ، ويمر على قرطبة ، وينسب
فيه تحت قرطبة أودية ، ثم يمر إلى اشبيلية . وعليه قنطرة عظيمة حصينة من
أجل البنيان قدراً وأعظمه خطراً ، وهى من الجامع فى قبليه وبالغرب منه ،
فانتظم بها الشكل إلى الشكل ، وجاءت كالفرع لذلك الأصل .

ولما كانت قرطبة على الصفة التى ذكرناها محل الإمارة ، ومستقر الخلافة ،
كثر بها العلم والعلماء ، واستقر بها النبلاء والفضلاء ، وصارت دار الهجرة للعلم ،
ومكان رحلة لأولى الفَهم ، وكان من بها من الخلفاء رضى الله عنهم يقيمون
همم العلماء ، ويكبرون من يولونه خطة القضاء ، ويختارون للخطة أهليها ،
ويوفونهم حقوقهم فيها ، فكان للقضاء بها المنزلة العالية والرتبة السامية ، مع
كون الخلفاء مقادين لأحكامهم ، واقفين لها نقضهم وابرامهم ، مع ما خص
به أهل قرطبة من علو الهمة واجتماع الكلمة ، وتآلفهم على الحقائق ، واتباعهم
لأحسن الطرائق ، فصارت لهم بذلك النجدة والعِزّة ، وحازوا أعلا المنازل
[و] الرفعة . وذكر من قضاتها محمد بن سعيد بن بشير[2] بن شراحيل المعافرى ،
وذكر من سيرته وحسن طريقته أمراً عجيباً . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

---

(١) جبل شقورة Sierra de Segura سلسلة من الجبال الضخمة المرتفعة المغطاة بالغابات والمراعى
وبعض النباتات والورود . ويشير الكتـــاب العرب إلى أنه فى قلب هذه المنطقة الجبلية كانت توجد
مدينة حصينة تسمى شقورة أيضاً وهي حاليـــاً Segura de la Sierra فى ولاية جيان . وكانت قاعدة
لامارة بعض حكام المسلمين أمثال ابراهيم بن همشك فى أواخر أيام المرابطين . ومن المنحدرات والسفوح
الشرقية لهذه الجبـــال ينبع نهر شقوره Rio Segura (أو النهر الأبيض) الذى يروى مدينة مرسية
وأوريوله Orihuela شرق اسبانيا ويصب فى البحر الأبيض المتوسط .

والجدير بالذكر أنه من نفس جبال شقورة السالفة الذكر ينبع أيضاً نهر الوادى الكبير الذى يمر
بقرطبة واشبيلية كما هو مذكور فى المتن .

حول وصف جبال ونهر ومدينة شقوره راجع (العذرى ص ١٣٠ ، والحميرى : الروض المعطار
ص ١٠٥ والترجمة الفرنسية ص ١٢٨) ، ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٨٣) . راجع كذلك :
Ency. of Islam art. Shaqura by Lévi-Provençal & Madoz: *Diccionario Geográfico de España*, tomo 15 p. 578-579.

(٢) هذا القاضى محمد بن شراحيل المعافرى ، أصله من عرب مصر الذين استقروا فى مدينة باجة
Beja بالأندلس فى ولاية أبى الخطار بن ضرار الكلبى . انتقل فى حداثته من بلده باجة إلى العاصمة ...

فتحوها : قال فلما صار قريباً منها | ١٥٤ ا | بعث خيلا فكمنت فى غَيْطة أرز كانت بشُقندة[(١)] ، فمر بهم راع فأخذوه وسألوه عن المدينة وأهليها ، فدلهم على ثلمة فى سورها القبلى بموضع صورة الأسد ، عليها شجرة تين ، فارتقى المسلمون منها ودخلوا المدينة ، وكبروا بأجمعهم تكبيرة واحدة ، فلما سمع أهل المدينة تكبيرهم ، خرجوا على باب اشبيلية ، وكان بموضع العطارين[(٢)]

قرطبة لطلب العلم عند شيوخ أهلها ثم خرج حاجاً فلقى مالك بن أنس وجالسه وسمعه ثم رحل الى مصر ودرس بها مدة ثم قفل راجعاً إلى الأندلس حيث استقر بضيعته فى مدينة باجه إلى أن ولاه أمير الأندلس الحكم الربضى قضاء الجماعة والصلاة بقرطبة . وكانت سيرته وصلابته فى الحق مضرباً للامثال . ويؤثر عنه أنه كان إذا اختلف عليه العلماء واشكل عليه الأمر كتب إلى عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله ابن وهب بمصر فيستبيانه فى مسألته . ولقد ولى بعض أبنائه من بعده قضاء الجماعة بقرطبة ، نذكر منهم سعيد بن محمد بن بشير المعافرى ومسرور بن محمد بن بشير المعافرى . راجع أخبارهم وسيرهم فى (أبو عبد الله محمد بن حارث الخشنى : كتاب القضاة بقرطبة ص ٥١ — ٦٧ ، ص ٧٨ مدريد ١٩١٤

(١) شقندة : تعريب الاسم الرومانى القديم Secunda ، وكانت تقع قبالة قرطبـــة على الضفة اليسرى لنهر الوادى الكبير أى بالربض الجنوبى لقرطبة . وينسب إليهـــا الأديب المعروف أبو الوليد اسمـــاعيل بن محمد الشقندى قاضى لورقه Lorca وبياسة Baeza على عهد الموحدين ، وصاحب الرسالة المشهورة فى فضل الأندلس التى كتبها رداً على رسالة أبى يحيى بن المعلم الطنجى فى فضل المغرب . وقد توفى الشقندى فى سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م) ورسالته أوردها المقرى فى كتابه نفح الطيب كما ترجمها حديثاً المستشرق الاسبانى غرسية غومز . راجع : (المقرى : نفح الطيب ج ٤ ص ١٧٧ وما بعدها) وكذلك :

Pons Boigues: *Op. cit.*, p. 276-280 & Ency. of Islam, art Shakunda by Lévi Provençal.

(٢) هذا الباب كان يقع فى الجانب الغربى لمدينة قرطبة ، ومن عنده كان يبدأ الطريق المؤدى الى اشبيلية غرباً ، ولهذا سمى بباب اشبيلية كما سمى أيضاً بباب العطارين ، إذ عنده كانت تباع العطور وأدوات الزينة ، ولهذا كان — كما تقول القصص — مجتمعاً للنساء ، وللشاعر الأندلسى الرمادى قصة حب مثيرة بدأت فصولها فى هذا المكان . راجع : A. Palacios: *Crestomatía de Arabe Literal*, p. 24.

هذا ويروى ابن بشكوال ، أنه عند باب العطارين ، كان يوجد حى الرقاقين ومسجد النخيلة . راجع (الصلة ج ٢ ص ٥٧٣) .

ولقد كانت قرطبة شاملة من جميع نواحيها بأبواب عديدة نذكر منها : فى الجانب الشرقى ، باب الحديد أو باب سرقسطه ، وباب ابن عبد الجبـــار أو باب طليطلة وفى الجنوب ، باب القنطرة أو باب الوادى أو باب الجزيرة ، ويقع عند نهاية الشارع الرئيسى المسمى بالمحجة العظمى . وفى الشمال ، باب عامر نسبة إلى عامر بن عمرو القرشى العبدرى . . . الخ . راجع : Lévi-Provençal: *L'Espagne Musulmane au Xeme siècle* p. 205-207. ومسح جديد لقرطبة الإسلامية لمؤلف مجهول ، بتحقيق د. حسين مؤنس مجلد ١٣ من هذه الصحيفة ص ١٦١ — ١٨١

اليوم ، ولجؤا إلى كنيسة عظيمة حصينة كانت لهم بغربى المدينة وتحصنوا فيها .
وتغلقوا داخلها . وملك المسلمون مدينة قرطبة بما فيها ، وغنموا جميع ما فى
داخلها ، وحصروا المشركين المتعلقين فى الكنيسة ، وأدخلوا النار إليها فأحرقوا
أكثر من كان فيها ، وقتلوا من خرج عنها ، وأتى طارق بالعلج صاحب
المدينة فأمر بضرب عنقه .

وذكر ابن أبى الفياض أنهم لما تحصنوا فى الكنيسة ، وكان بها ساقية
تجرى إليها ، بعث طارق نحو الساقية رجلا أسود ليأتيه بخبر الساقية . قال
ولم يكن دخل الأندلس من السودان غيره ، ونهض الأسود ، واطلع عليه
من [فى] الكنيسة ، فأخذه الروم أسيراً وتعجبوا منه واختلفوا فى لونه ، فقال
بعضهم إنه خِلْقة ، وقال بعضهم إنه مصبوغ ، فَضَمَّه الأحداث إلى الساقية ،
وحَكَّه الأعلاج بالحبال ، فلم يزدهم حكّه إلا صفاء للونه ونقاء لخلقته ، فأيقنوا
أنه خلقة ، فألقوه فى الحديد ؛ فلما كان الليل قطع الحديد وقتل من وكل به
من الأعلاج ، وفر إلى العسكر وأخبر بأمر الساقية فقُطعت . وأخذ كل من
كان فى الكنيسة وسميت كنيسة الأسرى .

ذكر دخول موسى بن نصير رحمه الله الاندلس

وفى سنة ثلاث وتسعين ، شخص موسى بن نصير إلى الأندلس ، وذلك
أنه لما سمع بما فتح الله عز وجل على يد طارق ، أحب أن يكون شريكاً فى
ذلك له . قال فى مختصر تاريخ الطبرى رحمه الله : فاستخلف ابنه عبد الله على
افريقية ، وأقبل إلى الأندلس ومعه إبناه عبد العزيز وعبد الأعلى[1] ، وهو فى

---

(١) ورد اسم عبد الأعلى بن موسى فى (ابن عسكر : تاريخ مالقة ، مخطوط مغربى يقوم بنشره صديق المستشرق الإسبانى خواكين بالبيه ، وقد أضاف ابن عسكر إلى أن عبد الأعلى هذا هو =

عشرة آلاف فيهم وجوه الناس من قريش والعرب . فحلّ بساحل الجزيرة فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ، فطلب دليلا من العجم وقال له دل بى إلى مداين لم يفتحها طارق ولم يدخلها ، وأثيبك على ذلك وأحسن إليك . فأخذ به إلى بلاد منها لبلة وباجة .

وصف لَبْلَة[1] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : كُورة لبلة فى غربى الأندلس ، ومدينة لبلة هى المعروفة بالحمراء ، أوّلية قديمة ، فيها آثار الأول ، وفيها ثلاث عيون . من أهل لبلة جابر بن[2] مغيث يكنى أبا مالك ، كان عالماً بالعربية والشعر وضروب الآداب ، وكان مشهوراً بالفضل ، استجلبه قاسم [١٥٤ ب] ابن عبد العزيز لتأديب ولده ، فكان سبب سكناه بقرطبة . توفى سنة تسع وتسعين ومائتين ، ذكره أبو بكر الزبيدى .

قال البكرى : وكورة لبلة جامعة لفوائد الكور ، كثيرة الزيتون والشجر وضروب الثمار ، يكون بها القرمز الفاضل ، ويجود بها العصفر ، ولها خاصية فى الأدم الأحمر الصبغ الجيد الدباغ ، المضاهى للأدم[3] الطائفى . وهى سهلية جبلية برية بحرية .

= الذى فتح مالقة فى عهد والده . كذلك ورد اسم عبد الأعلى فى (ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٨٣) . أما ابن القوطية فقد أورده على شكل عبد العلى أو عبد العلا بن موسى . راجع (تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٤٠ ، ١٦٢) . هذا ويشير ابن قتيبة إلى ابن آخر لموسى دخل الأندلس قبل أبيه والتحق بطارق وهو مروان ابن موسى . رجع : (الامامة والسياسة ج ٢ ص ٧٦) .

(١) لبلة Niebla وكان اسمها فى القديم Ilipla ، وتقع فى جنوب غرب اسبانيا فى مقاطعة أَوْنَبَه أو أُونبَه Huelva . راجع وصفها فى (الحميرى الروض المعطار ص ١٦٨ الترجمة الفرنسية ص ٢٠٣) راجع كذلك : العذرى ص ١١٠ — ١١١ *Ency. of Islam art.* Huelva by Lévi-Provençal.

(٢) راجع ترجمته فى (الضبي : بغية الملتمس رقم ٦٢٢) حيث يرد اسمه جابر بن غيث .

(٣) راجع كتاب العذرى (ترصيع الأخبار ص ١١١) والأدم الطائفى نسبة إلى الطائف بالقرب من مكة وقد اشتهرت هى الأخرى بدبغ الجلود حتى قيل إن رائحتها النفاذة كانت تصرع الطيور إذ مرت بها . انظر ياقوت معجم البلدان ج ٦ ص ١١) .

وصف باجة[1] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : باجة بافريقية ، وباجه بالأندلس ، وقد تقدم ما قاله فى باجة افريقية . وقال فى باجة الأندلس : وقال الرازى فى باجة الأندلس ، غرب من قرطبة وهى من أقدم مداين الأندلس : وأرض باجة أرض زرع وضرع ، فمن باجة الأندلس جماعة من العلماء منهم الفقيه القاضى أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجى[2] ، شارح الموطأ ، فقيه أديب متكلم على مذاهب الأشعرية ، شاعر ، ولد صبيحة يوم الثلاثاء فى النصف من ذى القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ، ورحل سنة ست وعشرين أو نحوها ، فأقام مع أبى ذَرّ بالحجاز ثلاثة أعوام ، ولقى ببغداد جِلَّة من الفقهاء كأبى الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى رئيس الشافعية ، وأبى اسحاق ابراهيم بن على الشيرازى ، والقاضى أبى عبد الله بن الحسن بن على الصيمرى إمام الحنفية . فأقام بالموصل عاما كاملا مع أبى جعفر السمنانى يدرس عليه الأصول . قال وقد أدركته ولم أسمع منه لصغر سنى ولقلة العناية بى ، وتوفى ليلة الخميس بين العشاءين لسبع عشرة ليلة خلت من رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة .

قال فأداخها وفتحها ثم خرج إلى البلاط ثم خرج على الفج المنسوب إليه وهو المعروف بفجِّ موسى . قال فانقطع إليه أهل ذلك الموضع ، فأقرهم على حالهم وسُمُّوا موالى موسى . ثم تقدم إلى مَارِدَة فنزل عليها وقيل إنها كانت قاعدة لملوك الأندلس ثم تنقلوا عنها إلى طليطلة .

---

(١) باجه : Beja بلدة فى جنوب البرتغال فى منتصف الطريق بين يابرة Evora والفارو Faro . وتسمى هذه المدينة بباجة الأندلس وباجة الزيت تميزاً لها عن باجة افريقية أو تونس التى تسمى أيضاً بباجة القمح . راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ٦) و (الترجمة الفرنسية ص ٤٥ حاشية ٢) .

(٢) هذا الفقيه المشهور أبو الوليد الباجى ولد فى بطليوس سنة ٤٠٣ (١٠١٢م) وتوفى فى المرية سنة ٤٧٤ (١٠٨١م) راجع ترجمته فى (الضبى : بغية الملتمس رقم ٧٧٧ ، ابن بشكوال : الصلة رقم ٤٤٩ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٢٣) كذلك (Pons Boigues, Op. cit. p. 155)

وصف مدينة مَارِدَة[1] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : ماردة بين الغرب والجوف[2] من مدينة قرطبة ، ومسيرة ما بين مدينة قرطبة ومارده للراكب القاصد خمسة أيام ، وللمشاة عشرة أيام . ومارده من إحدى القواعد التى تخيرها ملوك العجم للقرار ، ابتدأها أول القياصرة ، وأكملها ثانى القياصرة ، وترددت فيها الملوك ، فتجددت بها الآثار بالبنيان المتقن والتزيين والرخام المعجب ، واظهار القدرة بالماء المستجلب المحجوز عليه بالبنية التى تعرف بالبريقة[3] ، بنية عجز الصانعون قبلها عن صنعتهــا ، وكفت الأيدى عن حكايتها بعدها ، باقية الرسم على الدهر ، عالية الاسم ، بعيدة الذكر . وجد فى مكان من سورها لوح رخام شديد الصفاء ، كثير الماء ، فيه مكتوب بالأعجمى براءة لأهل إيليا من عمل خمسة عشر ذراعا فى السور[4] ، ووجد فيها قليلة [١٥٥ ا] الجوهر التى نصب[5] سليمان بن عبد الملك فى مسجد دمشق . وكانت ممـا أُلقى فى بيت المقدس عند غارة بخت نصر عليها . وكان

---

(١) بالاسبانية Mérida وهى الآن مركز إدارى فى مديرية بطليوس Badajoz فى جنوب غرب اسبانيا ، واسمهـا القديم اللاتينى Emerita وتفسيره كما يقول صاحب الروض مسكن الأشراف . وهى مدينة حصينة كانت قاعدة لحكام الرومان الذين أقاموا فيها منشآت ضخمة لا زالت آثارها باقية إلى اليوم كالقنطرة والملعب وخزان المياه الوارد ذكره فى المتن . راجع وصفها فى (الحميرى : الروض المعطـار ص ١٧٥ والترجمة ص ٢١٠) راجع كذلك : *Ency. of Islam* art Mérida par Lévi-Provençal

(٢) اصطلح أهل المغرب والأندلس على اطلاق كلمة جوف على شمال البلاد والقبلة على جنوبها .

(٣) البريقة : يرى ابن الشباط فى شروحه التالية أنها سميت بذلك لبريقها ، ومن المحتمل أن تكون تعريباً للكلمة الاسبانية ذات الأصل العربى Alberca (الـبركة) ومعناها خزان أو مستودع صناعى لخزن المياه وتوزيعها فى قنوات إلى الجهات المجاورة .

(٤) ورد فى البكرى (ورقة ٢٢٣) وكان قد أحدق بالمدينـــة سور عرضه إثنا عشر ذراعاً وارتفاعه ثمانية عشر ذراعاً وعلى بابها كتابة ترجمتهـــا براوة لأهل إيليا (بيت المقدس) من عمل فى سورها خمسة عشر ذراعاً .

(٥) كذا رسمها ولعلها نصبها .

ممن حضر فى حشوده بزيان ملك الأندلس ، فوقعت فى سهمانه ، ذكر ذلك كله أحمد بن محمد الرازى . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل[1] .

فتحها : قال فلازمها وحاصر أهلها حتى صالحوه على الجزية . قال وكان طارق قد قدم طليطلة فافتتحها وغنمها .

وصف طُلَيطُلة[2] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : طليطلة بين المشرق والجوف من قرطبة . بينها وبين قرطبة للفارس القاصد سبعة أيام ، وللمحلات العساكر أربعة عشر مرحلة . كانت قاعدة ملوك القوطيين وموضع قرارهم ، وفيها الفيت مائدة سليمان بن داوود عليه السلام . وهى مدينة عظيمة ، أشد المدن حصانة ، وأثبتها منعة ، وأبقاها مع الضيق والمحاصرة . ينسب إليها جماعة من أهل العلم منهم سعيد[3] بن أبى هند ، يكنى أبا عثمان ، أصله من طليطلة ، وقيل فى اسمه عبد الوهاب . رحل فلقى مالك بن أنس رحمه الله ، وسمع منه ، وكان مالك يسميه الحكيم حكيم الأندلس . توفى سنة[4] مائتين . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

(١) يصف البكرى حصون ماردة بقوله (ورقة ٢٢٣) : ولماردة حصون وأقاليم ، من ذلك حصن مدلين وحصن مورش وحصن أم جعفر وحصن الجزيرة وحصن الجناح وحصن الصخرة المعروفة بصخرة أبى حسان وحصن لقرشان وحصن سنت انروج فى غاية الارتفاع لا يعلوه طائر البتة لا نسر ولا غيره ، إلى غيرها من الحصون .

(٢) يقول البكرى (المسالك والممالك نسخة الزاوية الناصرية بالمغرب لوحة ٢٢٣) واسم طليطلة باللاتينى : تولاطو ومعناه : « فرح ساكنها » يريدون لحصانتها ومناعتها . راجع وصفها أيضاً فى (الحميرى : الروض المعطار ص ١٣٠ — ١٣٥ نشر ليفى بروفنسال) .

(٣) راجع ترجمته فى (الضبى : بغية الملتمس رقم ٨٢٤ ص ٣٠١ ، ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٤٦٧ ص ١٣٦ ج ١) .

(٤) يروى ابن الفرضى وكذلك الضبى (فى نفس الموضعين) أن الحكيم سعيد ابن أبى هند توفى فى صدر أيام الأمير عبد الرحمن بن معاويه المعروف بالداخل . ومن المعروف أن هذا الأمير حكم الأندلس فى الفترة ١٣٨ — ١٧٢ هـ = ٧٥٦ — ٧٨٨ م . وهذا يعنى وجود فارق كبير حول تحديد سنة وفاة هذا العالم بين هذه الرواية ورواية ابن الشباط التى فى المتن .

قال وأصاب فيها مائدة منظومة بالدرر والياقوت والزبرجد وهى التى يزعم الناس أنها مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام ، ولم تكن كذلك ، غير أن الخبثة[(١)] من العجم كانوا إذا حضرتهم الوفاة أوصوا للكنايس بمال تصنع منه كراسى توضع عليها مصاحف الإنجيل فى الأعياد ، فكانت تلك المائدة مما يتفوق فيه الملوك . واعلم أن هذا القول من عريب[(٢)] غريب ، لم يذكره فيما علمت غيره وإنما ذكروا كلهم أنها مائدة سليمان بن داوود صلوات الله على نبينا وعليهما وعلى سائر الأنبياء وسلامه . وكذلك ذكر الفقيه أبو مروان عبد الملك ابن الكردبوس رحمه الله فى كتابه ، والكاتب أبو اسحاق وغيرهما . واختلفوا فى صفتها ، فقال الفقيه أبو مروان ، كانت قطعة واحدة من زمردة خضراء ، خرط منها أرجلها وحواشيها . وقال غيره : وكانت من ذهب مكللة بالدرّ والياقوت . وقال الكاتب أبو اسحاق : كانت مائدة مكللة بالدر والياقوت والجوهر . قال وقيل لرجل من أصحاب موسى يقال له أبو حميد : كيف كانت المائدة ؟ قال كانت من ذهب تشوبه فضة تتلون حمرة وصفرة وكانت مطوقة بثلاثة أطواق ، طوق ياقوت ، وطوق زبرجد ، وطوق لؤلؤ وزمرد . وسيأتى من صفتها أيضاً ما قاله غيرهما إن شاء الله تعالى .

قال فلما اتصل بموسى بن نصير ما ازداد طارق من الفتح ، مضى من ماردة نحو طليطلة ، فلما قرب منها ، خرج إليه طارق وتلقاه ، فتعتب عليه موسى وقال له : ما دعاك إلى الإيغال والتقحم فى البلاد بغير أمرى ، وإنما كنت بعثتك غازيا ثم تنصرف[(٣)] (كذا) فاعتذر إليه طارق ، وقال له إنما أنا

---

(١) فى الروض المعطار نشر بروفنسال (ص ١٣١) : أهل الحسبة .

(٢) يقصد المؤرخ القرطبى عريب بن سعد ، وهو تعليل جميل يدل على دراية عريب وفطنته ، وقد نقل هذا النص فيما بعد صاحب الروض المعطار (ص ١٣١ — ١٣٢) دون أن ينسبه إلى قائله . وهذه حسنة من حسنات ابن الشباط الذى نسب الروايات إلى أصحابها وعرفنا بقائليها .

(٣) وردت على شكل تنصرف أو تتصرف .

قائد من قوادك ، وما أصبت وافتتحت فهو منسوب إليك ، ومعدود فى مقاماتك ، ثم أعلمه بما أصاب وما صار عنده | ١٥٥ ب | من الخمس وترضاه واستطابه ، فرضى عنه وأمره بالتمادى فى البلاد والمضى إلى الثغر ، فكان لا يمر بموضع إلا غنمه . وأقبل موسى إلى قرطبة ، فمضى بها سنة أربع وتسعين قال وروى أن موسى لما دخل الأندلس سنة ثلاث وتسعين ، ضحّى بطليطلة ثم تقدم إلى سرقسطة .

وصف سَرَقُسْطَة [١] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : سرقسطة فى ثغر شرق الأندلس ، وهى المدينة البيضاء ، أعظم مداين ثغر الأندلس . سورها كله مبنى بالرخام معقود فى داخله بالرصاص ، ويحيط به جانب [٢] . فهى غزيرة الخيرات ، كثيرة البركات ، فواكهها وأطعمتها من الكثرة والجودة بحيث قد شاع فى جميع الأقطار . وبه الملح الذراينى [٣] .

ينسب إليها جماعة من العلماء ، منهم قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف بن سليمان بن يحيى العوفى السرقسطى أبو محمد [٤] . رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النساءى ، وأحمد بن عمرو البزار . وسمع بمكة من عبد الله بن على الجارود ومحمد بن على الجوهرى وغيرهم . وعنى بجمع الحديث هو وأبوه ، فأدخلا الأندلس علماً كثيراً . ويقال إنهما أول

(١) راجع ما سبق أن قلناه حول هذه المدينة فى صفحة ١١٢ حاشية ٢

(٢) يقصد هنا الحى أو الربض Quartier راجع كلمة جانب فى :
Dozy: *Supplement aux Dictionnaires Arabes*, I, p. 221.

(٣) راجع تفسير كلمة الذرآنى فى شروح ابن الشباط التالية وفى المقدمة أيضاً .

(٤) راجع ترجمة هذا العالم فى (ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ١٠٦٠ ، الضبى بغية الملتمس رقم ١٣٠٠ ، ياقوت : إرشاد الأريب إلى معرفـة الأديب ج ٦ ص ١٥٤ (نشر مرجوليوث ، لندن ١٩٠٧ — ١٩٢٩

من أدخل كتاب العين إلى الأندلس . وألف قاسم فى شرح الحديث كتابا سماه كتاب الدلائل بلغ فيه الغاية من الإتقان ، فمات قبل إكماله ، فأكمله أبوه ثابت[1] بعده . وكان قاسم عالماً بالحديث واللغة متقدماً فى معرفة الحديث والنحو والشعر . وكان مع ذلك ورعا ، ناسكا ، زاهداً . وكان يقال إنه مجاب الدعوة . توفى بسرقسطة سنة اثنين وثلاثمائة . قلت : وقد رأيت لغيره أن صاحب سرقسطة عرض عليه قضاء بلده فامتنع ، فعزم عليه فى ذلك ، فقال له : انظرنى عشرة أيام . فأجابه ، فمات فى تلك الأيام . فيقال إنه دعا الله عز وجل فى ذلك . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

قال وانصرف (أى موسى) قافلا ، فضحى بقرطبة سنة أربع وتسعين . ولما اتصل بالوليد [بن] عبد الملك رحمه الله ، تَلَوُّم موسى بن نصير بأرض الأندلس ، وتَقَحُّمه بالمسلمين فى أرض العدو من غير مؤامرة ولا مشاورة ، بعث مغيثاً مولاه إليه ، وأمره أن يُعَنِّفَه ويقفله إلى افريقية . فقدم مغيث على موسى ، ودخل معه قرطبة ، ووهبه موسى الموضع الذى تنسب إليه اليوم ، وهو بلاط مغيث بجميع أرضه وزيتونه . وغزا مغيث مع موسى بالجيش إلى جلّيقية .

واستبطأ الوليد رحمه الله قدوم موسى ، فبعث رسولا يعرف بأبى نصر ، فتوكل بموسى واندفع به من مدينة لُكّ[2] بجليقية ، وخرج من الفَجِّ المعروف بفج موسى ، ووفاه طارق بالطريق ، ومضيا جميعاً معهما مغيث وأبو نصر ، ومن أراد أن يرجع من الناس إلى المشرق ، واستخلف موسى بن نصير على الأندلس

(١) راجع ترجمة هذا الأب ثابت بن حزم فى (ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٣٠٦ ، الضبى : بغية الملتمس رقم ٦٠٣) .

(٢) لك بضم اللام وتشديد الكاف وفى الروض المعطار لكه ، وفى مكان آخر (ص ٢٨) « لقش قاعدة الجليقيين » ، ولعل المقصود بها Lugo ، وهى مدينة وولاية فى شمال غرب اسبانيا فى منطقة جليقية ، واسمها القديم Locus Augusti

انظر (الحميرى : الروض المعطار ص ٣٥ حاشية ٢ من الترجمة الفرنسية) انظر كذلك :
Madoz: *Diccionario Geográfico de España*, tomo, 11. p. 631.

ابنه عبد العزيز . وشخص موسى راجعاً إلى افريقية . وكان قدوم موسى بن نصير على الوليد [١٥٦ ا] بن عبد الملك سنة ست وتسعين . وحمل طارق بما حمل من الغنائم والأموال والمائدة . واعلم أن هذا ما رأيت إيراده مما فى مختصر تاريخ الطبرى مع ما أضفت إليه من غيره .

وقد وقع فى كتاب الإمامة والسياسة لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، ذكر فتح الأندلس ، بزيادة مخالفة لبعض ما تقدم[١] ، فرأيت إيراد ذلك فى هذا المكان لتكمل به الفائدة إن شاء الله عز وجل ، فأقول :

قال فى الإمامة والسياسة[٢] : ذكروا أن موسى وجه طارقاً مولاه إلى طنجة وما هنالك ، فافتتح مدائن البربر وقلاعها . ثم كتب إلى موسى : إننى أصبت ست سفاين . فكتب إليه موسى : أتممها سبعا ، ثم سر بها إلى شاطئ البحر فاستعد[٣] لشحنها ، واطلب قبلك رجلا يعرف شهور السريانيين ، فإذا كان يوم أحد وعشرين من شهر أذار[٤] بالسريانى ، فاشحن على بركة الله عز وجل ونصره فى ذلك اليوم . وإن[٥] لم يكن عندك من يعرف شهور السريانيين[٦] ، فشهور العجم فإنها موافقة لشهور السريانيين[٧] ، وهو شهر يقال له بالعجمية مارس[٨] ، فإذا أجريت فسر حتى يلقاك جبـل أجرد[٩] أحمر ، تخرج منه

(١) راجع ما كتبه دوزى حول هذا الكتاب تحت عنوان : « أحاديث الإمامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة ، فى :

R. Dozy: *Recherches sur l'Hist. et la Litterature de l'Espagne pendant le moyen age*, p. 21-39 t. I.

(٢) وردت هذه القطعة فى كتاب الإمامة والسياسة جـ ٢ ص ٧٤ وما بعدها .

(٣) واستعد فى الامامة والسياسة ص ٧٤

(٤) أدار فى الامامة والسياسة ص ٧٤

(٥) فإن فى الامامة والسياسة ص ٧٤

(٦) السريان فى الامامة والسياسة ص ٧٤

(٧) السريان فى الامامة والسياسة ص ٧٤

(٨) فإذا كان يوم أحد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما أمرتك إن شاء الله . هذه العبارة ساقطة فى المتن .

(٩) هذه الكلمة ساقطة فى كتاب الامامة والسياسة .

عين شرقية إلى جانبها صنم فيه تمثال ثور[1] فاكسر ذلك التمثال ، وانظر فيمن معك إلى رجل أشقر طوال[2] بعينيه قَبل[3] ، وبيده شلل ، فاعقد له على مقدمتك ثم أقم مكانك حتى تغشا[4] إن شاء الله .

فلما انتهى الكتاب إلى طارق ، كتب إلى موسى : إنى منته إلى ما أمرنى به[5] الأمير ووصف ، غير أنى لم أجد صفة الرجل الذى أمرتنى به إلا فى نفسى . فسار طارق فى رجب سنة ثلاث وتسعين . وقد كان لذريق ملك الأندلس قد غزا عدوا له[6] ، واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير ، فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين ، كتب إلى لذريق أنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندرى أمن السماء سقطوا[7] ، أم من الأرض ارتفعوا[8] ، فلما بلغ ذلك لذريق ، أقبل راجعاً إلى طارق فى سبعين ألف عنان .

[وما ينفع الجيش الكثير التفافه   على غير منصور وغير معان[9]]

قال ومعه العجل تحمل الأموال وهو على سرير مكلل باللؤلؤ والياقوت

---

(١) فى كتاب الامامة والسياسة ضور .

(٢) طويل .

(٣) أى مثل الحول .

(٤) يغشاك .

(٥) فى كتاب الإمامة والسياسة ص ٧٤ : إلى ما أمر الأمير .

(٦) فى الامامة والسياسة ص ٧٥ : قد غزا عدواً يقال له البشكيس . وهو يقصد بذلك البشكنس Los Vascos فى شمال اسبانيا وهذا يتفق مع ما ورد فى المصادر الإسبانية من أن هؤلاء البشكنس قد قاموا بثورة مما اضطر الملك لذريق إلى الإسراع شمالا لاخمادها . ويذهب المؤرخ الإسبانى Savedra سافدرا إلى أن هذه الثورة كانت مدبرة ومفتعلة بتدبير من أبناء الملك المخلوع غيطشه كى يمهدوا الأمر لنزول القوات الإسلامية فى الأراضى الإسبانية .

(٧) نزلوا .

(٨) نبعوا .

(٩) هذا البيت ساقط فى كتاب الامامة والسياسة وقد نص ابن الشباط فيما بعد أنه للمتنبى وأنه قد حشره فى النص لمناسبته المقام .

والزبرجد[1] ، ولما بلغ طارقاً دنوه منهم ، قام فى أصحابه خطيباً[2] : فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم فى الشهادة وبسط من آمالهم ثم قال : أيها الناس إلى أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو من[3] أمامكم ، وليس ثم والله إلا الصدق والصبر فإنهما لا يغلبان وهما جندان منصوران لا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة . أيها الناس ما فعلت من شىء فافعلوا مثله ، إن حملت فاحملوا ، وإن وقفت فقفوا ، وكونوا كهيئة رجل واحد فى القتال ، ألا وإنى عامد إلى طاغيتهم[4] لا أتهيبه حتى أخالطه أو أقتل دونه ، فإن قتلت ، فلا تهنوا ولا تنازعوا[5] ، فتفشلوا[6] وتذهب ريحكم ، وتولوا الدبر عدوكم[7] فتبددوا بين قتيل وأسير ، وإياكم إياكم أن ترضوا بالدنية ، ولا تعطوا بأيديكم ، وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والرحمة[8] من الذلة [١٥٦ ب] والمهنة ، وما قد أجل لكم من ثواب الشهادة ، فإنكم إن تفعلوا والله[9] معيذكم ، تبوءون بالخسران المبين ، وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين ؛ وها أناذا حامل حتى أغشاه ، فاحملوا لحملتى[10] . ثم حمل[11] وحملوا ، فلما غشيهم اقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل[12] الطاغية

---

(١) فى الامامة والسياسة جـ ٢ ص ٧٥ : ... ومعه العجل تحمل الأموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكللة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ومعه الحبال ولا يشك فى أسرهم .

(٢) خطيباً : ساقطة فى كتاب الامامة .

(٣) من : ساقطة فى ابن قتيبه .

(٤) بحيث لا أتهيبه .

(٥) ولا تحزنوا .

(٦) فتقتلوا .

(٧) لعدوكم .

(٨) والراحة .

(٩) والله معكم ومعيدكم .

(١٠) بحملتى .

(١١) فحمل .

(١٢) ثم إن الطاغية قتل .

وانهزم قومه(١) ، واحتز طارق رأس لذريق(٢) وبعث به إلى موسى مع ابنه ، فبعثه موسى(٣) إلى الوليد ووفد معه رجالا من أهل افريقية ، ففرض له الوليد فى أهل الشرف ، وأجاز كل من كان معه ، ورده إلى أبيه(٤) . وأصاب المسلمون مما كان مع لذريق ما لا يدرى ما هو ، ولا تحصى(٥) له قيمة . ثم كتب طارق إلى موسى : ان الأمم قد تداعت علينا من كل ناحية ، فالغوث الغوث ! فلما أتاه الكتاب نادى فى الناس وعسكر ، وذلك فى صفر سنة ثلاث وتسعين .

وكان أحب الخروج إليه أن يخرج يوم الخميس أول النهار ، فاستخلف ابنه عبد الله على افريقية وطنجة والسوس ، وكتب(٦) إلى مروان يأمره باللحاق بطارق ، فلحقه والجموع قد أتت إليه من كل مكان ، فسار حتى افتتح قرطبة وما يليها من حصونها وقلاعها .

ثم إن موسى سار لا يرفع له شئ إلا هذه يفتتح المداين يميناً وشمالا حتى انتهى إلى مدينة الملوك طليطلة ، فوجد فيها بيتاً يقال له بيت الملوك ، ووجد فيه أربعة وعشرين تاجا وهى تيجان الملوك الذين ولوا الأندلس(٧) ، كلما هلك ملك منهم ، وضع تاجه فى ذلك البيت ، وكتب عليه اسم ذلك الملك ومدة عمره

---

(١) وانهزم جميع العدو .

(٢) لوذريق وكذلك فى بقية النص .

(٣) وبعثه موسى مع ابنه (مروان) وجهز معه رجالا . . .

(٤) إلى أبيه موسى .

(٥) ولا قيمته .

(٦) وكتب ساعة قدم عليه كتاب طارق إلى مروان يأمره بالمسير ، فسار مروان بمن معه حتى أجاز إلى طارق قبل دخول أبيه موسى . وخرج موسى بن نصير والناس معه حتى أتى المجاز ، فأجاز بمن زحف معه فى جموعه وعلى مقدمته طارق مولاه ، فوجد الجموع قد شردت إليه من كل مكان فسار حتى افتتح قرطبة وما يليها من حصونها وقلاعها ومدائنها ، فغل الناس يومئذ غلولا لم يسمع بمثله . ولم يسلم من الغلول يومئذ إلا أبو عبد الرحمن الجبلى .

(٧) هذه العبارة زيادة عن كتاب الامامة والسياسة .

وولايته[1] . ووجد أيضاً فى ذلك البيت مائدة[2] سليمان بن داوود عليه السلام .
فعمد موسى إلى تلك التيجان والمائدة[3] والآنية التى وجدها فغطاها[4] بالأغشية ،
وجعل عليها الأمناء ، وليس منها شىء تدرى قيمته . وأما الذهب والفضة[5]
فلم يكن يحصيه شىء .

قال وذكروا أن هرم بن عياض حدثهم عن رجل من أهل العلم أنه كان
مع موسى بالأندلس حتى فتح البيت التى كانت فيها المائدة التى ذكر أنها
كانت لسليمان بن داوود عليهما السلام ، فقال كان بيتاً عليه أربعة وعشرون
قفلا ، كلما ولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء بفعل من كان قبله حتى ولى لذريق
القوطى ، فقال لا أموت بغم هذا البيت ولأفتحنه حتى أعلم ما فيه .

فاجتمعت إليه النصرانية والأساقفة والشمامسة ، فقالوا ما تريد بفتح هذا
البيت ؟ فقال والله لا أموت ولأعلمن[6] ما فيه . فقالوا أصلحك الله ، إنه
لا خير لك فى مخالفة السلف الصالح ، وترك الاقتداء بالأولية[7] ، فاقتد بهم[8]
وضع عليه قفلك[9] كما صنع غيرك ، ولا تحملنك[10] الغره على ما لم تحملهم
عليهم فإنهم أولى بالصواب منا ومنك . فقال[11] لا بد من فتحه . فقالوا له :
انظر ما ظننت أن فيه من المال والجوهر وما خطر على قلبك ، فإنا ندفعه إليك ،

---

(١) وكتب على التاج اسم صاحبه وأين كم هو ويوم مات ويوم ولى .
(٢) مائدة عليها اسم سليمان ... ومائدة من جزع .
(٣) والموائد .
(٤) فقطع عليها الأغشية .
(٥) والمتاع .
(٦) فى الامامة والسياسة ج ٢ ص ٧٨ : والله لا أموت بغمه ولا علمت ما فيه .
(٧) بالأولياء .
(٨) ممن كان قبلك .
(٩) قفلا .
(١٠) ولا يحملك الحرص على ما يحملهم عليه .
(١١) فأبى إلا فتحه .

ولا تحدث علينا فيه حدثا لم يحدثه من كان قبلك من ملوكنا . فإنهم كانوا أهل معرفة ، واعلم[1] بما صنعوا . فأبى إلا فتحه ففتحه ، فوجد فيه صور[2] العرب ، ووجد فيه كتاباً ، إذا فتح هذا البيت ، دخل هؤلاء الذين هيئتهم[3] هكذا هذه البلاد [١٥٧ ا] فملكوها . فكان دخول المسلمين[4] في عامهم ذلك عليه .

ذكر ما أفاء الله عز وجل عليهم

غزوة الافرنج

قال : وذكروا أن موسى خرج من طليطلة في الجموع غازيا يفتتح المدائن حتى دانت له الأندلس . وجاءه وجوه جليقية فطلبوا إليه الصلح فصالحهم [وغزا البشكنس ، فدخل في بلادهم حتى أتى قوماً كالبهائم ، ثم مال إلى أفرنجة حتى انتهى إلى سرقسطة فافتتحها وافتتح ما[5]] دونها من البلاد إلى الأندلس ، فأصاب فيها ما لا يدرى ما هو . ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة ، وبين سرقسطة وقرطبة مسيرة شهر أو أربعين ليلة . فذكروا أن عبد الله بن المغيرة ابن أبي بردة قال : كنت فيمن[6] غزا مع موسى الأندلس حتى بلغنا سرقسطة ، وكانت من أقصى ما بلغنا مع موسى إلا يسيراً من ورائها ، فأتينا مدينة على بحر ولها أربعة أبواب . قال فبينما نحن نحاصرها[7] ، إذ أقبل صاحب

---

(١) وعلم .
(٢) تصاوير .
(٣) هيئاتهم .
(٤) المسلمين من العرب إليه في ذلك العام .
(٥) الزيادة عن كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٨٠
(٦) ممن .
(٧) محاضروها .

شرطة موسى [عياش بن أخيل] [1] فقال إنا قد فرقنا الجيش [أرباعا] على نواحى أبواب المدينة وقد بقى الباب الأقصى ، وعليه رتبة . فقال له موسى : دع ذلك الباب الأقصى ، فاننا سننظر فيه إن شاء الله عز وجل . ثم إن موسى التفت إلىّ فقال : كم معك من الزاد فقلت ما بقى معنا إلا تليس [١٥٧ ب] قال فأنت لم يبق معك إلا تليس وأنت من أيسر [2] الجيش ، فكيف بغيرك [3] ! اللهم اخرجهم من ذلك الباب . قال المغيرة فاصبحنا من تلك الناحية [4] وقد خرجوا من ذلك الباب أو أكثرهم [5] ، فدخلها موسى ووجه ابنه مروان فى طلبهم ، فأدركهم ، فشرع [6] القتل فيهم ، وأصابوا مما كان معهم ومما فى المدينة شيئاً عظيما . وذكروا أن جعفر بن الأشتر قال قال : كنت فيمن غزا الأندلس مع موسى ، فحاصرنا حصناً من حصونها عظيما ، بضعاً وعشرين ليلة لا [7] نقدر عليه ، فلما طال ذلك على موسى ، نادى موسى فى الناس [8] أن أصبحوا على تعبئة ، فظننا أنه قد بلغه [9] أن مادة من العدو قد دنت منه [10] وأنه يريد التحول عنهم .

فأصبحنا على تعبئة ، فقام فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنى متقدم أمام الصفوف ، فإذا رأيتمونى قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا . فقال الناس ، سبحان الله أتراه قد [11] فقد عقله ، أو عزب عنه ،

---

(١) الزيادة عن ابن قتيبة .
(٢) أمراء .
(٣) غيرك .
(٤) الليلة .
(٥) ساقطة .
(٦) فأسرع .
(٧) ثم لم نقدر عليه .
(٨) فينا .
(٩) أن ساقطة .
(١٠) منا .
(١١) أترى فقد عقله أم عزب عنه رأيه (الامامة جـ ٢ ص ٨١) .

يأمرنا نكبر[1] على الحجارة وما لا سبيل إليه . قال فتقدم بين الصفوف بحيث يراه الناس ، ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة فأطال ونحن وقوف[2] ننتظر تكبيره . ثم إن موسى كبر وكبر الناس بتكبيره[3] وحمل وحمل الناس ، فانهدمت ناحية الحصن التى تلينا ، فدخل الناس [منها] فما راعنى إلا خيل المسلمين تجول[4] فيها ، وفتحها الله علينا ، فأصبنا من السبى ومن الجوهر ما لا يحصى . وقال عبد الرحمن بن سالم[5] : كنت فيمن غزا مع موسى غزواته كلها ، فلم يرد له لواء[6] قط ولا هزم له جمع قط حتى مات رحمه الله . قال وقال ابن صخر : لما قدم موسى الأندلس ، قال له أسقف من أساقفتها : انا لنجدك فى كتب الحدثان عن دانيال ، يصفك[7] بأنك صياد بشبكتين ، رجل لك فى البر ، ورجل لك فى البحر ، فتضرب بها هنا[8] فتصيد ، وتضرب بها هنا فتصيد ، فسر بذلك موسى واعجبه[9] .

قال وقال عبد الحميد بن حميد عن أبيه ، أن موسى لما أوغل[10] فى بلاد العدو ، وجاوز سرقسطة ، اشتد ذلك على الناس ، وقالوا أين تذهب بنا ؟

---

(١) نحمل .
(٢) ونحن ركوب منتظرون تكبيره فاستعددنا .
(٣) بتكبيره : ساقطة .
(٤) تمرع .
(٥) سلام .
(٦) فلم ترد له راية قط .
(٧) بصفتك صياداً .
(٨) تضرب بهما هاهنا وهاهنا فتصيد .
(٩) وحدثتنى مولاة لعبد الله بن موسى وكانت من أهل الصدق والصلاح أن موسى حاصر حصنها الذى كانت من أهله ، وكان تلقاءه حصن آخر . قالت : فأقام لنا محاصراً حيناً ومعه أهله وولده ، وكان لا يغزو إلا بهم لما يرجو فى ذلك من الثواب ؛ قالت ثم إن أهل الحصن خرجوا إلى موسى فقاتلوه قتالا شديداً ، ففتح الله عليه ، قالت فلما رأى ذلك أهل الحصن الآخر ، نزلوا على حكمه ، ففتحها موسى فى يوم واحد . فلما كان فى اليوم الثانى ، أتى حصناً ثالثاً ، فالتقى الناس فاقتتلوا قتالا شديداً أيضاً حتى حال المسلمون حوله ، قال فأمر موسى بسرادقة فكشطه عن نسائه وبناته حتى برزن . قال : فلقد كسرت بين يديه من أغماد السيوف ما لا يحصى وحمى المسلمون واحتدم القتال ثم ان الله فتح عليه ونصره وجعل العاقبة له (ابن قتيبة ج ٢ ص ٨١) .
(١٠) وغل .

حسبنا ما بأيدينا . وكان موسى حين دخل افريقية ، وذكر عقبة بن نافع قال : لقد كان غرر بنفسه حين أوغل[1] والعدو عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه ، وما كان معه رجل رشيد[2] ، فسمعه حنش الصنعانى[3] ، فلما بلغ موسى حيثما بلغ[4] ، أخذ حنش[5] بعنانه فقال : أيها الأمير ، سمعتك تذكر عقبة وتقول ، لقد غرر بنفسه وبمن مَعه وما[6] كان معه رجل رشيد ، وأنا رشيد[7] اليوم ، أين تذهب ؟ أتريد أن تخرج من الدنيا أو تطلب[8] أعظم مما فتح الله عز وجل عليك[9] ، إنى سمعت من الناس ما لم تسمع ، فانهم قد ملوا[10] وأحبوا الدعة ، فضحك موسى وقال : أرشدك الله ، وكثر فى المسلمين مثلك . ثم انصرف قافلا إلى الأندلس . وقال يومئذ : أما والله لو انقادوا[11] ، لقدتهم حتى أوقفهم على رومية ويفتحها الله على يدى إن شاء الله .

ذكر ما افاء الله عز وجل عليهم [١٥٧ ا]

قال وذكروا عن الليث بن سعد أن موسى لما دخل الأندلس ، ضربوا الأوتاد لخيولهم فى جدر[12] كنيسة من كنائسهم ، فثبتت[13] الأوتاد فلم تلج ،

---

(١) وغل .
(٢) أما كان معه رجل رشيد ؟
(٣) فسمعه حبيش الشيبانى والمتن أصح .
(٤) ذلك المبلغ .
(٥) قام حبيش فأخذ بعنانه .
(٦) أما كان معه . .
(٧) وأنا رشيدك اليوم .
(٨) أو تلتمس أكثر وأعظم .
(٩) ودوخ لك .
(١٠) وقد ملوا أيديهم وأحبوا الدعة .
(١١) أما والله لو انقادوا إلى ، لقدتهم إلى روميه ثم يفتحها الله على يدى إن شاء الله (ص ٨٢) .
(١٢) جدار كنيسة من كنائسها .
(١٣) فتلفت الأوتاد .

فى هذه الأبيات وبه يتبين قوله صلى الله عليه وسلم تسليما : «زُويت[1] لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها» . فانظر كيف انتهى المسلمون بحمد الله عز وجل فى ناحية المشرق إلى بلاد الصين وهى عند مطلع الشمس ، وانتهوا فى المغرب إلى السوس الأقصى إلى البحر المحيط ، فسبحان الواحد الحق الذى قوله الحق ووعده الصدق ، وصلى الله على سيدنا محمد الصادق المصدق الذى لا ينطق عن الهوى وعلى آله وأصحابه ما طلع نجم وهوى ، وسلم تسليما كثيراً .

شرح وتحقيق

أُشْكُونْية : كذا وقع بتقديم الشين على الكاف ، وفى تاريخ ابن مزين اكشونية بتقديم الكاف ويقع مهلا من الضبط ، والظاهر انه بضم الهمزة وسكون النون ، ويدل على ذلك أنه وقع فى تاريخ ابن مزين فى موضع آخر اكْشُنْبَة ، دون واو .

وتَرَّكونة : بفتح التاء المثناة وفتح الراء المهمله وتشديدها وضم الكاف وسكون الواو أخت الياء وأخره نون وتاء تأنيث . كذا وقع بالتاء والجارى على ألسنة أهل عصرنا هذا فيما علمت فى هذا الاسم طركونة بالطاء المهملة .

وَبَرْشَلُونة : بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة وضم اللام وسكون الواو أخت الياء ، وبالنون وهاء تأنيث . وبعضهم يقول فى هذا الاسم برشنونة بنونين ، وينطق بالشين غير خالصة بل بين الشين والجيم .

---

(١) زويت لى الأرض أى طويت الأرض .

وأُرْبُونَة : بضم الهمزة وسكون الراء المهملة وضم الباء أخت الواو وبعدها واو ساكنة وتاء تأنيث .

وأُشْبُونَة : بضم الهمزة وسكون الشين المعجمة وضم الباء المنقوطة بواحدة بعدها واو ساكنة ونون وهاء تأنيث . قال البكرى[1] رحمه الله : ومدينة أشبونة بغربيِّ باجة وهى مدينة قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه فى سورها . وسورها رائق البنيان بديع الشأن ، وبابها الغربى قد عقدت عليه حنايا على عمد من رخام متقنة على حجارة رخام . ولها باب غربى أيضاً يعرف بباب الخَوْخَة[2] [١٥٩ ب] مشرف على مرج فسيح يشقه جدولا ماء يصبان فى البحر . ولها باب قبلى يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مَدِّهِ وترتفع فى سوره ثلاثة اقدام .

وباب شرقى أيضاً يعرف بباب الحمة . والحَمَّةُ على مقربة منه ومن البحر بماءين[3] : ماء حار وماء بارد . فإذا مدَّ البحر واراهما . وباب شرقى أيضاً يعرف بباب المضيق[4] .

وغَلِّيسِية : بفتح العين المعجمة وكسر اللام وتشديدها وبعدها ياء أخت الواو ساكنة وسين مهملة مكسورة وياء أخت الواو وهاء تأنيث .

والتفيؤ بالهمزه ، من الفئ وهو ما بعد الزوال من الضل . وإنما سمى الضِلُّ فَيْئاً لرجوعه من جانب إلى جانب . قال صاحب الصحاح قال ابن السكيت : الضل ما نسخته الشمش ، والفئ ما نسخ الشمس . وحكى أبو

---

(١) نقل الحميرى هذا النص دون أن يشير إلى البكرى .

(٢) لعله يعنى بالخوخة الباب الصغير Portillón راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ٢٢ من الترجمة الفرنسية) .

(٣) فى الروض المعطار ص ١٦ : ديماس .

(٤) فى الروض المعطار ص ١٦ : بباب المقبرة .

وأُرْبُونَة : بضم الهمزة وسكون الراء المهملة وضم الباء أخت الواو وبعدها واو ساكنة وتاء تأنيث .

وأُشْبُونَة : بضم الهمزة وسكون الشين المعجمة وضم الباء المنقوطة بواحدة بعدها واو ساكنة ونون وهاء تأنيث . قال البكرى[1] رحمه الله : ومدينة أشبونة بغربيّ باجة وهى مدينة قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه فى سورها . وسورها رائق البنيان بديع الشأن ، وبابها الغربى قد عقدت عليه حنايا على عمد من رخام مثبتة على حجارة رخام . ولها باب غربى أيضاً يعرف بباب الخَوْخَة[2] [١٥٩ ب] مشرف على مرج فسيح يشقه جدولا ماء يصبان فى البحر . ولها باب قبلى يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مَدِّهِ وترتفع فى سوره ثلاثة اقدام .

وباب شرقى أيضاً يعرف بباب الحمة . والحَمَّةُ على مقربة منه ومن البحر بماءين[3] : ماء حار وماء بارد . فإذا مدّ البحر واراهما . وباب شرقى أيضاً يعرف بباب المضيق[4] .

وغَلِّيسِية : بفتح العين المعجمة وكسر اللام وتشديدها وبعدها ياء أخت الواو ساكنة وسين مهملة مكسورة وياء أخت الواو وهاء تأنيث .

والتفيؤ بالهمزه ، من الفيء وهو ما بعد الزوال من الظل . وإنما سمى الظلُّ فَيْئاً لرجوعه من جانب إلى جانب . قال صاحب الصحاح قال ابن السكيت : الظل ما نسخته الشمس ، والفيء ما نسخ الشمس . وحكى أبو

(١) نقل الحميرى هذا النص دون أن يشير الى البكرى .

(٢) لعله يعنى بالخوخة الباب الصغير Postillon راجع الحميرى : روض المعطار ص ٢٢ من الترجمة الفرنسية) .

(٣) فى الروض المعطار ص ١٦ : بيئرين .

(٤) فى الروض المعطار ص ١٦ : بباب المقبرة .

عبيد عن رويه ، كلما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو ظل وفئ ، وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل ، والجمع أفياء وفيوء .

وابن أبى الفياض هو أبو العباس أحمد بن سعيد بن أبى الفياض ، له تأليف فى أخبار الأندلس سماه بكتاب العبرة[1] .

وقوله قوم يقال لهم الأنْدَلُش بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال المهملة وضم اللام وبالشين المعجمة . كذا وقع فى نسخة من كتاب بن أبى الفياض رحمه الله ، وكذا ذكر البكرى رحمه الله عن الرازى . فقال أحمد بن محمد بن موسى الرازى : أول من سكن الأندلس بعد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها ، قوم يعرفون بالأندلش معجمة بالشين ثم سُمِّىَ البلد ثم عُرِّب .

وذكائها : الأصل فى الذكاء الذى هو سطوع الرائحة[2] .

وقوله لليونانيين هم من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ، وهى أمة عظيمة مشهورة الآثار والأخبار .

وإِشْبِيلِيَة : بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وكسر الباء المنقوطة بواحدة وكسر اللام وتخفيف الياء أخت الواو .

ومَالَقَه : بفتح اللام وبالقاف .

وقُرْطُبَه : بضم القاف وسكون الراء المهملة وضم الطاء وبالباء المنقوطة بواحدة .

وغَرْنَاطَه : بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وتخفيفها وبعدها ياء أخت الواو .

---

(١) راجع المقدمة .

(٢) يقال مسك ذكى أى ساطع الرائحة ، ويقال رجل ذكى أى سريع الفطنة كذلك يقال ذكت الحرب أو النار أو الشمس أى اشتدت .

أما زكى (بالزاى) فمعناها الطاهر من الذنوب ، النامى على الخير . فى سورة مريم : « إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً » .

ومُرْسِيَة : بضم الميم وسكون الراء المهملة وكسر السين وبعدها ياء أخت الواو مخففة .

والزِئبِق : بكسر الزاى المعجمة وبالهمز وكسر الباء المنقوطة بواحدة وفتحها أيضاً ، وهو معروف . قال صاحب الصحاح : والزئبق فارسى معرب وقد اعرب بالهمز ومنهم من يقوله بكسر الباء فيلحقه بالديبر والضيبل ، وغيرهم مزابق ، والعامة تقول مزبق .

والضيبل الذى ذكره بالضاد المعجمة ومعناه الداهية .

والتُوتِيا : بضم التاء الأولى وكسر الثانية وبالمد ، وقد يقال بالقصر .

والبَسَد : بفتح الباء المنقوطة بواحدة وفتح السين المهملة وهو المرجان .

واقنابس : بالقاف والنون والباء المنقوطة بواحدة من أسفل وبالسين .

[١٦٠ ا] وطُلَيْطُله : بضم الطاء المهملة وفتح اللام وسكون الياء المنقوطة باثنين من أسفل وضم الطاء المهملة بعدها .

والعتيقة : القديمة .

والقُوط : بضم القاف وسكون الواو بالطاء المهملة ، وهى أمة معروفة كانت مملكتها الأندلس وآخر ملوكهم لذريق المتقدم الذكر .

وأفْرَنْسَة : بفتح الهمزة وسكون الفاء أخت القاف وفتح الراء المهملة ، وهو صنف من النصارى .

وأفْرَنْجَة : بفتح الهمزة على وزن افرنسة ، وكأن افرنجه معرب من أفرنسه والله أعلم .

وطوبال : وقع فى اختصار اقتباس الأنوار المتقدم الذكر ، بالطاء المهملة ،

وهو مهمل من الضبط ، ووقع فى كتاب البكرى طيبال بالياء والله أعلم لأن العرب كما تقدم تتلعب بهذه الأسماء الأعجمية تلعباً ، والقياس على وزان العرب يقتضى الضم لأن فى كلام العرب الطوبال وهى النعجة والفتح لأن فى لغتهم أيضاً التوارب .

وقوله الإصبهانيين : كذا وقع بالهاء وكأنهم منسوبون إلى اصبهان وقد تقدم أن إِصْبهان بكسر الهمزة وفتح الباء .

وبالإشْبانيين بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وبعدها باء منقوطة بواحدة وهم منسوبون إلى اشبان ملك من ملوكهم وقد تقدم ذكره . قال ابن أبى الفياض ويقال إن اشبان هذا كان اسمه اصبهان وذكر أنه دَارٌ بإصبهان فَسُمِّى بها والله أعلم ، وأرى أنها دار بإصبهان مصحف من ولد والله أعلم .

وقوله ويذكر أن عدة ملوكهم مائة وخمسون ملكا ، قال البكرى خمسة وعشرون ملكا والله أعلم بالصحيح من ذلك .

وذكروا أن أول من سكن بالأندلش بالشين المعجمة وكانوا على دين المجوسية فعمروها مائة عام وبضعة عشر عاما ، ولما أراد الله عز وجل اهلاكهم ، حبس عنهم القطر حتى غارت عيون الأندلس ويبست وبادت ثمارها ، فهلك أكثرهم وفر منهم من قدر على الفرار ، فبقيت الأندلس خالية مائة عام . ثم دخلها الأفارقة ، قوم أجلاهم صاحب افريقية تخففا الامحال[1] الذى توالى على بلاده ، فأصابوا الأندلس قد اخصبت وكانوا على الديانة فأقاموا لأنفسهم ملكا ، ونزل ملكهم طالقة[2] فانتهى ملكهم ثلاثمائة سنة إلى أن غزاهم اشبان ، وحصر

---

(١) أمحل البلد : أجدب فهو ماحل . وأمحـــل القوم : أجدبوا وأصابهم المحل ، وأمحل الله الأرض جعلها محله .

(٢) هى المدينة الرومانية Italica التى ما زالت آثارها باقية إلى اليوم بجوار اشبيلية .

ملكهم بطالقة حتى فتحها وغلب على مملكتهم فهدم طالقة ونقل رخامها إلى اشبيلية واتخذها دار ملكه وبه سميت .

واتصلت مملكة الإشبانيين إلى أن ملك منهم جماعة تقدم ذكر الاختلاف فى عددهم . ثم دخل عليهم قوم وذلك زمن المسيح عليه السلام فملكوا الأندلس وأفرنجه معها واتخذوا مدينة ماردة دار مملكتهم .

واتصلت مملكتهم إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ويقال إن ذا القرنين كان منهم . ثم دخل عليهم أمة القوط ، فغلبوا على الأندلس واقتطعوها عن صاحب رومة وانفردوا سلطانهم ، واتخذوا طليطلة دار مملكتهم ، ودخل ملكهم [١٦٠ ب] دين النصرانية بدعاء الحواريين . وكان أعدل ملوكهم وأحسنهم سيرة . فاتصلت مملكة القوطيين إلى أن دخل عليهم المسلمون والحمد لله وحده . وعدة ملوك القوط تسعة وقيل غير ذلك والله أعلم .

وقوله أول من غزاها أبو زرعة طريف ، ذكر البكرى أنه من موالى موسى من البربر . وحكى عن الرازى أنه قال هو أبو زرعة طريف بن مالك المعافرى . وذكر البكرى وابن أبى الفياض أن بعث موسى مولاه طريفا إنما كان بعد أن أتاه يليان بأفريقيه وحضه على غزو الأندلس وسهل عليه أمرها ، فخاف أن تكون مكيدة فقال له اذهب أنت وقاتلهم أولا ، ففعل ونزل بساحة الجزيرة الخضراء وقتل فيها وسبا وغنم وأقام بها أياماً يشن الغارات .

وشاع الخبر فى المسلمين فأنسوا بيليان ، وعند ذلك بعث طريفا بعد أن خاطب الوليد واستأذنه فى ذلك . فعبر طريف فى أربعمائة رجل ونزل الجزيرة المعروفة بجزيرة طريف وإليه تنسب ثم أغار على الجزيرة الخضراء ونواحيها وأصاب سبيا لم ير موسى وأصحابه مثله حسنا . وأصاب مالا عظيما وأمتعة ، وذلك فى شهر رمضان المعظم من سنة إحدى وتسعين .

فلما رأى الناس ذلك تسارعوا إلى الدخول وبعث موسى طارق بن زياد ابن عبد الله فى سبعة آلاف، من البربر والموالى ليس فيهم عرب إلا قليل، فاحتل بالجبل المعروف بجبل طارق وإليه ينسب وذلك يوم السبت فى شعبان من سنة اثنين وتسعين .

وذكر ابن أبى الفياض أنه نزل الجبل المعروف إليه فى يوم النصف من شعبان من سنة اثنين وتسعين .

ورُذْرِيق : بضم الراء المهملة وسكون الذال المعجمة وكسر الراء المهملة ، ويقال فيه لذريق باللام أيضاً ، وقال ابن أبى الفياض ، وذكر محمد بن القوطية فى تاريخه أن اسم رذريق لذريق .

وطارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، ذكر البكرى رحمه الله أن طارق ابن زياد هذا مولى موسى بن نصير فارسى همذانى ، قال وقد قيل أنه من الصدف وليس بمولى لموسى ، ولى بالأندلس وله بقية ينكرون ولاء موسى إنكاراً شديداً . قال وقال الرازى ، طارق بن زياد بربرى من نفزة ويقال إنهم من موالى الصدف[1] .

قلت وقوله فى المتن مولى لصَدِف ، كذا وقع بلام واحدة ، والأحسن أن يقال للصَدِف بلامين أحدهما للخفض والثانية للتصريف . والصدِف بفتح الصاد وكسر الدال قبيلة فى كهلان . ويقال فيها الصَدَف أيضاً بفتحهما ، والنسبة إليها فى الوجهين صدفى بفتح الدال ، كما يقال فى النسبة إلى النمر نمرى .

ونَفْزة : بفتح النون وسكون الفاء أخت القاف وبالزاى المعجمة .

(١) يتفق هذا مع ما ورد فى كتاب صاحب اخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر امرائها (مدريد ١٨٦٧) ص ٦ حيث يقول : فدعا موسى مولى له كان على مقدماته يقال له طارق بن زياد وكان فارسيا همدانيا ، ويقال إنه ليس بمولاه وانه من موالى صدف .

وقوله : اقامطته جمع أقماط ، وأقماط جمع قُمط بضم القاف وهو الرئيس والقائد من قواد النصارى . والأقسة جمع قَس أو قسيس على غير قياس .

وقوله تصاور رجال كذا وقع بغير ياء وكأنه جمع تصورة . والأوْلَى أن يقال تصاوير بالياء جمع تصوير ، والأصل فى التصوير المصدر ثم تسمى الصور .

وقوله داماس ، كذا وقع بالألف والصواب والله أعلم ديماس . وكذا جاء فى الصحيح فى صفة المسيح صلوات الله على نبينا وعليه وسلامه : كأنما خرج من ديماس وهو الحمام ، ويحتمل أن يكون الداماس عبارة عنه ولغة فيه أو يكون عبارة عن القبو الطويل وهو الذى تقول له العامة الداموس .

والمرمر : الرخام ، والعباء جمع عباء ، والشِّمال بكسر الشين المعجمة جمع شِملة .

[١٦١ ا] وقوله بمدينة يقال لها خضراء ، كذا وقع بغير تعريف وهو جائز كما تقول العباسى وعباسى ، وذكر غيره أنها الجزيرة الخضراء .

ويُلْيان : بضم الياء أخت الواو وسكون اللام ، وبعدها ياء أيضاً وألف ونون . ويقال فيه أيضاً اليان بالهمزة .

وقوله على سرير الملك ، قال غيره وكان مكللا بالدر والياقوت وقفازاته هو جمع قفاز وجاء بالألف والتاء لأن الأسماء التى لم يسمع فيها بجمع تكسير يجوز جمعها بالألف والتاء ومنه قولهم وسرادقات وحمامات وقول الأصوليين أشكالات . وقوله وادى لُكَّة بضم اللام وتشديد الكاف .

وشُذُونه : بضم الشين المعجمة وضم الذال المعجمة أيضاً وبعدها واو ونون وهاء تأنيث .

وقوله وقتل أبناء الملك ولم يغن عنهما كيدهما ، هذا خلاف ما ذكره ابن أبى الفياض فانه[1] ذكر أن ولدى الملك لما اجتمعت العساكر بعثوا إلى طارق

---

(١) أورد هذه الرواية أيضاً ابن القوطية القرطبى فى كتابه تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣ – ٦ نشر جاينجوس وترجمة ريبيرا (مدريد ١٨٦٨ – ١٩٢٦) .

ابن زياد يقولون له إن لذريق إنما كان كلباً من كلاب أبينا ، وسألوه أن يؤمنهم وأن يمضي لهم ضياع أبيهم ، وكانت لهم ثلاثمائة آلاف[1] ضيعة ففعل. فلما أصبحوا انحاشوا بمن معهم إلى طارق بن زياد ، فكان ذلك سبب الفتح. فلما وصلوا إليه قالوا له : أنت أمير نفسه أم عليك أمير ؟ قال بل عليَّ أمير وعلى الأمير أمير ، فأذن لهم باللحاق بموسى بن نصير بافريقية ، ثم صاروا إلى الوليد بن عبد الملك ، فأنفذ لهم عهوداً كانت على أعقابهم . وكان فيما عقد لهم ، ألاّ يقوموا [إلى] الداخل عليهم [ولا إلى] الخارج عنهم ، فكانوا بهذه الصفة على هذا الحال دول الأمراء بالأندلس . قال ومن نسلهم كان الكاتب أبو سعيد القومس ، جَد بنى قومس ، ومنهم كانت جدة بنى القوطية[2] .

قال وكان طارق بن زياد يرى فى منامه أنه فى لجج البحر فى حين أن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار داخلون معه ، وكان النبي (صلعم) يقول : تقدم لشأنك[3] .

وقوله فى سِمار الوادى : السمار[4] بكسر السين المهملة تطلقه العامة على ضرب من النبت تصنع منه الحصر . وليست هذه اللفظة عربية فيما علمت ولا

---

(١) فى ابن القوطية (نفس المرجع) ثلاثة آلاف .

(٢) لا شك أنها الأميرة سارة القوطية ، لكن يلاحظ مما أورده ابن القوطية (نفس المرجع ص ٢ — ٥) أن أبا سعيد القومس هو من نسل أرطباس بن الملك القوطى غيطيشة Witiza بينما بنو القوطية كانوا من نسل سارة بنت المند بن غيطيشه . وقد كان بين سارة وعمها أرطباس خلاف حول ميراث أبيها اقتضى سفرها إلى دمشق وعرض قضيتها على الخليفة هشام بن عبد الملك . وهناك زوجها الخليفة هشام من مولاه عيسى بن مزاحم الذى هو جد ابن القوطية ومن هذا يبدو لنا أن بنى قومس وبنى القوطية فرعان منفصلان وان كانا ابناء عمومة واحدة .

(٣) فى (ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٨) : فلما دخل طارق السفن مع أصحابه غلبته عينه فكان يرى فى نومه النبي (صلعم) وحوله المهاجرون والأنصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسى فيمر النبي عليه السلام بطارق فيقول له تقدم لشأنك ، ونظر طارق فى نومه إلى النبى وأصحابه حتى دخلوا الأندلس . فاستبشر وبشر أصحابه . . الخ .

(٤) ورد فى (Dozy: *Supl.* I p. 682) سمار نوع من الخيزران يصنع منه الحصر .

والجزر : بالكسر ، مصدر جزر البحر إذا رجع إلى خلف وهو ضد المد . وجزر الماء ونحوه يجزر بالضم والكسر إذا نضب .

وقوله غربيه الشرف يجوز فيه وجهان أن تنصب غربيها على الظرف وهو الأظهر ، وأن ترفعه على الابتداء .

وقوله وهو عظيم المساحة ، اعلم أن المساحة مَفعله من ساح يسيح فى الأرض والقياس يقتضى أنك إذا أطلقته على جهة من الأرض قلت فيها مَساحة بفتح الميم ، وإذا أطلقته على العلم بمعرفة قيس الأرض وذرعها ، قلت مِساحة بكسر الميم . والأحكم فى قوله عظيم المساحة أن يقال بالفتح .

واشبان بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وبالباء المنقوطة بواحدة والألف والنون ، كذا وقع بكسر الهمزة فى النسخة التى عليها خط الفقيه الحافظ أبى محمد عبد الحق من اختصار اقتباس الأنوار .

وطيطس : بطاءين مهملتين بينهما ياء أخت الواو وآخره سين مهملة ، وبكسر الطاء الأولى وقع فى النسخة المذكورة والنسبة تقتضى أن تكون الطاء الثانية مكسورة .

وإيليا : بكسر الهمزة وكسر اللام وهو اسم مدينة بيت المقدس ، ذكر البكرى أن الخضر عليه السلام وقف على اشبان هذا وهو يحرث الأرض بفدن فقال له يا اشبان إنك لذو شأن وسوف يحظيك زمان ويعليك سلطان ، فإذا أنت غلبت على إيليا فارفق بذرية الأنبياء ، فقال له اشبان ، أنَّا يكون هذا وأنا ضعيف حقير ، فقال قدر ذلك ما قدر فى عصاك اليابسة ما تراه ، فنظر اشبان إلى عصاه فرآها قد أورقت ، فريع لما رأى وذهب الخضر عليه السلام عنه وقد وقر ذلك الكلام فى نفسه والثقة بكونه . فترك الامتهان ، وداخل الناس ، وصحب أهل البأس وسما به جده ، وارتقى فى طلب السلطان حتى نال منه عظيما . وكان ملكه عشرين سنة . وقد ذكر هذه الحكاية ابن أبى الفياض أيضاً .

وقوله وصاحب الحجر الذى ألفى بماردة وهو والله أعلم الحجر الذى وجد عليه مكتوب براءة لأهل إيليا من عمل خمس عشرة ذراعاً فى السور وقد تقدم ذكر ذلك .

وقوله : وصاحب قليلة الجوهر قيل كانت قليلة مصبوغة كلها من الجوهر .

[١٦٢ ا] وقوله : اشمالى[1] بفتح الهمزة وبالشين المعجمة ، كذا وقع فى النسخة المذكورة ، والقياس على اسم اشبيلية يقتضى فيه كسر الهمزة والله أعلم ، لكن يمكن أن يغير هذا النقل والله أعلم .

وقوله : وذكر منهم أبا عمر ، هو أبو عمر الأشبيلى رئيس أهل الشورى بقرطبة والمقدم فيهم فى عصره ، وكان احفظ أهل زمانه ، ورعا صالحا حسن الخلق والسياسة والملاطفة وقافا مع الحق لا يلتفت فى ذلك إلى الأمراء . وأخباره مشهورة ، وفضائله مأثورة رحمه الله وغفر له .

واستجه : بكسر الهمزة ويقال بفتحها وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة وبالجيم .

وقوله : على نهر سنجل ، كذا وقع فى الأصل من الكتاب المذكور ، بالنون والجيم مهملا من الضبط ، وكتب فى الخارج شنيل ، بالنون والياء .

وقد سألت عن ذلك بعض أهل الأندلس ، فلم يعرف الأول وعرف الثانى وقال فيه شنيل ، بشين معجمة مفتوحة ونون مكسورة مشددة .

وقوله : ثم أسر صاحبها فصالحه على الجزية ، ذكر ابن أبى الفياض أنه كان علجاً شديداً شاكى السلاح ، وأن طارقا أصبح يوما على جنابة فنزل إلى الوادى ليغتسل فيه ، فوافق العلج يعنى صاحب المدينة فى النهر فى ظلام الليل فصرعه وأخذه أسيراً ، فبقى الروم باستجة لا أمير لهم فصالحوا طارقا على الجزية .

---

(١) لعلها اشبالى Hispalis وهو الاسم القديم لاشبيلية راجع (العذرى ص ٩٥) .

وقوله : فُوّهَته بضم الفاء وتشديد الواو ، والمراد بالفوهة فم النهر ، يقال فوهة النهر وفوهة الطريق وفوهة الزقاق .

وشقورة : بضم الشين المعجمة وضم القاف وتخفيفها وبالراء المهملة .

وقوله : من أجل البنيان قدرا بسكون الدال ، وقدر الشيء مبلغه ، فأما قدر الله عز وجل ، ففيه لغتان : سكون الدال وفتحها ، والفتح أشهر قال الشاعر :

كل شيء حتى أخوك مناع   وبقدر تفرق واجتماع

والأرز : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة والزاى المعجمة شجر من الشجر العظام معروف .

وشُقُنده : بضم الشين المعجمة وضم القاف وسكون النون وبالدال المهملة .

وقوله : بموضع صورة الأسد ، قال ابن أبى الفياض : دله على ثلمة كانت فى السور فى برج الأسد .

وقوله : وتغلقوا داخلها ، يريد والله أعلم أغلقوا أبوابها .

ولبلة : بكسر اللام وسكون الباء المنقوطة بواحدة ، وقد يقال لبله بفتح اللام والوجهان جائزان على ما أصله أبو الفتح .

وقوله : فى الفقيه الحافظ القاضى أبى الوليد الباجى شاعر أنشد له صاحب القلائد (١) .

إذا كنتُ أعلم علماً يقيناً   بأن جميع حياتى كساعهْ
فلم لا أكون ضنيناً بها   وأجعلُها فى صلاحٍ وطاعهْ

والسِيانانى : بكسر السين المهملة ، كذا وقع فى النسخة المذكورة ، وهو بسكون الميم وبنونين بينهما ألف ، قال فى اختصار اقتباس الأنوار ، سمنان

---

(١) راجع (الفتح ابن خاقان : قلائد العقيان ص ٢١٥ - ٢١٦) ولقد أورد الحميرى أيضاً (هذين البيتين فى كتابه الروض المعطار ص ٣٦) .

مدينة من عمل قومس ينسب [١٦٢ ب] إليها أبو بكر أحمد بن داوود بن إبى نصر السمنانى ، سمع محمد بن أبى السرى العسقلانى ، وأبا عبد الملك صفوان ابن صالح الدمشقى ، ذكره أبو أحمد الحكم .

وقوله فأداخها بالدال المهملة ، والصواب أن يقال داخها ، يقال : داخ البلاد يدوخها إذا قهرها واستولى عليها ودوخها . ولعله يريد أنه جعل جنده يدوخوها ولذلك قال أداخها .

وقوله : ومارِدة براء مكسورة مهملة ودال مهملة أيضاً ، ويحتمل أن تكون سميت بذلك لخصائصها ومنعتها .

والبريقة : أرى أنها سميت بذلك لبريقها وعلى ذلك فحكمها أن تكون بفتح الباء وكسر الراء .

وقوله : خمسة عشر ذراعاً ، كذا وقع ولعله على لغة من يذكر الذراع والأحسن أن يقال خمس عشرة ذراعا .

وبُخْتَ نَصَّر : بضم الباء وسكون الخاء المعجمة وفتح النون وتشديد الصاد المهملة ، ويجوز لك فى التاء وجهان ، تبنيها على الفتح فى الأحوال الثلاثة ، وأن تجريها بالاعراب على اعتبار تركيب الاضافة وغيره .

وبُزْيان : بضم الباء المنقوطة بواحدة وسكون الزاى المعجمة وبعدها ياء أخت الواو وألف ونون .

وقوله : منعة : يجوز فيه وجهان سكون النون وفتحها وقد تقدم .

وتاجُه : بالتاء المثناة وضم الجيم وسكون الهاء .

وقوله : غير أن الخبثة من العجم : يحتمل أن يكون جمع خبيث حمل فعيلا على جمع فاعل ، فإن فعلة بتحريك العين إنما هو جمع فاعل الصحيح كراكب وركبه .

وقوله : مما يتنوق عليه الملوك ، قال صاحب الصحيح : تنوق فى الأمر أى تأنق فيه ، وبعضهم لا يقول فيه تنوق ، والاسم منه النيقة . وفى المثل : « خرقاء ذات نيقة » ، يضرب للجاهل بالأمر وهو مع جهله يدعى المعرفة ويتأنق فى الإرادة . ذكره أبو عبيد ، وقال فى المختصر : والنيق والنيقة من التنوق ، وتنيق لغة فى تنوق .

والملح الذَرءانى[1] : بفتح الذال المعجمة وسكون الراء المهملة وفتحها معاً والهمزة والمد ، هو الشديد البياض . قال صاحب الصحاح وهو مأخوذ من الذُراة ، ولا تقل مَدرانى . قال والذُرا بالتحريك الشيب فى مقدم الرأس[2] ، رجل أذرا وامرأة ذرءا ، وذرأ شعره ، وذرأ لغتان والاسم الذراه بالضم .

والنساء : بفتح النون وبهمزة مقصورة ، وبعض الناس يقوله بالمد والظاهر أنه بالقصر ولذلك يقال النسوى بالواو أيضاً . قال فى اختصار اقتباس الأنوار : النسوى نسبة إلا نسا كورة من كور نيسابور ، كذا قال اليعقوبى ، وقال المسعودى من أرض فارس . قال عبد الغنى بن سعيد نسا موضع خراسان وهو موافق لنا . قال اليعقوبى : منهم زهير بن حرب بن شداد أبو خثيمة النسوى ويقال النساءى ، هو من شيوخ البخارى ومسلم ، وهو والد أبى بكر صاحب التاريخ . روى عن هشيم واسماعيل بن عليه ، وجرير ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن ابن مهدى ،

---

(١) فى هذا الصدد يقول الجغرافى الأندلسى المعروف أحمد بن عمر العذرى المتوفى بالمرية سنة ٤٧٨ هـ : « وفى مدينة سرقسطة معدن الملح الذرانى وهو الملح الأبيض الصافى الأملس . ولا يدخل سرقسطة حنش أصلا ولا يعيش فيها ، فمن أهلها من يقول إن فيها طلسما للحناش ، ومنهم من يقول إن أكثر مدينة سرقسطة مبنى من الرخام الذى يجلب إليها ، وهو رخام رخو ، وهو صنف من الملح الذرانى ، فهو الذى لا تقدر الحناش على دخول الموضع الذى يكون فيها ذلك الملح .
راجع (العذرى : ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والمسالك إلى جميع الممالك ص ٢٢ — ٢٣ تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهوانى مدريد ١٩٦٥) .

(٢) فى (أقرب المراد) الذراه بياض الشيب أول ما يبدو فى الفورين يقال قد علته ذراه .

وبشر بن السرى . توفى ببغداد سنة أربع وثلاثين ومائتين ثم قال : النساءى نسبة إلى نسا والقياس النسوى وقد تقدم فى الباب قبل هذا .

وجِلِّيقِية : بكسر الجيم وكسر اللام وتشديدها وكسر [١٦٣ ا] القاف وياء أخت الواو مخففة وآخره تاء تأنيث .

ولُكّ : بضم اللام وتشديد الكاف . ولُكّ أيضاً من عمل الإسكندرية[1] .

والسُرْيانيون : بضم السين المهملة وكسر الراء وتشديدها هذا هو الجارى على الألسنة ، وقد يقال بإسكان الراء .

وإدار : بالمد وبالدال المعجمة وقد تقدم .

وقوله : بعينه قبل : هو أن تكون العين يميل نظرها إلى ناحية الأنف . وقد قَبِلت عينه بالكسر قَبَلاً بالفتح فهو أقبل وذلك أن يميل سوادها إلى ناحية الأنف .

وتدمير بضم التاء المثناة وسكون الدال المهملة وكسر الميم وبعدها ياء أخت الواو وراء مهملة . ويحتمل أن تكون مدينة تدمير وهى بلنسية من بلاد الأندلس ، سميت باسم هذا الملك .

وقوله : أمن السماء سقطوا أو من الأرض ارتفعوا ، كذا وقع بأو وذلك لوقوع الشك فى الطرفين ، فإن أم المعادلة للهمزة إنما تكون مع أحد الطرفين ،

---

(١) المقصود هنا بمدينة لك ، الأولى مدينة Lugo الحالية فى منطقة جليقية أو غاليسيا وقد سبق أن عرفنا بها أما عن مدينة لك الثانية فقد ذكرها ياقوت بقوله (معجم البلدان ج ٧ ص ٣٧٧) : لك بالضم وتشديد الكاف ، بلدة من نواحى برقه بين الاسكندرية وطرابلس الغرب ، ينسب إليها أبو الحسن مروان اللكى الشاعر . . وأبو الحسن على بن سند بن عباس اللكى مات سنة ٥٢٠ هـ وكان من الصالحين .

وهذا النص مهم من الناحية التاريخية من حيث أنه يبين مدى امتداد نفوذ الإسكندرية إلى تلك الجهات الغربية .

والشك فى تعينه . فإذا قلت : أقام زيد أو عمرو فأنت شاك فى قيامهما ، وإذا قلت أقام زيد أم عمرو ، فأنت عالم بقيام أحدهما وسألت عن تعينه .

وقوله : وما ينفع الجيش الكثير التفافه ، البيت هو من شعر أبى الطيب المتنبى من قصيدته التى أولها :

عدوك مذموم بكل لسان . . .

ولم يقع البيت فى كتاب الإمامة والسياسة ، ولم يمكن ذلك فإن عصر ابن قتيبة متقدم على عصر المتنبى ، ولكن ألحقته لأنه لائق بالمكان .

وقوله : فالغوث الغوث ! أى أغثنا ، والغوث من المصادر التى جاء فعلها بالزيادة ، فانهم قالوا أغاث ولم يقولوا غاث ، وقد تقدم الكلام عليه .

وهرم بن عياض ، لم أقف له على خبر ولعله ابن عياض بن عقبة بن نافع .

وقوله : والأساقفه هم جمع أسقف ، والشماسنه جمع شماس وهو العالم عندهم وقد تقدم .

والطنفسه وقعت القراءة فيها فى الموطأ ، قال القاضى أبو الوليد رحمه الله : الطنافس هى البسط كلها ، واحدها طنفسة كذا رويناه بالكسر . ووقع فى كتاب مقيد طنفسه بالكسر وطنفسه بالضم وقال أبو على الطنفسه بالفتح لا غير . انتهى كلام الشيخ أبى الوليد .

وفى الصحاح : الطَنَفَسه والطِنفَسه واحدة الطنافس وقع بفتح الطاء وكسرها معاً وفتح الفاء . وفى المختصر : الطِنْفِسه ، النمرقة فوق الرجل ، وقع بكسر الطاء والفاء معاً .

وقوله : بقضبان الذهب ، يجوز فيه وجهان : ضم القاف وكسرها .

وتظلع : بالظاء المعجمة وفتح اللام ، يقال ظَلَعت الدابة تظلع بالفتح فيهما ظلعا بالسكون ، إذا غمزت برجلها .

والأفرنج بفتح الهمزة وفتح الراء وقد تقدم .

والمغيرة بن أبى بردة ، هو والله أعلم أبو بردة بن أبى موسى الاشعرى عبد الله بن قيس الصحابى رضى الله عنه .

وقوله : اللهم أخرجهم من ذلك الباب ، وأصبحوا قد خرجوا ، هذه كرامة من كرامات موسى أجاب الله عز وجل دعاءه .

وقوله : جعفر بن الاشتر ، يحتمل أن يكون ولد الأشتر النخعى والله أعلم .

[١٦٢ ب] وما ذكره من تكبير موسى وانهزام ناحية الحصن ، كرامة أيضاً وذلك كله بفضل الله وبركة رسول الله (صلعم) ، فإن كرامات الأولياء معجزة للنبى (صلعم) فإنهم إنما نالوها بالاقتداء به (صلعم) واقتفاء سننه ، جعلنا الله عز وجل ممن اقتفاها ، وطهر نفسه من شوائب المخالفة وحماها .

وعبد الرحمن بن سالم وابن صخر ، لا أذكر الآن أنى وقفت لهما على خبر ، وكذلك عبد الحميد بن حميد .

وعقبة بن نافع الفهرى رحمه الله مشهور الاسم والأثر والخبر ، واذكرها هنا ما قاله فيه الشيخ أبو عمر رحمه الله قال : عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهرى ولد على عهد رسول الله (صلعم) ، لا تصح له صحبة ، كان ابن خالة عمرو ابن العاص ، ولاه عمرو بن العاص افريقية وهو على مصر فانتهى إلى لواته ومزاته فطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته ، فقتل وسبا وذلك فى سنة إحدى وأربعين ، وافتتح ودان وهى من حيز برقة من بلاد افريقية ، وافتتح عامة بلاد البربر ، وهو الذى اختط القيروان وذلك فى زمن معاوية فالقيران اليوم حيث اختطها عقبة . وكان معاوية بن حديج قد اختط القيروان بموضع يدعا بالقرن ، فنهض إليه عقبة فلم يعجبه فركب بالناس إلى موضع القيران اليوم ، وكان واديا كثير الأشجار غيضة مأوى للوحوش والحيات فأمر بقطع ذلك وحرقه واختط القيروان وأمر الناس بالبنيان .

وقال خليفة بن خياط ، وفى سنة خمسين وجه معاوية عقبة بن نافع إلى افريقية فاختط القيروان وأقام بها ثلاث سنين . وروى محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال لما افتتح عقبة بن نافع افريقية ، وقف على القيروان فقال يا أهل الوادى إنا حالون إن شاء الله ، فاظعنوا ، ثلاث مرات . قال فما رأيت شجرا ولا حجرا إلا تخرج من تحته حية أو دابة حتى هبطن الوادى ثم قال انزلوا بسم الله . وقتل عقبة بن نافع سنة ثلاث وستين بعد أن غزا سوس القصوى ، قتله كسيلة بن لمزم الأدرى ، وقتل معه أبا المهاجر دينارا ، وكان كسيلة نصرانيا ، ثم قتل كسيلة فى ذلك العام أو فى العام الذى يليه ، قتله زهير بن قيس البلوى . ويقولون إن عقبة كان مستجاب الدعوة .

والقيروان بفتح القاف وفتح الراء ، واجاز صاحب تثقيف اللسان ضم الراء . قال الأستاذ أبو محمد بن السيد البطليوسى رحمه الله عن أبى العلاء صاعد بن الحسين الربعى قال حدثنى على بن مهدى الفارسى قال سمعت ابن دريد يقول القيروان بفتح الراء : الجيش ، والقيروان بضم الراء : القافلة . قلت : القيروان فى اللغة معظم العسكر وهو بفتح الراء . وقال ابن قتيبة ، والقيروان أصله بالفارسية كاروان فعرب قال امرؤ القيس :

وغارة ذات قيروان كأن أسرابها الرعال

قال والقيران معظم الشىء والكاروان بالفارسية جماعة الناس والقافله .

قلت وقوله فى هذا البيت كأن اسرابها الرعال : الاسراب جمع سرب بكسر السين وهو الجماعة وأصل السرب الجماعة من النساء والظباء والقطا . والرعال جمع رعلة وهى القطعة من القطا شبههم بها فى السرعة .

وحنش الصنعانى بفتح الحاء المهملة وفتح النون وبالشين المعجمة وهو منسوب

إلى صنعاء التى بالشام[1] . قال ذلك البكرى رحمه الله ، وهذا النسب على غير قياس وقياسه الصنعاوى كما تقول فى النسب إلى حمراء حمراوى ، وهو حنش بن عبد الله بن عمر بن حنظلة قال البكرى يكنى أبا راشد ، قال ويقال حنش بن على والصواب عبد الله وهو الذى أسس المسجد الجامع بسرقسطة وقبره بسرقسطة معلوم[2] انتهى كلام البكرى . وحنش هذا عده أبو العرب بن تميم فيمن دخل افريقية من جلة التابعين قال وهو الذى افتتح جزيرة أبى شريك وقتل أهلها . وجهه إليها أبو المهاجر . وعده البكرى فيمن دخل الأندلس ومن التابعين[3] .

وقوله : حتى أوقفهم (على رومية) ، كذا وقع رباعيا ، والمختار حتى أقفهم ، قال صاحب الصحاح ويقال وَقَفَت الدابة تقف وقوفا ووقفتها أنا وقفا ، يتعدى ولا يتعدى . ووقفته على ذنبه أى أطلعته عليه ، ووقفت الدار للمساكين وقفا . وأوقفتها بالألف لغة رديئة ، وليس فى الكلام أوقفت الآخر ، فأوقفت على الأمر الذى كنت فيه أى أقلعت ، قال الطرماح :

جامحا فى غوايتى ثم أوقفت رضاه بالتقى وذو البر راضى

قال وحكي أبو عمرو كلمتهم ثم أوقفت أى أمسكت ، وكل شىء تمسك عنه تقول فيه أوقفت . وحكي أبو عبيد فى المصنف عن الأصمعى واليزيدى أنهما ذكرا عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال لو مررت برجل واقف فقلت له ما أوقفك ها هنا ؟ لرأيته حسناً ، وأى شىء أوقفك ها هنا أى أى شىء يصيرك إلى الوقوف .

---

(١) قال ياقوت (معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨٦ - ٣٩١) صنعاء موضعان أحدهما باليمن وهى العظمى وأخرى (وهى المقصودة فى المتن) قرية بالغوطة من دمشق عند باب دمشق دون المزة مقابل مسجد خاتون خربت وهى اليوم مزرعة وبساتين . ثم أورد ياقوت بعد ذلك (ص ٣٩٢) أسماء العلماء والمحدثين الذين ينسبون إلى صنعاء دمشق ومن بينهم حنش بن عبد الله الصنعانى الذى أفرد له ترجمة وافية .

(٢) حول قبر التابعى حنش الصنعانى راجع (العذرى نفس المرجع ص ٢٢ - ٢٣ ، الحميرى : الروض ص ٩٧) .

(٣) حول ترجمة حنش الصنعانى راجع كذلك Bencheneb. *Classes des savants*, p. 57 note 2.

وعبد الرحمن بن سالم لم أقف له على خبر .

وقوله من ذهب خليطين ، كذا وقع ، والمراد والله أعلم من ذهبين خليطين ، يريد أن أحدهما شديد الحمرة والآخر دونه فلذلك قال يتلون صفرة وبياضاً .

وقوله من ذهب خليطين بالافراد فى الموصوف والتثنية فى الوصف على الإرادة بالمفرد معنى التثنية كما يراد به الجمع ويوصف بذلك كقوله : ومعا جياعا وقد تقدم .

وقوله عياض ابن عقبة هو والله أعلم ابن عقبة بن نافع ، وقد تقدم ذكره . وسليمان بن نجدة هذا لم أقف له على خبر .

ومَيُورقه : بفتح الميم وضم الياء أخت الواو وبعدها ياء ساكنة وراء مهملة وقاف وهاء تأنيث .

ومَنورقه : بفتح الميم وضم النون وسكون الراء المهملة وبعدها قاف وهاء تأنيث .

وفِلَسطين : بكسر الفاء وفتح اللام وقد تقدم .

ورَوْح بن زنباع : بفتح الراء وسكون الواو ، وأبوه زنباع ، بكسر الزاى المعجمة وسكون النون وهو مشهور الاسم والخبر .

والجَزْع : بفتح الجيم وسكون الزاى المعجمة ، وهو الخرز اليمانى الذى فيه سواد وبياض ولذلك تشبه به العيون كما قال أمرء القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا   وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

وقوله صلى الله عليه وسلم : « زويت لى الأرض » ، أى ضمت وجمعت أطرافها وقد تقدم . [١٦٤ ا] وانزوى الشئ أى انقبض وانضم ، ومنه إن المسجد لينزوى من النخامة . قال بعضهم ولا يكون الانزواء إلا بالانحراف مع تقبض .

ذكر غزاة صقلية(1)

—

قال البكرى : وأغزى معاوية ابن حُدَيْج جيشاً فى البحر إلى صقلية فى مائتى مركب .

وصف صقلية : اعلم أن ما أورده من الأوصاف عن البكرى رحمه الله ، فهو من كتابه المعروف بالمسالك والممالك من نسخة متممة بتتميم الكاتب الأجل أبى الحكم بن علندة(2) رحمه الله ، وأعارض ذلك بنسخة غير متممة ، إلا أنى اختصر من ذلك ما أرى اختصاره ، وكذلك أفعل أيضاً فيما أورده من كلام غيرهما والله المستعان .

ذكر البكرى رحمه الله أنَّ عرض جزيرة صقلية مائة وسبعة وخمسون ميلا ، وطولها مائة وسبعة وسبعون ميلا ، ودورها خمسمائة ميل . قال ويذكر(3) أنها مثلثة الشكل ، وهى كثيرة الضَّرع والزرع والفواكه . وبلرم(4) قاعدتها فى شمال الجزيرة على سبع ليال من المجاز . وبجزيرة صقلية البركان العظيم الذى لا يعلم فى العالم أشنع منظراً منه ، ولا أغرب خبراً . وهو فى جزيرتين شمالا من

---

(1) راجع : Michele Amari: *Biblioteca Arabo-Sicula*, Lepsia 1855, p. 209-213.

(2) فى امارى : غلندة .

(3) فى امارى : وذكر .

(4) فى امارى : وبلرمه ، وهى Palermo عاصمة صقلية ، وتقع على ساحلها الشمالى ، وقد زارها كثير من الرحالة المسلمين أمثال ابن حوقل والادريسى وابن جبير ووصفوها فى كتبهم .

انظر التفاصيل فى ابن الخطيب : كتاب أعمال الأعلام ، القسم الثالث الخاص بالمغرب وصقلية ، نشر أحمد مختار العبادى ومحمد ابراهيم الكتانى ، ص ١٠٣ — ١٠٤ حاشية ٢

هذه الجزيرة[1] ، فإذا هبت الريح الجوفية[2] ، سمع له دوى عظيم هايل كالرعد القاصف .

وبجزيرة صقلية قبر جالينوس[3] معلوم ، وكان شَخَص من مدينة رومة يريد الشام ليلقى أصحاب عيسى عليه السلام .

قال أبو الحكم : وبصقلية مياه حامضة ، وبصقلية معدن الكبريت الأصفر الذى لا يوجد بموضع مثله ، وهو بجزيرة البركان ، وله قطاعون عالمون بتناول ذلك ، قد تمرطّت شعورهم ، ونصلت أظفارهم من حرّه ويبسه . ويذكرون أنهم يجدونه[4] فى بعض الأيام سائلا متميعاً ، فيتخذون له فى الأرض مواضع يجتمع فيها ، ثم يجدونه فى غير ذلك الأوان قد تحجّر فيقطعونه بالمعاول[5] .

---

(١) لعل المقصود هنا جزيرة سترومبولى Stromboli التى تقع فى البحر المتوسط شمالى صقلية وجزر ليبارى ، وفيها بركان يقذف على الدوام دخاناً وناراً تظهر بوضوح أثناء الليل . وكانت هذه الجزيرة تسمى فى القديم سترنجيله ، وتعرف بمنارة البحر المتوسط . هذا ويوجد فى شمال صقلية بركان اخر بنواحى مسينة ما زالت ناره هو الآخر لم تخمد إلى اليوم وهو بركان اتنا Etna أو جبل النار كما تسميه المراجع العربية .

راجع وصف هذين البركانين فى (ابن جبير : الرحلة ص ٢٩٦ ، طبعة بيروت ١٩٥٩

راجع كذلك : M. Amari: *Biblioteca Arabo-Sicula,* pp. 82, 86, 135. (طبعة بالاوفست قامت بها مكتبة المثنى ببغداد عن النسخة الأصلية) .

(٢) لعل المراد هنا الريح الشمالية ، راجع كلمة جوف فى :
Dozy: *Supplement aux Dictionnaires Arabes,* I, p. 235.

(٣) لعله يقصد الطبيب اليونانى جالينوس الحكيم Galen (١٣٠ — ٢٠٠ م) الذى اشتهر باكتشافاته فى علم التشريح ، واعتبره أطباء العرب بعد ذلك من أئمة الطب المرجوع إليهم فى صناعة الطب . يؤثر عنه أنه طاف ببلاد كثيرة طلباً للعلم مثل آسيا الصغرى وفلسطين ومصر وصقلية وكريت وقبرس ، واستقر فى روما فترة طويلة مداخلا للملوك والرؤساء . واختلفت المراجع حول مكان وفاته ، فالبعض يرى أنه مات بمدينة الفرما فى آخر أعمال مصر أثناء توجهه نحو الشام . راجع : (أبو الوفاء المبشر بن فاتك : مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٢٨٨ — ٢٩٥ ، نشر عبد الرحمن بدوى) والبعض الآخر يتفق مع المتن فى أنه مات بصقلية . راجع :
Encyclopedia Britannica, art Galen, Vol. 9 p. 972.

(٤) فى امارى : يجدوه .

(٥) فى الأصل : المعاويل .

وبجزيرة صقلية أبار ثلاثة يخرج منها فى وقت معلوم من السنة زيت النَّفط وذلك فى شهر شباط[1] وشهرين بعده . وينزل فى البئر على دَرَك ويرقى على درك آخر ، يُخَمِّرُ الرجل الذى يدخل البئر رأسه ويسدّ مسام أنفه وإن تنفس فى أسفل البئر هلك من ساعته . وما أخرج منه وضع فى قصار ، فيعلوا الدهن منه وهو المستعمل . وهذه الآبار على مقربة من سَرَقوسة[2] . وبمدينة صقلية نهران يطّردان من عين واحدة .

وفى اختصار اقتباس الأنوار : جزيرة صقلية كبيرة ، وصقلية اسم لإحدى مدنها فنسبت الجزيرة كلها إليها ، وفيها مدن كثيرة وقلاع وقصاب . وطول هذه الجزيرة مسيرة سبعة أيام ، وعرضها مسيرة خمسة أيام ، وهى فى البحر الشامى موازية لبعض بلاد افريقية . انتهى بحمد الله .

قال فسبوا وغنموا وأقاموا شهراً وانصرفوا إلى افريقية بغنائم كثيرة وأصنام منظومة بالجوهر ، واقتسموا فيهم ، وبعث معاوية بن حديج بالخمس إلى معاوية ابن أبى سفيان رحمه الله .

ذكر غزاة البحر

—

تقدم قول من قال إن موسى هو الذى خرق المجرى بتونس إلى دار الصناعة وأنه أمر بصناعة مائة مركب ، وهو الواقع فى كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة . قال فأقام فى ذلك بقيه سنة أربع وثمانين . ثم لمـــا كانت سنة

---

(١) أى شهر فبراير .

(٢) سرقوسه Syracuse وهى من أكبر مدن صقلية وعاصمتها قديمـــاً ، وتقع على ساحلها الشرقى ، وقد وصفها بعض الجغرافيين المسلمين أمثال الادريسى والمقدسى . راجع :
Amari: *Biblioteca Arabo-Sicula*, I, p. 36, 112.
راجع كذلك وصف البكرى لها فى الصحيفة التالية .

خمس وثمانين أمر الناس بالتأهب لركوب البحر ، وأعلمهم أنه راكب بنفسه ، فرغب الناس ، وتسارعوا ولم يبق شريف ممن كان معه إلا ركب ، حتى إذا لم يبق أحد ، دعا بلواء ؛ فعقده لابنه عبد الله ، وولاه عليهم ، وأمره[1] أن يرفع من ساعته . وإنما أراد موسى بما قال ، أن يركب أهل الجلد والنكاية والشرف ، فسميت غزوة الأشراف .

قال وكانت أول[2] غزاة غزيت فى بحر أفريقية ، فسار عبد الله فى غزاته تلك إلى صقلية ، فافتتح فيها وأصاب من المال مالا يدرى . ثم انصرف قافلا سالماً ، ثم عقد لغيره على مراكب افريقية ، فاصاب مدينة يقال لها سرقوسة .

وصف سَرَقوسة : قال البكرى رحمه الله وقد ذكر جزيرة[3] سرقوسة وبينها وبين جزيرة صقلية مجاز لطيف . قال ومدينة سرقوسة [١١٩ ا] مدينة كبيرة عليها ثلاثة أسوار[4] ، وفيها مرسى يعرف بالمِينَة[5] الصغيرة وبينه وبين مرسى المينة الكبيرة حفير ، وعلى الحفير قنطرة إلى المدينة . والمنية الكبيرة مرسى ومشتى للسفن . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

ثم أصاب بعدها سَرْدَانية ، فافتتح مداينها ، فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والخُرثى[6] .

وصف سَرْدَانِية : قال البكرى رحمه الله ، وجزيرة سردانية كثيرة الزرع والضرع والخيرات ، وطولها مائة وثلاثون ميلا ، وعرضها مائة وعشرون ميلا .

---

(١) فى امارى : ثم أمره .

(٢) فى امارى : أولى .

(٣) إطلاق البكرى كلمة جزيرة على سرقوسه يؤيده قول الادريسى فى وصفها : «والبحر محدق بها دائر بجميع جهاتها ، والدخول إليها والخروج عنها على باب واحد وهو بشمالها . راجع :
Amari: *Op. cit.* I, p. 36.

(٤) فى الأصل : أسواق ولعل قراءة أمارى أصح وهى التى أوردها فى المتن .

(٥) فى الأصل : المنيه ولعل قراءة أمارى أصح وتعنى الميناء .

(٦) الخرثى : سقط المتاع والخرثاء ، المرأة الضخمة .

قال ولجزيرة سردانية أربع مدن ، ثم قال : وجزيرة سردانية كثيرة الأنهار والخيرات ، ويذكر أن من فيها من النصارى ناقلة من بلاد البربر وهم يطيلون الشعور كشعور النساء ، وسلاحهم المزاريق ، وهم كشف لا تراس لهم إلا دَرَق . وبسردانية حَمَّات شديدة الحر وليس يكون فيها شيء من الهوام ولا السباع المؤذية . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

شرح وتحقيق

[١٢٥ ا] ومعاوية بن حُدَيج ، بضم الحاء وفتح الدال ، وكأنه تصغير حِدج بكسر الحاء وسكون الدال ، وهو مركب من مراكب النساء ، أو تصغير حادج ، تصغير الترخيم ، والحادج من قوله حدجه ببصره إذا ما رماه به ، ومنه قولهم حدث القوم ما حدجوه بأبصارهم أى ما رمقوك وكانوا مقبلين عليك للاستماع . ويحتمل أن يكون تصغير حدج بفتح الحاء وفتح الدال وهو الحنظل إذا اشتد وصلب والواحدة حدجة .

[١٢٥ ب] وقوله المواجل خطأ والصواب المآجل والواحد ماجل بهمزة سكنه وهو مجتمع الماء ، وقد تأجل الماء فهو متأجل وماء أجيل مجتمع . والقِصاب بكسر القاف جمع قَصَبة كرقبة ورقاب ، والمراد بالقصبة هنا والله أعلم ما كان من المبانى ضيقاً مستطيلا كالصومعة[1] .

وقد ذكر فى وصف ماجل القيروان ما يدل على أن المراد عنده بالقصبة أعلا الصومعة الذى يشرف منه على نواحيها فإنه قال فى وسطه صومعة مثمنة

(١) ذكر ابن الشباط فى موضع آخر (ورقة ١٤١ ، ١٤٣) والصومعة بفتح الصاد وفتح الميم قال صاحب الصحاح وأتانا بثريدة مصمعة إذا دققت وحدد رأسها . ثم يقول والصومعة هى المئذنة التى هى مفعلة من الآذان . هذا وما زال لفظ الصوامع يطلق على المآذن فى المغرب إلى الآن .

فى أعلاها قصبة [١٢٦ ا] مفتحة على أربعة أبواب ، تحمل أحد عشر رجلا لا خلل بينهم . واعلم أن الأصل فى القصبة وسط القرية ، قيل سميت بذلك لأنها مجتمع الناس كاجتماع المخ فى القصبة . فقصبة القرية وسطها وقصبة السواد مدينته ولذلك سمى موضع الملك من المدينة بالقصبة لأنه موضع مجتمع الناس من الأجناد وغيرهم والله أعلم .

[١٢٦ ب] والنَّشَف : بفتح النون وفتح الشين المعجمة ، حجر معروف تدلك به الأرجل وهو الذى يقال له الخفـاف ، ويقال فيه نشف بالسكون أيضاً والواحدة نَشْفة ، ونشفة بالفتح والسكون أيضاً وهو يطفو أى يعلو ولا يغوص فى الماء .

والبركان بضم الباء وسكون الراء ، هو موضع النار العظيمة التى بصقلية وهى من عجائب العالم ودلائل القدرة الأزلية ، فإنها نار دائمة الاتقاد لا تطفأ ولا تخبو ولا تفتر . يرمى من فيها بالحجر العظيم أو القطعة الكبيرة من الجبـل فتقذفها النار وهى نشفة . وهذه النار دلالة فى هذا العالم على نار جهنم أعاذنا الله منها برحمته وفضله وكرمه ويقال إن هذه النار من تنفس جهنم والله أعلم .

[١٢٧ ا] وصَقَلية : بفتح الصاد وفتح القاف ، كذا سمعت بعض علمائنا يقوله وكان ينشد قول ابن حمديس ، ذكرت صقلية والأسى[١] كذلك وكذا . وقع فى بعض نسخ تثقيف اللسان ، والجارى على الألسنة كسر الصاد وكسر القاف ، قال صاحب تثقيف اللسان[٢] ويقولون سقلية والصواب صقلية بالصاد ، فأما سِقلية بالسين مكسورة ، فضيعة فى غوطة دمشق . قال والأصل فيما يظهر فيهما واحد : عربت هذه فقيلت بالصاد ، وبقيت تلك على حالها . وسقلية

---

(١) ذكرت صقلية والأسى يهيج للنفس تذكارها
راجع القصيدة فى ديوان ابن حمديس ص ١٥٢ — ١٥٦ نشر Schiaparelli بروما ١٨٩٧ ، وفى ص ١٨٠ — ١٨٣ نشر إحسان عباس ، بيروت ١٩٥٩

(٢) تثقيف اللسان من تأليف ابن قطاع الصقلى . راجع السيوطى : طبقات اللغويين والنحاة .

بالسين اسم رومى ، تفسيره تين وزيتون . قال وإلى هذا المعنى أشار أبو على الحسن بن رشيق رحمه الله حين مدح صقلية بقوله :

أخت المدينة[1] فى اسم لا يشاركها فيه سواها من البلدان والتَمِس
وعظَّم الله معنًى لفظهـا قسماً قَلِّدْ إذا شئتَ أهلَ العلمِ أو فَقِس

واعلم أن ظاهر قوله فأما سقلية بالسين مكسورة بعد ذكر صقلية أولا ، يؤذن بأن الصاد عنده مفتوحة ، ولذلك قيَّد السين بالكسر لكن قوله بعد ذلك أن أصلها فيما يظهر واحد ، يؤذن بكسر الصاد ، إلا أن يقال إن تعريب صقلية كان بوجهين : أحدهما بابدال السين صاد ، والثانى بابدال الكسرة فتحة ، وبقيت سقلية التى لم تعرب على حالها ، والله عز وجل أعلم ، ولعل الوجهين بعد هذا جائزان فإن العرب كما تقدم تتلاعب بهذه الأسماء الأعجمية .

وقوله[2] : عُرِّبَت ، بضم العين وتشديد الراء ، أى تكلمت العرب بها وادخلتها فى لسانها . فأما أعربت بالألف فمعناه أجريت فيها أحكام الإعراب الذى هو ضد البناء ، وقد يقال أعربت أيضاً فى المعنى الأول .

وبَلَرْمة : بفتح الباء المنقوطة بواحدة وفتح اللام وسكون الراء ، مدينة من مدن صقلية معروفة .

وقوله فى جزيرتين شمالا من هذه الجزيرة ، كذا وقع فى جزيرتين بالتثنية ، وهو والله أعلم غلط من الناسخ والصواب فى جزيرة بالافراد ، لأنه لو كان فى جزيرتين ، لكانا بركانين ، ولا يذكر فى ذلك إلا بركانا واحداً ، لكنه ذكر بعد ذلك أن البركان إنما كان فى جزيرة واحدة ثم حدث بعد ذلك فى جزيرة أخرى ، وهذا يدل على صحة كونه فى جزيرتين .

---

(١) كذا وفى امارى : العدينة ، وكذلك فى مراصد الاطلاع .
(٢) الفقرات التالية حتى نهاية النص لم ترد فى أمارى .

وقوله شمالا منصوب على الظرف أى فى ناحية الشمال .

والدَّوىّ بفتح الدال وتشديد الياء ، قال أبو المنصور رحمه الله ، الدوى صوت النحل والأذن والرعد والمطر .

وقوله كالرعد القاصف أى الشديد .

والمعْدِن بفتح الميم وكسر الدال معروف ، وهو مشتق من عَدَن بالمكان بالفتح ، يعدِن بالكسر ، عدنا ، إذا أقام به ، ومنه والله أعلم قوله عز وجل جنات عَدْن .

وقوله وهو بجزيرة البركان يؤذن أن ما تقدم من قوله جزيرتين غلط وتمرطت شعورهم أى سقطت وانتثرت .

ونصلت أظفارهم أى خرجت يعنى أن أظفارهم خرجت من أصولها يقال نصل الحافر وغيره نصولا إذا خرج من موضعه ، وكذلك الخضاب ، ولحية ناصله إذا خرج خضابها ، والأصل والله أعلم ناصل خضابها ثم نسب النصول إليها ، ويقال نصل الشعر إذا نصل خضابه والأصل فيه ما تقدم ، وقد يكون كل واحد منهما على بابه لأن من نصل عن شىء نصل عنه الآخر .

وقوله بالمعاويل ، كذا وقع بالياء ، والصواب بالمعاول ، لأن الواحد مِعْوَل بكسر الميم . قال صاحب الصحاح : والمعول الفأس العظيمة الذى ينقر بها الصخر . وأما قول الشاعر فى وصف الحمام :

فأذا دخلت سمعت فيه زَقَّـةً لَغَطَ المعاول فى بيوت هداد

فان معاول وهداد حيان من الأزد .

والنفط : بفتح النون وكسرها معاً وسكون الفاء وهو معروف . قال صاحب الصحاح والكسر أفصح .

وسُباط بضم السين المهملة هو فبراير .

وقوله ينزل إليها على دراك ، والدراك هنا عبارة عن الدرج الذى ينزل منه إلى أسفل ، وأصل الدراك القعر ، والنار الدركات أعاذنا الله عز وجل منها بمنه وبركة رسوله (صلعم) .

والجنة درجات ، جعلنا الله برحمته من وارثيها ، فالدرجات على هذا ما كان للارتفاع والدركات عكسها ، وعليه جاء قول الفقيه أبي الفضل النحوى رحمه الله : وتزولهم وطلاعهم ، فإلى دراك وعلى درج .

وقوله يرقى على دراك آخر ، كان الواجب أن يقول : يرقى على درج ، لكن لما كانت الجهتان ، والله أعلم ، ينزل منهما قال ويرقى على درك آخر فيها باعتبار النزول لا باعتبار الصعود ، وقد يكون ذلك من باب تسمية الشيء باسم ضده للمقابلة على جهة المجاز ومنه قوله عز وجل : وجزاء سيئة سيئة مثلها . وقوله تعالى : لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال .

ويُخَمِّرُ الرجل بضم الياء وفتح الخاء وكسر الميم وتشديدها ، أى يغطى .

وسَرَقُوسه : بفتح السين وفتح الراء وضم القاف .

وسَرْدانيه : بفتح السين وسكون الراء وكسر النون وبياء مخففة .

والحمّات جمع حمّه بفتح الحاء وتشديد الميم وسميت بذلك لأن بها عيون ماء جاره .

الفهارس[1]

(١) شارك فى وضعها مشكوراً السيد أحمد الطوخى ، الطالب بقسم الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

فهرس الأعلام والقبائل والجماعات

فهرس البلدان والمواقع والجبال والأنهار

ثبت بأسماء المراجع العربية والاوربية

●

أولا : المراجع العربية

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن محمد الجزرى) ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٣ م
الكامل فى التاريخ (القاهرة ١٣٠٣ هـ)
الأب انستاس الكرملى :
النقود العربية وعلم النميات (القاهرة ١٩٣٩)
أويثى ميراندا :
على بن يوسف (مجلة تطوان ١٩٥٨)
وقعة أقليش ومصرع الأمير شانجة (مجلة تطوان ١٩٥٧)
البيان المرابطى لابن عذارى (مجلة هبريس تمودا ١٩٦١)
البكرى (عبد الله بن عبد العزيز المرسى ، ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م)
المسالك والممالك ، صورة خطية بمعهد الدراسات الإسلامية بمدريد عن نسخة الزاوية الناصرية بالمغرب .
المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر دى سلان (باريس ١٩١١)
ابن الأبار (أبو عبد الله محمد القضاعى البلنسى ، ت ٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م)
التكملة لكتاب الصلة ، جزءان نشر كوديرا (مدريد ١٨٨٧)
المعجم (مدريد ١٨٨٦)

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك ت ٥٧٨ هـ ١١٨٣ م).
الصلة في تاريخ أئمة الأندلس جزءان، نشر كوديرا ١٨٨٣

ابن بسام (أبو الحسن على الشنتريني) ت ٥٤٣ هـ ١١٤٨ م
الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة. القسم الأول جزءان، والقسم الرابع الجزء الأول القاهرة (١٩٣٩—١٩٤٥)، والقسم الثالث مخطوط بالأكاديمية التاريخية بمدريد رقم ١٢

التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد، ت حوالى ٧١٧ هـ ١٣١٧ م)
رحلة التجانى فى البلاد التونسية والقطر الطرابلسى، نشر حسن حسنى عبد الوهاب (تونس ١٩٥٨)

أبو تمام (حبيب بن أوس الطائى، ت ٢٢٨ هـ ٨٤٣ م)
ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى تحقيق محمد عبده عزام، المجلد الأول، مجموعة ذخائر العرب

ابن جبير (محمد بن أحمد الأندلسى، ت ٦١٤ هـ/١٢١٧ م)
رحلة ابن جبير (بيروت ١٩٥٩)

الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس، ت ٣٣١ هـ ٩٤٣ م)
الوزراء والكتاب. نشر مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى، القاهرة ١٩٣٨

الجيلالى (عبد الرحمن بن محمد)
تاريخ الجزائر العام. جزءان (الجزائر ١٩٥٤)

حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله ، ت ١٦٧٠ م)

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (اسطنبول ١٣٦٠ ه)

ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد الأندلسى ، ت ٤٥٦ ه/ ١٠٦٤ م)

جمهرة أنساب العرب

نقط العروس . نشر شوقى ضيف (مجلة كلية آداب القاهرة ١٩٥١)

حسن حسنى عبد الوهاب (ت ١٩٦٨ م)

مجلة الثريا . يناير ، فبراير ١٩٥٤

أبو الحسن على بن يوسف الحكيم (أواخر القرن الثامن الهجرى)

الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة . نشر حسين مؤنس (مدريد ١٩٦٠)

ابن حمديس الصقلى (أبو محمد عبد الجبار . ت ٥٢٧ ه/١١٣٣ م)

ديوان ابن حمديس نشر Schiaparelli سيكيا باريلى روما ١٨٩٧ ونشر احسان عباس ، بيروت ١٩٥٩

الحميرى (عبد المنعم السبتى الحميرى ، توفى فى أواخر القرن التاسع) .

الروض المعطار فى خبر الأقطار ، نشره وترجمه إلى الفرنسية ليفى بروفنسال القاهرة ١٩٣٧

ابن حيان (أبو مروان ت ٤٦٩ ه/١٠٧٩ م)

المقتبس فى أخبار بلد الأندلس — القطعة الخاصة بعصر عبد الرحمن الثانى — نشر محمود مكى

المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، القطعة الخاصة بعصر الحكم المستنصر ، نشر عبد الرحمن حجى (بيروت ١٩٦٥)

ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد القيسى الاشبيلى ت ٥٣٥ هـ/ ١١٣٤ م)
قلائد العقيان فى محاسن الأعيان (القاهرة ١٣٢٠)

ابن الخطيب السلمانى (لسان الدين أبو عبد الله محمد ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤ م)
أعمال الأعلام (الجزء الخاص بالأندلس) نشر ليفى بروفنسال، بيروت ١٩٥٦
أعمال الأعلام القسم الثالث الخاص بتاريخ المغرب نشر أحمد مختار العبادى ومحمد ابراهيم الكتانى (الدار البيضاء ١٩٦٤)
نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب نشر أحمد مختار العبادى (القاهرة ١٩٦٨)

ابن خلدون (أبو زكريا يحيي بن محمد ت ٧٨٠ هـ/ ١٣٧٩ م)
بغية الرواد فى ذكر ملوك بنى عبد الواد، نشره وترجمه إلى الفرنسية ألفردبل (الجزائر ١٩٠٣)

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م)
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (٧ أجزاء بما فى ذلك المقدمة) القاهرة ١٢٨٤ هـ
التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، نشر محمد بن تاويت الطنجى (القاهرة ١٩٥١)

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، طبعة محيي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٥٠)

ابن خير (أبو بكر محمد بن عمر بن خليفة الأموى الاشبيلى ت ٥٧٥ هـ/١١٧٩ م)

فهرسة ما رواه عن شيوخه ، نشر كوديرا (مدريد ١٨٩٣)

دوزى (رينهارت ت ١٨٨٤ م)

البيان المغرب

أحاديث الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ، ليدن ١٨٤٨

تكملة القواميس العربية جزءان ، ليدن ١٩٢٧

ابن أبى دينار (محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى ، ت ١٦٩٨ م)

المؤنس فى أخبار افريقية وتونس ، تونس ١٢٨٦

أبو الربيع سالم الكلاعى البلنسى (استشهد ٦٣٤ هـ/١٢٣٧ م)

الاكتفاء فى مغازى المصطفى والثلاثة خلفاء توجد منه طبعة مصرية قديمة كما نشر منه فى الجزائر القسم الأول المستشرق الفرنسى هنرى ماسيه .

زامباور

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى

الزبيدى (المرتضى ت ١٧٩١ م)

تاج العروس

ابن أبى زرع

الأنيس المطرب بروض القرطاس وتاريخ مدينة فاس (طبعة فاس ١٨٨٥)

الزركشى (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللؤلؤى ، كان موجوداً فى أواخر القرن التاسع الهجرى)

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (تونس ١٢٨٩ هـ)

الزركلى (خير الدين)

الأعلام فى عشرة أجزاء (القاهرة ١٩٥٩)

سارنيلى (كليكيا)

مجاهد العامرى (القاهرة ١٩٦١)

السبكى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين ت ٧٧١ هـ/ ١٣٧٠ م)

طبقات الشافعية ، ٥ أجزاء (القاهرة ١٣٢٤ هـ)

ابن سعيد المغربى (على بن موسى ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م)

المغرب فى حلى المغرب تحقيق شوقى ضيف مجموعة ذخائر العرب (القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٥٥)

السلفى (أبو الطاهر الشافعى ت ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠ م)

معجم السفر ، نشر قطعة منه احسان عباس بيروت ١٩٦٥ وتوجد نسخة خطية من هذا الكتاب فى مكتبة البلدية بالاسكندرية .

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ/١٥٠٥ م)

طبقات اللغويين والنحاة

تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة (القاهرة ١٣٥١ هـ)

ابن الشباط (محمد بن على بن محمد المصرى التوزرى ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م)

صلة السمط وسمة المرط ، شرح سمط الهوى فى الفخر المحمدى (مخطوط بالمتحف البريطانى رقم ٢١٨٦) كما توجد نسخة خطية أخرى فى جامعة الزيتونة بتونس .

الشيال (جمال الدين ت ١٩٦٧ م)

أعلام الاسكندرية

صاعد الأندلسي (أبو القاسم بن أحمد بن عبد الرحمن ت ٤٦٢ هـ/١٠٦٩ م)
طبقات الأمم (مطبعة السعادة بالقاهرة)
صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد
الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيي القرطبي ت ٥٩٩ هـ/١٢٠٣ م)
بغية الملتمس فى تاريخ أهل الاندلس (مدريد ١٨٨٤)
الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠ هـ/٩٢٣ م)
تاريخ الأمم والملوك (القاهرة ١٣٢٦)
الطرطوشى (أبو بكر ت ٥٢٠ هـ/١١٣٥ م)
سراج الملوك (القاهرة ١٣٥٤)
كتاب الحوادث والبدع تحقيق محمد الطالبى ، تونس ١٩٥٩
العبادى (أحمد مختار)
الصقالبة فى اسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية . معهد مدريد ١٩٥٢
مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس . الاسكندرية ١٩٥٨
دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس . الاسكندرية ١٩٦٨
أبو عبد الله بن حارث الخشنى (ت ٣٦٠ هـ/٩٧١ م)
القضاة بقرطبة (مدريد ١٩١٤)
الأمير عبد الله بن بلقين الصنهاجى ، آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة (ق. الخامس الهجرى ، ق. ١١ الميلادى)
مذكرات الأمير عبد الله وهى المساة بكتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة . نشر ليفى بروفنسال (القاهرة ١٩٥٥)
عبد الله عنان
دول الطوائف (القاهرة ١٩٦٠)

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧١ م)

فتوح مصر والمغرب والأندلس . نشر تشارلس توری (ليدن ١٩٢٠)

عبد الواحد المراكشي

المعجب فی تلخيص أخبار المغرب . نشر سعيد العريان ومحمد العربى العلمى (القاهرة ١٩٤٩)

ابن عذارى المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد ، كان حياً ٧١٢ هـ/١٣١٢ م)

البيان المغرب فی أخبار الأندلس والمغرب

ا — الجزء الأول والثانی طبعة بيروت ١٩٥٠

ب — قطعة تتعلق بتاريخ المرابطين نشرها أويثی ميراندا فی مجلة Hespéris Tamuda, vol. II. Fasc. I, 1961

ج — الجزء الرابع الخاص بتاريخ الموحدين وبداية عهد بنی مرين نشره أويثی ميراندا ومحمد بن تاويت التطوانی وابراهيم الكتانی (الرباط ١٩٦٣)

العذرى (أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائی ت ٤٧٨ هـ/٩٨٨ م)

ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فی غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك نشر عبد العزيز الأهوانی (مدريد ١٩٦٥)

عريب بن سعد القرطبی (ت ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠ م)

صلة تاريخ الطبرى نشر دى خوية De Goeje (ليدن ١٨٩٧)

ابن عسكر (أبو عبد الله محمد بن على ت ٦٣٦ هـ/١٢٣٨ م)

تاريخ مالقة . مخطوط مغربی يقوم بنشره المستشرق الاسبانی خواكين باليه

القاضی عياض (أبو الفضل بن موسى اليحصبی ت ٤٧٦ هـ/١٠٨٣ م)

ترتيب المدارك وتقريب المسالك فی معرفة أعلام مذهب مالك (مخطوط

بالخزانة العامة بالرباط رقم د ٢٢٣٥ ، د ٢٦٣٣)

ابن غالب (محمد بن أيوب بن غالب الغرناطى . القرن السادس الهجرى)

فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس . نشر لطفى عبد البديع فى مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد الأول الجزء الثاني نوفمبر ١٩٥٥

الغبرينى (أبو العباس أحمد ت ٧١٤ هـ/١٣١٥ م)

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية . نشر محمد ابن أبى شنب (الجزائر ١٣٢٨ هـ)

ابن فرحون (برهان الدين ابراهيم بن على اليعمرى ت ٧٧٩ هـ/١٣٩٦ م)

الديباج المذهب فى معرفة إعيان علماء المذهب (المالكى) القاهرة ١٣٢٩

ابن الفرضى (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى ت ٤٠٣ هـ/١٠١٣ م)

تاريخ علماء الأندلس . جزءان نشر كوديرا (مدريد ١٨٩١)

ابن قتيبة الدينورى (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٠ هـ/٨٨٣ م)

الامامة والسياسة (القاهرة ١٩٠٤)

ابن القطان (أبو الحسن على بن محمد الكتامى الفاسى ت ٦٢٨ هـ/١٢٣٠ م)

نظم الجمان فى أخبار الزمان نشر محمود مكى (الرباط ١٩٦٤)

ابن القوطية القرطبى : (أبو بكر محمد بن عمر ت ٣٦٧ هـ/٩٧٧ م)

تاريخ افتتاح الأندلس . نشره دى جاينجوس وترجمه إلى الإسبانية ريبيرا (مدريد ١٨٦٨ — ١٩٢٦)

مؤلف مجهول (فى القرن الثامن الهجرى ق. ١٤ م)

الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية . نشر علوش (الرباط ١٩٣٦)

مؤلف مجهول

وصف جديد لقرطبة الإسلامية تحقيق حسين مؤنس

مؤلف مجهول

أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم (مدريد ١٨٦٧)

مؤلف مجهول

فتح الأندلس . نشره وترجمه الى الاسبانية خواكين جونثالث J. González

محمد بن شريفة

أبو المطرف بن عميرة المخزومي (الرباط ١٩٦٦)

محمد النيفر

عنوان الأريب (تونس ١٣٥١ هـ)

محمود مكى

تاريخ عبد الملك بن حبيب . الجزء الخاص بالأندلس صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٥٧

وثائق جديدة عن عصر المرابطين . صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٥٩ — ١٩٦٠

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م)

مروج الذهب ومعدن الجوهر (القاهرة ١٣٠٣ هـ)

المقرى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى ت ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب (طبعه محيي الدين عبد الحميد فى عشرة أجزاء القاهرة ١٩٤٩)

الميدانى (أحمد بن محمد النيسابورى ، ت ٥١٨ هـ/ ١١٢٤ م)

مجمع الأمثال ، جزءان (القاهرة ١٣٥٢ هـ)

أبو الوفاء المبشر بن فاتك (ألف كتابه ٤٤٥ هـ/ ١٠٥٣ م)

مختار الحكم ومحاسن الكلم . نشر عبد الرحمن بدوى (مدريد ١٩٥٨)

الونشريشى (أبو العباس أحمد ت ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨ م)

كتاب أحكام السوق . نشر محمود مكى (وهو قطعة من كتاب المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب ١٢ جزء) مجلة المعهد المصرى بمدريد ١٩٥٦

ياقوت الرومى الحموى (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م)

معجم البلدان فى معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر فى كل مكان ٨ أجزاء (القاهرة ١٣٢٣ هـ)

ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب . نشر مرجوليوت (لندن ١٩٠٧—١٩٢٩)

ثانياً : مراجع أوربية :

Aguado Bleye, Pedro: *Manual de la Historia de España*, 2 tomos (Madrid, 1944-1954).

Al-Andalus:

Albornoz, Sánchez: *La España Musulmana*, 2 tomos (Bs. Aires, 1946).

— *¿Dónde y cuándo murió Don Rodrigo?* (Cuaderno de Historia de España, III, Buenos Aires, 1945).

— *Precisiones sobre Fatḥ Al-Andalus* (Revista del Instituto de Estudios Islámicos en Madrid, vols. IX y X, 1961 - 62).

Alcover, B. Miguel: *El Islam en Mallorca* (Palma de Mallorca, 1930).

Alfonso el Sabio: *Primera Crónica General de España*, publicada por Ramón Menéndez Pidal (Madrid, 1955).

'Alī M. Fahmy: *Muslim sea power in the Eastern Mediterranean from the seventh to the tenth Century A. D.* (El Cairo, 1950).

Augustin Feliche: *La Chrétienté Médievale*, tome VII de la Collection Histoire de Monde (Paris, 1929).

Amari, Michele: *Biblioteca Arabo-Sicula* (Lepsia, 1955).

Asín, Jaime Oliver: *Origen Árabe del Rebato* (Madrid, 1928).

— *Las dos Almuzaras* (Al-Andalus, 1962).

Asín, Palacios: *Contribución a la toponimia Árabe de España* (Madrid-Granada, 1944).

— *Crestomatía de Árabe literal* (Madrid, 1950).

Ballesteros, Antonio: *Historia de España y su influencia en la Historia Universal* (Barcelona, 1934-1950).

Brockelmann, Carl: *Geschichte der Arabischen Litterature*, 2 vols. (Weimer-Berlin, 1898-1902).

Bosch Vilá, Jacinto: *Los Almorávides* (Tetuán, 1956).

— *Historia de Albarracín y su Sierra* (Teruel, 1959).

Brunschvig, Robert: *La Berberie Orientale sous les Hafsides*, 2 tomes (Paris, 1940-1947).

Bustamante, Pérez: *Compendio de la Historia de España* (Madrid, 1949).

Campaner y Fuertes, Álvaro: *Bosquejo histórico de la dominación Islamita en las Islas Baleares* (Palma de Mallorca, 1888).

Carlos de Luna, José: *Historia de Gibraltar* (Madrid, 1944).

Crónica de Don Rodrigo (Toledo, 1549).

Crónicas de los Reyes de Castilla, desde Don Alfonso el Sabio hasta los Reyes Católicos. Ed. Rosell (Madrid, 1875-1877).

Crónica Geral de Espanha de 1344, Edicão crítico de texto portugués, pelo: *Louis Felipe Lindley Cintra*, Academia Portuguesa de Historia (Lisboa, 1954),

De Rada, Arzobispo Rodrigo Jiménez: *De Rebus Hispaniae*, capítulo XX.

Diccionario de Historia de España, 2 tomos (Madrid, 1952).

Diccionario Geográfico de España (Madrid, 1960).

Dozy, Reinhart: *Recherches sur l'histoire et la litterature de l'Espagne*, 2 tomes, 3 ed. (Amsterdam, 1965).

— *Scriptorum Arabum loci de Abbadides* (Brill, 1852).

— *Supplement aux dictionnaires arabes*, 2 tomes (Leiden-Paris, 1927).

Dubler, César: *Fuentes árabes y bizantinas en la primera Crónica General* (Vox Románica XII).

Encyclopaedia of Islam.

Encyclopedia Britannica.

Encyclopedia Universal Ilustrada Europeo-Americana.

García Gómez, Emilio: *Observaciones sobre la Qaṣīda Maqsura de Abū-l-Ḥasan Ḥāzim al-Qartaganni* (Al-Andalus, 1933).

— Novedades sobre la crónica anónima titulada: *Fatḥ Al-Andalus en Annales de l'Institut des Études Orientales de la Faculté des Lettres d'Alger*, tome XIV, 1945.

Gaspar Remiro, M.: *Historia de Murcia Musulmana* (Zaragoza, 1905).

Guillén Robles, D.F.: *Historia de Málaga y su provincia* (Málaga, 1873).

— *Catálogo de los Manuscritos de Madrid* (Madrid, 1889).

Gayangos, Pascual: *The history of the Mohammedan dynasties in Spain*. Extracted by Aḥmad al-Maqqarī, 2 vols. (London, 1840-1843).

— *Memoria sobre la autenticidad de la Crónica denominada del moro Rasis.*

Giménez Soler, Andrés: *La Edad Media de la Corona de Aragón* (Colección Labor, N. 223-224).

Hadī Roger Idrīs: *La vie intellectuelle en Ifrīqiya Meridionale sous les Zīrides (XI siècle) d'après Ibn al-Chabbat. Melanges d'his-*

toire et d'Archeolgie de l'Occident Musulman. Hommage à Georges Marçais, tome II (Algerie, 1957).

Hernández, Félix Jiménez: *Acerca de Majāḍat al-Fatḥ y Saguyne* (Al-Andalus, 1964).

—*Ga'fiq, Gabete-Belcázar* (Al-Andalus, vol. IX, 1944).

Houdas et René Basset: *Mission Scientifique en Tunisie.* Bulletin de Correspondence Africaine, année 1884.

Huici Miranda, Ambrosio: *La invasión de los Almorávides y la batalla de Zallaca* (Hespéris, 1953).

— *'Alī ibn Yūsuf y sus empresas en Al-Andalus.* Tamuda, año VII (Tetuán, 1959).

— *Un Fragmento inédito de Ibn Idārī sobre los Almorávides* (Hespéris, 1961).

Lévi-Provençal, E.: *Histoire de l'Espagne Musulmane*, 3 tomes (Paris, 1950).

— *La Peninsule Iberique du Moyen-age d'après le Kitāb Ar-Rawḍ al-Mi'ṭār d'Ibn 'Abd al-Mumim al-Ḥimyarī* (Leiden, 1938).

— *La description de l'Espagne de Razī* (Al-Andalus, vol. XVIII, 1953.

— *L'Espagne Musulmane au Xème siècle* (Paris, 1932).

Lévi-Provençal y García Gómez: *Una Crónica anónima de 'Abd al-Raḥmān III al-Nāṣir* (Madrid, 1953).

Larouse du XXe Siècle, tome III, «France».

Madoz, Pascual: *Diccionario geográfico, estadístico, histórico de España y sus posesiones de Ultramar,* 16 tomos (Madrid, 1846-1850).

Makkī, Maḥmud: *Las aportaciones orientales en la España Musulmana, desde la Conquista Árabe hasta la Caída del Califato* (Madrid, 1962).

— *Egipto y la Historiografía Arábigo-Española* (Revista del Instituto de Estudios Islámicos en Madrid, vol. V, 1957).

Menéndez Pidal, Ramón: *La España del Cid,* 2 tomos (Madrid, 1947).

— *El Poema del Cid.*

— *Floresta de Leyendas heroicas Españolas, Rodrigo el último rey godo.*

Pons Boigues, Francisco: *Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles* (Madrid, 1898).

Prieto y Vives, Antonio: *Los Reyes de Taifas* (Madrid, 1926).

— *Formación del Reino de Granada* (Madrid, 1927).

Simonet, Francisco: *Historia de los Mozárabes de España* (Madrid, 1897-1903).

— *Glosario de Voces Ibéricas y Latinas, usadas entre los mozárabes* (Madrid, 1888).

Saavedra, Eduardo: *Estudio sobre la invasión de los Árabes en España* (Madrid, 1892).

Seco de Lucena, Luis: *Los Ḥammūdíes, señores de Málaga y Algeciras* (Granada, 1953).

Terrasse, Henri: *Histoire du Maroc*, 2 tomes (Casablanca, 1951).

Torres Balbás, Leopoldo: *Al-Muzara* (Al-Andalus, 1959).

Velázquez Bosco, R.: *Medina Àzzahra y Alamiriya* (Madrid, 1912).

Wustenfeild, F.: *Die Geschichtschreiber der Araber* (Gottingen, 1882).

والجزِر : بكسر الراء مصدر جزر البحر إذا رجع إلى خلف وهو ضد المد . وجزر الماء بالفتح يجزر بالضم والكسر إذا نَضُب .

وقوله غربيها الشرف يجوز فيه وجهان أن تنصب غربيها على الظرف وهو الأظهر ، وأن ترفعه على الابتداء .

وقوله وهو عظيم المساحة ، أعلم أن المساحة مَفعلة من ساح يسيح فى الأرض والقياس يقتضى أنك إذا أطلقتها على جهة من الأرض قلت فيها مَساحة بفتح الميم ، وإذا أطلقتها على العلم بمعرفة قياس الأرض وذرعها ، قلت مِساحة بكسر الميم . والحكم فى قوله عظيم المساحة أن يقال بالفتح .

واشبان بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وبالباء المنقوطة بواحدة والألف والنون ، كذا وقع بكسر الهمزة فى النسخة التى عليها خط الفقيه الحافظ أبى محمد عبد الحق من اختصار اقتباس الأنوار .

وطِيطِس : بطاءين مهملتين بينهما ياء أخت الواو وآخره سين مهملة ، وبكسر الطاء الأولى وقع فى النسخة المذكورة والنسبة تقتضى أن تكون الطاء الثانية مكسورة .

وإيليا : بكسر الهمزة وكسر اللام وهو اسم مدينة بيت المقدس ، ذكر البكرى أن الخضر عليه السلام وقف على اشبان هذا وهو يحرث الأرض بفدن فقال له يا اشبان انك لذو شأن وسوف يحظيك زمان ويعليك سلطان ، فإذا أنت غلبت على ايليا فارفق بذرية الأنبياء ، فقال له اشبان ، أنّا يكون هذا وأنا ضعيف حقير ، فقال قدر ذلك ما قدر فى عصاك اليابسة ما تراه ، فنظر اشبان إلى عصاه فرآها قد أورقت ، فريع لما رآى وذهب الخضر عليه السلام عنه وقد وقر ذلك الكلام فى نفسه والثقة بكونه . فترك الامتهان ، وداخل الناس ، وصحب أهل الباس وسما به جده ، وارتقى فى طلب السلطان حتى نال منه عظيما . وكان ملكه عشرين سنة . وقد ذكر هذه الحكاية ابن أبى الفياض أيضا .

فنظروا فإذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام . قال وذكروا أن رجلا ممن كان مع موسى فى بعض غزواته بالأندلس ، رأى رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ، فلما اثقلتهما انزلها وحملا عليها الفأس وقطعاها نصفين ، فأخذ نصفها وترك نصفها[1] .

قال ، وقد رأيت الناس يمرون يميناً وشمالا ما يلتفون إليها استغناء عنها بما فى[2] أيديهم مما هو أرفع منها . قال ، وأقبل رجل إلى موسى ، فقال ابعث معى أدلكم على كنز فبعث معه فقال انزعوا هاهنا ، فنزعوا ، فانثال[3] عليهم من الزبرجد والياقوت شيء لم يروا مثله قط . فلما رأوه ، بهتوا ، وقالوا لا يصدقنا موسى فابعثوا إليه ، فجاء حتى نظر إليه . قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب ، المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، فكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها فيأتيان بفاس ويقطعان منها ما أمكنهما حمله .

وحدثنى ابن أبى ليلى[4] الخشنى عن حميد عن أبيه قال لقد كانت الدابة تطلع فى بعض غزوات موسى فينظر فى حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة .

وكتب موسى حين افتتح الأندلس إلى أمير المؤمنين : انها ليست كالفتح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر .

[١٥٩ ا] : هذا ما رأيت إيراده مما ثبت فى كتاب الإمامة والسياسة سوى ما اختصرت منه وهو آخر الفصل الثاني بحمد الله عز وجل . وهنا انتهى بحمد الله عز وجل شرح ما أشار إليه الفقيه أبو محمد رحمه الله من فتوح البلاد

---

(١) فأخذا نصفاً وتركا الآخر .

(٢) بما هو أنفس منها وأرفع .

(٣) فسال .

(٤) يرى دوزى أن ابن أبى ليلى قاضى الكوفه توفى فى سنة ٧٦٥ م. أى قبل ولادة ابن قتيبة (٢١٣ هـ.) ٨٢٨ م. أى بنحو ٦٣ سنة ! ! ولهذا فهو يرى أن هذا الاسم قد اقحم بواسطة بعض النساخ .
Dozy: *Recherches.* I p. 23 y nota 2

رأيت أحداً من اللغويين ذكرها ، فإن أراد السَمُر[1] الذى هو من شجر الطلح فإنما يقال فى الواحدة سمره وفى الجمع سَمُر وسمرات وأسْمُر فى أدنى العدد .

وقوله بخواتيم الذهب كذا وقع بالياء وهو جمع خاتام بالألف وهى لغة فى الخاتم .

وتشرين بالشين المعجمة وهو شهر اكتوبر وقد تقدم .

وقوله مَوْرُور بفتح الميم وسكون الواو وضم الراء المهملة وبعدها واو أخت الياء .

وقُرْطُبه : بضم القاف وسكون الراء المهملة وضم الطاء المهملة وبالباء المنقوطة بواحدة وهاء تأنيث .

والكُورة : بضم الكاف وسكون الواو وهى هنا عبارة [١٦١ ب] عن الصقع والناحية . والكورة أيضاً تطلق على المدينة لعل ذلك هو المراد هنا والأول هو الظاهر .

وبَرْبَاط : بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء المهملة وبعدها باء مثل الأولى وألف وطاء مهملة .

وقوله قحطة يجوز فيه وجهان أحدهما أن يقال قَحِطت بفتح القاف وكسر الحاء ، وأن يقال قحطت بضم القاف على مالم يسم فاعله . وكذلك قحط القوم يجوز فيه الوجهان ، ويقال أقحطوا أيضاً رباعياً وكذلك قحطت الأرض .

والتنيسى : بفتح التاء ويجوز كسرها منسوب إلى تنيس مدينة معروفة .

وقَرْمُونه : بفتح القاف وسكون الراء المهملة وضم الميم وسكون الواو أخت الياء وآخره نون تأنيث .

وإشْبِيلِيَه : بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وكسر الباء المنقوطة بواحدة وسكون الياء بعدها وكسر اللام وفتح الياء وتخفيفها وآخرها هاء تأنيث .

---

(١) السمر كرجل شجر من العضاه ينقل إلى القرى فتغمى به البيوت الجمع اسمر .

وقوله ينزل إليها على درك ، والدرك هنا عبارة عن الدرج الذى ينزل منه إلى أسفل ، وأصل الدرك القعر ، والنار الدركات أعاذنا الله عز وجل منها بمنه وبركة رسوله (صلعم) .

والجنة درجات ، جعلنا الله برحمته من وارثيها ، فالدرجات على هذا ما كان للارتفاع والدركات عكسها ، وعليه جاء قول الفقيه أبى الفضل النحوى رحمه الله : ونزولهم وطلوعهم ، فإلى درك وعلى درج .

وقوله يرقى على درك آخر ، كان الواجب أن يقول : يرقى على درج ، لكن لمـا كانت الجهتان ، والله أعلم ، ينزل منهما قال ويرقى على درك آخر فيها باعتبار النزول لا باعتبار الصعود ، وقد يكون ذلك من باب تسمية الشىء باسم ضده للمقابله على جهة المجاز ومنة قوله عز وجل : وجزاء سيئة سيئة مثلها . وقوله تعالى : لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال .

ويُخَمِّر الرجل بضم الياء وفتح الخاء وكسر الميم وتشديدها ، أى يغطى .

وسَرَقُوسه : بفتح السين وفتح الراء وضم القاف .

وسَرْدَانِيه : بفتح السين وسكون الراء وكسر النون وبياء مخففة .

والحَمَّات جمع حَمَّه بفتح الحاء وتشديد الميم وسميت بذلك لأن بها عيون ماء جاره .

الفهارس[1]

(١) شارك فى وضعها مشكوراً السيد أحمد الطوخى ، الطالب بقسم الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية .